جامعة سعد دحلب البليدة

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا

مذكرة ماجستير

التخصص: علم النفس العيادي

محددات الهوية النفسية والاجتماعية للاجئين الفلسطينيين بالجزائر

من طرف

آمـــال عيــد

أمام اللجنة المشكلة من:

عبد العزيز حدار	أستاذ محاضر، جامعة البليدة	رئيسا
فتيحة كركوش	أستاذ محاضر، جامعة البليدة	مشرفا ومقررا
ربيع العبزوزي	أستاذ محاضر، جامعة البليدة	عضوا مناقشا
عبد العزيز بوسالم	أستاذ محاضر، جامعة البليدة	عضوا مناقشا

البليدة، ماي 2012

شـكـــر

لقد كان هذا العمل بالنسبة لي إنجازا عشت خلاله عناء البحث ومتعة الاكتشاف، إلا أن هذه الدراسة لم تكن لتتم دون جهود عديدة ساهمت في دعمه.

لذا لا يسعني إلا أن أشكر الأستاذة المشرفة فتيحة كركوش على حسن توجيهاتها ومساندتها.

بالإضافة إلى الأستاذة جوهر عبلاش والأستاذ عبد المجيد ماضي ومحمد صلاح اللذان كان لهما أبلغ الأثر في إخراج هذه الدراسة.

ومع خالص التقدير والعرفان إلى أساتذة قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا على سندهم وتشجيعهم المستمر لي،

كما أخص بالشكر الوسطاء والمبحوثين وعدد من الأصدقاء الذين كانوا لي دافعا لإتمام هذا العمل.

ملخص

أنجزت هذه الدراسة على عينّة قوامها50 لاجئ فلسطيني (30 ذكر و20 أنثى) مقيم في الجزائر وذلك على مستوى مجموعة من ولايات الوطن (الجزائر العاصمة والبليدة وتيبازة وتيزي وزو وتيارت وورقلة والأغواط) والذين قدّر متوسط عمرهم بـ45 سنة، حيث هدفت للبحث عن المحددات التي تساهم في تكوين هويتهم والحفاظ عليها. ولأجل ذلك تّم الاعتماد على كل من مقياس محددات الهوية لدى اللاجئين الفلسطينيين الذي أعد من طرف الباحثة واختبار "من أنا؟" لصاحبه كوهن.

كشفت الدراسة على ظهور المحدد الثقافي كمنظم ومحدد للهوية بارز لدى العينة وذلك بحصوله على الرتبة الأولى، يليه المحدد الاجتماعي ثم النفسي ثم السياسي وأخيرا الأسري.

كما أظهرت النتائج أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين فيما يخص المحدد النفسي($t=1.15, \alpha=0.05$). وبخصوص المقارنات بين مكان الإقامة في الطفولة (فلسطين أو دول أخرى)، فقد توصلت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائيا بين اللاجئين المقيمين في طفولتهم الأولى في فلسطين مقابل المقيمين خارج فلسطين($t=-3.35, \alpha=0.05$)، كما وُ جدت فروق ذات دلالة إحصائية بين أصل الأم (فلسطيني أو أخرى) والمحدد الثقافي($t=3.91, \alpha=0.05$).

قائمة الجـداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	التوزيع الفلسطيني في المناطق المختلقة سنة 1949.	21
02	الشعب الفلسطيني وتوزيعه في الوطن والشتات سنة2008.	26
03	يبين عدد اللاجئين الفلسطينيين غير المسجلين في الاونوروا.	26
04	اللاجئون الفلسطينيون بقطاع غزة في سنة 2008.	27
05	اللاجئون الفلسطينيون بالضفة الغربية في سنة 2008.	28
06	أهم المخيمات ومواقعها بالأردن في سنة 2008.	30
07	اللاجئون الفلسطينيون بسوريا في سنة 2008.	31
08	اللاجئون الفلسطينيون بلبنان في سنة 2008.	32
09	عدد اللاجئين الفلسطينيين بأوربا في سنة2001.	34
10	نموذج تجريبي- نمائي لمفهوم الذات حسب لاكوير (L'ecuyer).	77
11	الخصائص العامة لمجموعة البحث الاستكشافية.	97
12	أصول مجموعة البحث الاستكشافية.	98
13	توزيع مجموعة البحث حسب مناطق تواجدهم.	101
14	الخصائص الإحصائية لمجموعة البحث.	103
15	خصائص مجموعة البحث من حيث الجنس.	103

16	توزيع مجموعة البحث حسب المستوى التعليمي.	104
17	الحالة المدنية لمجموعة البحث.	104
18	الحالة الاقتصادية لمجموعة البحث.	106
19	جنسية مجموعة البحث.	107
20	أصل أمهات مجموعة البحث.	107
21	أماكن إقامة مجموعة البحث في الطفولة.	107
22	تكرار الزيارات الى فلسطين بالنسبة لمجموعة البحث.	108
23	البنود السالبة والموجبة لمقياس "محددات الهوية عند اللاجئين الفلسطينيين".	110
24	العدد الإجمالي للأساتذة المحكمين لأداة البحث.	111
25	معاملات الصدق الذاتي لمقياس محددات الهوية.	112
26	معامل ثبات المقياس ومحدداته.	112
27	الدرجات القصوى والدنيا لمقياس لمحددات الهوية للاجئين الفلسطينيين.	113
28	الدرجات والمتوسطات الحسابية لإجابات مجموعة البحث على المقياس.	117
29	المحدد الأكثر بروزا لمجموعة البحث بالاستعمال معامل الرتب لفريدمان.	118
30	يمثل الدلالة الإحصائية لاختبار"ت" لدلالة الفروق في محددات الهوية باختلاف الجنس.	120
31	الدلالة الإحصائية لاختبار"ت" لدلالة الفروق في محددات الهوية باختلاف مكان الميلاد.	120
32	نتائج اختبار"ت" لدلالة الفروق بين محددات الهوية باختلاف أصل الأم.	121
33	إجابات مجموعة البحث عن السؤال الأول من اختبار "من أنا؟".	123
34	إجابات مجموعة البحث عن السؤال الثاني في اختبار "من أنا؟".	124

35 إجابات مجموعة البحث عن السؤال الثالث في اختبار من أنا؟. 124

36 إجابات مجموعة البحث عن السؤال الرابع في اختبار "من أنا؟". 127

37 حصيلة اجابات مجموعة البحث على اختبار "من انا" 128

38 حصيلة إجابات مجموعة البحث على اختبار "من أنا؟". 129

قائمة الأشكال

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
01	شكل توضيحي لنتائج اختبار "من أنا؟" عند مجموعة البحث.	179
02	نموذج خاص بمحددات الهوية عند اللاجئين الفلسطينيين بالجزائر.	142

الفهرس

شكر

ملخص

فهرس

مقدمة.....13

1.الفصل الأول: اللجوء الفلسطيني.....16

تمهيد.....16

1.1.اللجوء في العالم.....16

2.مدخل تاريخي للجوء في فلسطين.....17

2.1.عام النكبة 1948.....20

2.2.حرب 1967.....21

3.تعاريف خاصة باللاجئ الفلسطيني.....22

1.3.مفهوم اللاجئ الفلسطيني في القانون الدولي.....23

2.3.مفهوم اللاجئ الفلسطيني حسب جامعة الدول العربية.....23

3.3.مفهوم اللاجئ الفلسطيني حسب دائرة شؤون اللاجئين.....4

4. واقع وحجم مشكلة اللجوء الفلسطيني.....5

1.4.اللاجئون الفلسطينيون داخل فلسطين.....2

2.4.اللاجئون الفلسطينيون في الدول العربية المجاورة 28

3.4.اللاجئون الفلسطينيون في باقي الدول العربية.....32

4.4.اللاجئون الفلسطينيون في أوربا.....33

5.4.اللاجئون الفلسطينيون في الجزائر..38
5.دور هيئة الأمم المتحدة اتجاه قضية اللاجئين...44
6.سياق ولادة وكالة غوث وتشغيل اللاجئين(الاونوروا) 45
7.اللاجئون الفلسطينيون بين حق العودة والتوطين والتعويض.......................................47
1.7.الحق في العودة...47
2.7. مشاريع التوطين...48
3.7. الحق في التعويض..49
8. مستقبل اللاجئون الفلسطينيون في مفاوضات السلام..50
9.آثـار اللجـوء...52
1.9.آثار اجتماعية ونفسية وإنسانية...52
ملخص الفصل..55

الفصل الثاني:

الهوية

تمهيد..56
1.مدخل تاريخي لتطور مفهوم الهوية...57
2.تعاريف خاصة بالهوية 59
1.2.التعريف اللغوي..60
2.2.التعريف الفلسفي..60
3.2.التعريف النفسي..60
4.2.التعريف الاجتماعي...61
5.2.تعريف علم الاجتماع السياسي 61
3.ناسلية الهوية (Genèse de l’identité) 62

1.3.الهوية الجسمية(Identité corporelle).....62
2.3.الهوية والتفاعل(Identité et interaction).....63
3.3.الأزمات والتحولات.....64
4.3.سيرورات بناء الهوية.....64
4.تصنيف الهُويّة.....66
5. رتب الهوية..... 68
6.حاجات الهوية(Les besoins identitaires).....69
7.التناولات النظرية المفسّرة للهوية.....70
1.7.التناول التحليلي(L'approche psychanalytique).....70
2.7.التناول الاجتماعي(L'approche sociale).....72
2.7.التناول النفسي الاجتماعي(Approche psychologie sociale).....73
4.7.تناول الأنتروبولوجيا الثقافية(L' approche d'anthropologie culturelle).....75
5.7.التناول التكويني النمائي(L'approche génétique).....75
6.7.التناول الظواهري(L' approche phénoménale).....76
7.7.التناول المعرفي(L'approche cognitiviste).....78
8.7.التناول التفاعلي(L'approche interactionniste) 78
8.التنشئة الاجتماعية وتكوين الهوية.....79
1.8.دور الأسرة في تكوين الهوية.....79
2.8.دور الثقافة في تكوين الهوية.....80
3.8.دور اللغة في تكوين الهوية.....82
9.استراتيجيات الهُويّة.....83
1.9.هوية الواجهة(L'identité de façade).....84
2.9.الهوية في موقف دفاعي(Identité en situation defensive).....84

3.9.الهوية في المواقف الهجومية العدوانيةIdentité en situatio).....85
10.وظائف الهوية.....86
11.الهوية الفلسطينية.....87
خلاصة الفصل.....91

الفصل الثالث:

منهجية الدراسة.

تمهيد..... 93
1. الإشكالية الخاصة بالبحث.....93
2. صياغة الفرضيات.....93
3. التعريف الإجرائي لمفاهيم الدراسة.....94
1.3. الهوية.....94
2.3. اللاجئون الفلسطينيون في الجزائر..... 95
4. الدراسة الاستطلاعية.....95
5. المنهج المتبع.....100
6. مكان إجراء البحث.....108
7. مجموعة البحث.....108
8. أدوات البحث.....108
1.8.مقياس "محددات الهوية للاجئين الفلسطينيين".....108
1.1.8. مرحلة بناء المقياس.....109
2.1.8. مرحلة تقنين المقياس.....110
2.8. اختبار "من أنا؟" (Que suis- je ?).....114

9. الإجراءات العملية للتطبيق.....115

10. المعالجة الإحصائية.....115

الفصل الرابع:

نتائج الدراسة

تمهيد.....116

1. عرض وتحليل النتائج.....116

2.1. عرض وتحليل نتائج الفرضية الأولى.....116

2.1. عرض وتحليل نتائج الفرضية الثانية 118

3.1.عرض وتحليل نتائج الفرضية الثالثة 119

4.1. عرض وتحليل نتائج الفرضية الرابعة.....121

5.1.عرض وتحليل نتائج اختبار "من أنا؟":.....122

2. مناقشة عامة للنتائج.....130

1.2. مناقشة نتائج الفرضية الأولى.....131

2.2. مناقشة نتائج الفرضية الثانية.....136

3.2. مناقشة نتائج الفرضية الثالثة 137

4.2. مناقشة نتائج الفرضية الرابعة.....138

5.2. مناقشة عامة لنتائج اختبار "من أنا؟".....139

3. الاستنتاج العام.....141

4. الخـاتمة.....143

5.المراجع.....145

6. الملاحق

مـقدمـة

تعد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين من بين أصعب المشكلات الإنسانية في التاريخ الحديث وأصحابها هم الأكثر عددا والأطول معاناة بين لاجئي العالم، إذ أدت نكبة عام 1948 إلى تهجير نصف الشعب الفلسطيني خارج دياره، أين يرتكز في الدول العربية ودول العالم الأخرى ما يربو على 800.000 لاجئ فلسطيني، وتُقدر وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأنروا" عددهم سنة 2007 بـ 3.4مليون، مُسّجلين لديها 40 % منهم يرتكزون في فلسطين والأردن، أما في لبنان وسوريا فتبلغ نسبتهم حوالي 10 %، في حين نجد أن البقية منهم موزعة على باقي البلدان. مع العلم، أن سجلات الوكالة لا تشمل جميع اللاجئين، وبصفة عامة يقدر عدد اللاجئين غير المسجلين لدى الأنروا بـ 1.5 مليون سنة 1998.

أما في الجزائر بدأت في منتصف الستينات أول مجموعات من الفلسطينيين حاملي شهادات الثانوية العامة (التوجيهي) بالتوافد إليها لغرض العمل أو الدراسة في الجامعات الجزائرية ضمن إطار بعثة فلسطين، حيث كانت الجزائر آنذاك بحاجة إلى إطارات مُعربة، فوصل عدد أبناء الجالية من الطلبة والمعلمين في الفترة الممتدة من عام 1965 إلى نهاية الثمانينات حوالي 7000 معلم و500 طالب. ويمكننا القول أن حجم الجالية حاليا وبعد اتفاق "أوسلو" وصل تقريبا إلى 4000 فرد.

هذا الواقع لم يكتف بتمزيق الوحدة السياسية والجغرافية؛ بل جّر معه في كل بلد مضيف ظروف عملت على تكثيف الرواسب في نفس الفرد الفلسطيني: فلا هو بالمواطن الذي يتمتع بحقوق المواطنة الكاملة في الدول العربية ولا هو بالأجنبي الذي له وضع قانوني محدد والذي له دولة تحميه وترعى شؤونه أينما حل. وفي سياق حالة المنفى وحجم المعاناة الاجتماعية والثقافية، يتراكم دور وتأثير الجوانب السلبية لتطال معظم مكونات هوية اللاجئ الفلسطيني.

وقد أوضحت انا فاسكيس(1978) [1] ذلك؛ فعادة ما يشعر اللاجئ -وهو بعيد عن وطنه- بالغربة والوحدة والبعد عن الأهل وعدم القدرة على الاندماج في المجتمع المضيف أو ممارسة الحياة الطبيعية فيه، يضاف إلى هذه المشاعر الإحساس فقدان الأمل في العودة إلى الوطن الأم، أو حتى في رؤية الأهل.هذه المكونات مُجتمعة تُعبّر عن هوية الفرد باعتبارها نظام من المشاعر والاستراتيجيات والتصورات التي يكتسبها الفرد عن ذاته من بيئته الاجتماعية أو من خلال التقمصات الأولى من حياته أو من خلال دوره الجنوسي الذي يكتسبه من خلالها موقعه في المجتمع. فالهُويّة نظام مبني

ومتميز، يتجذر في آن واحد في زمن ماضي ويُنسّق السّير الحالية في إطار مشروع (مشاريع، مثل عليا، قيم، أساليب...)؛ فهي تركيبة منسجمة لهويات الشخص المتعددة: الذاتية والجماعية.

والهُويّة على غرار باقي الهيئات النفسية، قد تتعرض لمواقف تخل بها سواء نتيجة للعوامل الذاتية أو المحيطية (كما في اللجوء)، لاسيما في بعدها الاجتماعي الثقافي بفعل ما هو سائد حاليا من تغير اجتماعي وعدم استقرار في العلاقات بين الجماعات، التي يطغى على علاقاتها طابع الصراع والسيطرة وما تتسبب فيه من تصنيفات اجتماعية نمطية قد تخل بشعور الانتماء لدى الفرد. ولتجاوز هذه الوضعية وحلها يسعى اللاجئ للاحتكام أكثر لعناصر نفسية أو اجتماعية أو أسرية أو ثقافية أو سياسية للحفاظ على هويته من الاندثار ومختلف التهديدات.

وعلى عكس جميع الدراسات التي تناولت الهوية عند الأقليات والمهاجرين، فان خصوصية هذه الدراسة تكمن في كونها تتناول هوية مهاجرين لا يتعرضون للنبذ ولا للهجوم ولا للرفض مما يعني في الظاهر أنهم لا يجندون إستراتيجية لمواجهة أزمتهم كونهم مرفوضين كما يحدث عادة بعد الهجرة. وفي نفس الوقت لا ننكر أننا في صدد إبراز أثر وضعية اللجوء كمنظم جديد للشخصية، يسمح بتأكيد الذاتيـة والوصول إلى الهُويّة الشخصية. إضافة إلى ذلك، نسعى من جهة أخرى الى الكشف عن مختلف المحددات التي يتعامل بها اللاجئون مع وضعيتهم للحفاظ على هويتهم.

وعلى هذا الأساس جاء اختيارنا لإعداد هذه الدراسة -التي نتناول من خلالها محددات الهوية لدى اللاجئين الفلسطينيين المقيمين بالجزائر- لأسباب متعددة أبرزها أن قضية اللاجئين ليست قضية أخلاقية فحسب؛ فهي قضية حية حيوية من ناحية تأثيرها على الأمن والسلام الدوليين، وأي حل لا يشمل مستقبل اللاجئين هو حل مبتور، إضافة الى ضرورة الاهتمام بالجانب التفاعلي الدينامي للهوية وإبراز ذلك بعد أن كان يُنظر للهوية ككيان قائم بذاته وكوحدة محددة المعالم، وهي إشكالية تقع في مصب عدة تخصصات. كما أننا لا ننكر أن سبب اختيارنا للموضوع مرتبط بدوافع شخصية لكوننا من أبناء الجيل الثالث في الشتات، والذي يزداد عددهم وكذا الحديث عن دورهم في ظل ما يحاك لإسقاط حق العودة، والذي أصبح حلما مراودا؛ وهو الأمر الذي ينطبق على سائر اللاجئين الفلسطينيين الذين لم يخفوا حنين العودة إلى الأرض، والذي ظل حاضرا في ذاكرتهم.

والجدير بالذكر أن البحث الحالي يندرج ضمن مجال علم النفس الاجتماعي لتقصي المحددات التي تساهم في تكوين الهوية النفسية والاجتماعية للاجئين الفلسطينيين المقيمين في الجزائر، والعمل على تبيان أكثرها بروزا وتأثير، انطلاقا من بناء أولي لمقياس "محددات اللاجئين الفلسطينيين" واستنادا الى مقياس "من أنا؟" لصاحبه كوهن ثم تطبيقه على عينة من اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في

الجزائر. ولذلك جاء هذا البحث في جزئيين، أحدهما نظري يشتمل على فصلين والآخر تطبيقي من فصلين أيضا.

تم في الفصل الأول من الجانب النظري التعرض إلى قضية اللجوء في بعدها العالمي ثم الفلسطيني من حيث التعريف به وعرض مختلف المشاريع التي صيغت من اجل حله وكذا الدراسات التي تناولت اللجوء والتهجير في بعدهما الإنساني، معتبرين الوضعية كمنظم جديدي للشخصية، ليتم بعدها الانتقال إلى الفصل الثاني والذي خصص لتناول مفهوم الهوية، من خلال تقديم لمحة تاريخية عن مراحل تطور هذا المفهوم والتعاريف المقدمة له مع التركيز على التعقيد الذي يحيط به كمفهوم تتشارك فيه عدة تخصصات، إضافة الى ذكر اغلب التناولات النظرية المفسرة للمفهوم مع تقديم مراحل وناسلية الهوية على اعتبارها بناء لا يتوقف من المدخلات والتقمصات، ولم نهمل استراتيجيات الهوية التي يجندها الفرد أو الجماعات في ظل التغيرات التي أصبحت تخل بمفهومنا عن أنفسنا وعن غيرنا.

أما الجانب التطبيقي من هذا البحث فقد جاء في فصلين، خصص الفصل الأول منهما إلى الأسس المنهجية للدراسة وفيه عرضت الإشكالية والفرضيات وكذلك المنهج المتبع بالإضافة إلى طريقة إجراء الدراسة وخطواتها وذلك بدءا من مرحلة بناء الاختبار إلى مرحلة تطبيقه على أفراد عينة البحث، لينتهي هذا الفصل بتحديد للمجالين المكاني والزمني للدراسة. أما الفصل الثاني من الجانب التطبيقي فقد تم فيه عرض وتحليل ومناقشة نتائج الدراسة، بالإضافة إلى مناقشة الفرضيات وتقديم استنتاج عام متبوع بخاتمة للبحث.

الفـصـل 1

اللجـــوء الفــلسـطـــيني

تمهيـد:

تعد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين من بين أصعب المشكلات الإنسانية في التاريخ الحديث وأصحابها هم الأكثر عددا والأطول معاناة بين لاجئ العالم منذ سنة 1948، وهو ما يُميّزها عن باقي وضعيات اللجوء.

وعليه فضلنا أن نبدأ هذا الفصل بإطلالة على هذا الوضع في العالم وتحديدا في فلسطين، مع تقديم أهم التعاريف التي صاغها المجتمع الدولي للاجئ الفلسطيني، بالإضافة إلى أماكن انتشارهم وواقع حياتهم ضمن معطيات علمية وإحصائية، وكذا واقعهم في الجزائر على اعتبار الدراسة تدور حولهم. كما تتبعنا تاريخ أغلب مشاريع التسوية والمفاوضات، التي تناولت حلولا وسيناريوهات لتسوية موضوع اللاجئين تحت وساطة دولية؛ وهو الأمر الذي يدل على مسؤولية المجتمع الدولي عن نكبة هذا الشعب ويُعبّر عن الموقف الأخلاقي والإنساني اتجاههم.إضافة الى ذلك، قدمنا عرضا كرونولوجيا لأهم الدراسات التي تناولت الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة عن وضعية اللجوء والهجرة.

1.1اللجوء في العالم:

أشارت المفوضية العليا للاجئين (UNHCR) [2] إلى تسارع ازدياد أعداد اللاجئين في العالم، حيث

قفز العدد من2.4 مليون لاجئ في عام 1975 إلى14.5مليون في عام 1995 ثم بدأ بالانخفاض قليلاً ليصبح 13.2 مليوناً في عام 1997 و11.5 مليون في عام 1998، في حين بلغ عدد النازحين داخلياً في عام 1998حوالي 4.94 مليون نازح، كما بلغ عدد طالبي اللجوء في نفس العام 1.32 مليون وعدد العائدين إلى ديارهم1.91 مليون. بينما على مستوى القارات، فقد كانت القارة الآسيوية أكبر القارات احتواء للاجئين، حيث قدر عددهم بـ 4.74 مليون لاجئ (بنسبة 41.2%) مقارنة بالمجموع الكلي للاجئين. تلتها القارة الأفريقية بـ 3.27 مليون لاجئ (بنسبة28.4%). أما المشرّدون داخلياً، فكانت القارة الآسيوية أيضاً أكثر القارات احتواء لهم بـ 2.04 مليون نازح بنسبة

41.3%، تلتها القارة الأفريقية 1.59 مليون (بنسبة 32.2%). وفيما يتعلق باللاجئين العائدين إلى ديارهم، فقد كانت قارة أفريقيا في المرتبة الأولى، إذ شهدت عودة 1.3 مليون لاجئ أي بنسبة 68.1% من مجمل العائدين في مختلف القارات، تلتها قارة آسيا التي عاد إليها 317.2 ألف لاجئ؛ أي بنسبة 16.6% من مجمل العائدين في مختلف القارات.

ويمكن القول حسب ما ورد عن اللايرين [3] بأن معظم لاجئي العالم وكذلك النازحين هم من دول الجنوب الأقل حظاً وخاصة من قارة آسيا وأفريقيا، وأهم الدول المُصدرة لمشكلة اللجوء في العالم هي: أفغانستان وإيران وكمبوديا والعراق وأرمينيا وأذربيجان وتايلاند وسيريلانكا والدول المتشاطرة عن الاتحاد السوفيتي وأنغولا ورواندا وبروندي والدول المتشاطرة عن الاتحاد اليوغسلافي سابقاً . وفيما يخص أوروبا، فقد قدّر عدد اللاجئين في عام 1998 بـ 2.67مليون لاجئ بنسبة 23.2% من مجمل لاجئي العالم، وقدر عدد النازحين فيها 1.31 مليوناً بنسبة 26.5%من مجمل نازحي العالم، حيث يُعبّر هذان الرقمان عن المشكلة التي حدثت في البلقان بين أجزاء الاتحاد اليوغسلافي سابقاً .

أما بالنسبة باللاجئين الذين أعيد توطينهم في بلد ثالث، فقد بلغ عددهم 32.55 ألفاً في عام 1996 منهم20.8 ألفاً أعيد توطينهم بمساعدة المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.وفي عام 1998، بلغر عدد من أعيد توطينهم 28.43ألفاً منهم 21.21ألفاً .

هذا فيما يخص اللجوء في العالم، أما اللجوء الفلسطيني فهو يحمل من الخصوصية ما يجعلنا نُفرد له باقي الفصل بنوع من التفصيل.

2.1.مدخل تاريخي للجوء في فلسطين:

عندما جُردت الإمبراطورية العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى من الأقاليم التي كانت تخضع لها، ترتب على ذلك حسب توضيح عبد العزيز السرحان [4] خضوع فلسطين لنظام الإدارة الدولية الذي أنشأته منظمة عصبة الأمم المتحدة وهو نظام الانتداب، ثم تدخلت الأمم المتحدة بقرار التقسيم سنة1947 والذي نجم عنه إعلان قيام إسرائيل، تلا ذلك خطوة الملك عبد الله ملك الأردن بإدماج الضفة الغربية والقدس إلى مملكته، وخضوع قطاع غزة للإدارة المصرية، حتى حرب 1967 التي كانت من نتائجها خضوع سائر إقليم فلسطين لإسرائيل بالاحتلال الحربي، وإعلانها عن نيتها الصريحة في ضم جميع إقليم فلسطين تحت ادعاءات ومسميات شتى. ثم جاء التطور المفاجئ من جانب الأردن سنة1977 بإعلان الملك حسين فك الارتباط القانوني والإداري مع الضفة الغربية، وتلا ذلك إعلان قيام الدولة الفلسطينية في 15 نوفمبر 1977.

تثير هذه التطورات من وجهة القانون الدولي مشاكل قانونية لعل أهمها مدى توافر أركان هذه الدولة وعلى وجه الخصوص ما هي حدودها وما هو نطاق إقليمها، مع العلم أن الإقليم الجغرافي والوضع القانوني لهما أهميتها في تكوين الهوية.

وبدون الاستغراق في شهادة التاريخ على الجذور العميقة للسيادة العربية على فلسطين، فإننا نكتفي بالإشارة إلى ما حدث بعد النكبة فقط، كما أنه من الضروري الوقوف على الوضع القانوني للفلسطينيين من فترة 1948 إلى يومنا هذا؛ وهو الأمر الذي سندرجه في نهاية الفصل بهدف تبيان أن القوانين التي صاغها المجتمع الدولي والتي تولت تحديد حقوق وواجبات المواطن في كل حالات التهجير -ويقصد هنا حماية حقوق الإنسان ومحاولة التخفيف من الآثار البالغة التي يمكن أن يُمنى بها المواطن جراء تهجيره- تعتبر عاجزة أمام الوضع الذي آل إليه أكثر من نصف الشعب الفلسطيني.

بدأ اللجوء الفلسطيني منذ صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 298/181 بتاريخ 29 نوفمبر1947 القاضي بتقسيم فلسطين، وبلغت عمليات التهجير ذروتها مع إعلان قيام إسرائيل ونشوب حرب عام 1948 وامتدت إلى بداية عام 1949، وقد كانت هجرة الفلسطينيين من أرضهم قسرية بكل المقاييس عندما اقتُلع السّكان الأصليين من أرضهم وفقدوا جراء ذلك وسائل كسبهم ورزقهم. وقد سبقت هذه الحرب مذابح قامت بها العصابات الصهيونية ضد السكان المدنيين واستمرت أثناء وبعد الحرب. ومن المذابح التي قامت بها هذه العصابات، يلخصها جواد الحمد [5] فيما يلي:

- مذبحة بلد الشيخ (إل نحنان حالياً) بتاريخ 31 ديسمبر1947، قامت بها عصابة الهاغاناة، وأدت إلى مقتل 600 فلسطيني في منازلهم.
- مذبحة دير ياسين بتاريخ 10أفريل 1948، وقامت بها عصابات الأرغون وشتيرن والهاغاناة، وأدت إلى مقتل 245شخصاً .
- مذبحة اللد بتاريخ 12 جويلية 1948 وقام بها الجيش الإسرائيلي وتم فيها قتل أكثر من 250 عربي.
- مذبحة قبية بتاريخ 14 أكتوبر1953 وقام بها الجيش النظامي الإسرائيلي وأدت إلى قتل 67 شخصاً .
- مذبحة كفر قاسم بتاريخ 29 أكتوبر1956، وقام بها الجيش الإسرائيلي وأدت إلى قتل 49 شخصاً .

وكانت تهدف المخططات الإسرائيلية إلى تفريغ فلسطين من سكانها الأصليين، باستخدام شتى الوسائل والأساليب التي بدأت بالمذابح من أجل بث الرعب في قلوب السكان لإجبارهم على الفرار والهجرة.

إضافة إلى هدم المنازل والقرى، حيث تم تدمير أكثر من 350 قرية فلسطينية دون أية مبررات منطقية، وكان الهدف من هذه العمليات جعل مسألة عودة أهلها إليها أمراً مستحيلاً .

أما رحلة اللجوء الفلسطيني فكانت قاسية بكل المقاييس، حيث فر الفلسطينيون من مدنهم وقراهم إلى خارج فلسطين (الأردن وسوريا ولبنان والضفة الغربية وقطاع غزة). وكل التهجير فراراً من تبعات الحرب وتهديدات الجيش الإسرائيلي بضرورة مغادرة السكان العرب لقراهم، فقد قامت القوات الإسرائيلية بطرد حوالي 60 ألف فلسطيني من مدينتي اللد والرملة من عام 1948، وتم بعد ذلك طرد سكان قرى الجليل والاستيلاء على صحراء النقب. وشهدت رحلة اللجوء الأولى صعوبات تمثلت في خوف الفلسطينيين من خطر التهديد الإسرائيلي المباشر لهم أثناء عمليات اللجوء، خاصة وأن غالبية الأسر الفلسطينية قد نالها نصيب من القتل أو التشريد أو كليهما، فكان اللاجئ الفلسطيني آنذاك مشغولاً بمصير بقية أهله الذين افتقدهم. [6]

وحسب روجي غارودي [7] فإن الحقيقة التي يجب تثبيتها هي أن النوايا المبيّتة في طرد الشعب الفلسطيني من أرضه كانت قديمة لدرجة أنه ورد في سفر التكوين (5-18-21) : أن الرب عقد ميثاقا مع إبراهام وفق العبارة التالية: " لنسلكم أعط هذه البلاد من نهر النيل حتى النهر العظيم، نهر الفرات". وانطلاقا من ذلك لم يتوانى القادة الصهاينة من إخراج الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم، وقد انتهجوا في ذلك أسلوبين:

- الاستيطان التقليدي: يتمثل في استغلال اليد العاملة المحلية، وهو الأسلوب الذي تبناه البارون روتشيلد الذي طبقه في الجزائر.

- إنشاء مستعمرات حسب السياسة الصهيونية: ومعنى ذلك استبدال الشعب الفلسطيني بشعب آخر والاستيلاء على أرضه.

وأكد كليوفورد رايت [8] ص24 -نقلا عن تيودزهرتزل (T.Herzl) مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية (World Zionist organization, 1897) في مذكراته- أنه "يجب أن تتم عمليتا طرد الفلسطينيين والتخلص منهم بحذر وسرية بالغة"؛ وهو ما دعمه يوسف ويتز(Josef Weitz) - الإداري المسئول عن الاستيطان الصهيوني عام 1940- بقوله: " يجب أن يكون واضحا في أذهاننا أنه ليس هناك مجال لأن يعيش الشعبان معا في هذا البلد، لذا فإن الحل الوحيد يكمن في أن تكون فلسطين خالية من العرب وليس هناك من طريقة لتنفيذ هذا المخطط سوى طردهم جميعا إلى الدول المجاورة".

تدل هذه الشهادات على أن خروج الفلسطينيين من أرضهم كان عملية مبيّتة ومخطط لها تمَ تنفيذها بموافقة وإشراف من طرف أعلى مستويات القيادة الصهيونية، وبهذا استطاع الصهاينة إنشاء كيانهم عام 1948 على نحو 77 % من أرض فلسطين بعد طرد ثلثي الشعب الأصلي من أرضه كما تمت الإشارة سابقا.

وعلى هذا الأساس، فانه من المنطق أن لا يبحث في موضوع هوية جزء من الشعب الفلسطيني بمعزل عن تاريخه لأنه جابه من أخطار العدوان على هويته القومية ما لم يجابهه شعب أخر، والإسهاب في ذكر تاريخ التهجير كان لسببين هما:

-تَشكل هذه الرحلة الطويلة مع التهجير نقطة تقاطع مرسومة في **ذاكرة** جميع الفلسطينيين سواء المقيمين في مخيمات اللجوء أو الذين استطاعوا الإقامة في بلدان بصفة عادية (كما في الجزائر)؛ وهو الأمر الذي تَعبر عنه العلوم الاجتماعية "بالذاكرة الجماعية" حيث تساهم هاته الأخيرة في حفظ هوية الفلسطينيين على اختلاف مشاربهم باعتبارها أحد النقاط التي يلتفون حولها ويشتركون فيها.

-تُعد ظروف الهجرة **القسرية** (اللجوء) متعبة ومنهكة نفسيا تدخل في سياق الأزمات التي قد تواجهها الهوية، وعلى الرغم من تفاوت الأشخاص في تفاعلهم وإدراكهم لمخلفات هذه التجربة إلا أنهم سيعايشون هاته الأزمة بشكل أو بأخر.

ويمكن تلخيص المراحل التي مر بها اللاجئون إلى 3 فترات:

2.1.1.عام النكبة 1948: أظهر بيان الحوت[9] أن النكبة أدت إلى تهجير أكثر من نصف الشعب الفلسطيني خارج ديارهم وإعادة توزيع الخارطة السكانية للفلسطينيين، حيث يرتكز في فلسطين والدول العربية في الأعوام الأخيرة 87 %من مجموع الشعب الفلسطيني بينهم 42% في الدول المجاورة.ويُوضّح ذلك في الجدول(01) الذي قدمه نزار الأخرس[10]:

جدول رقم (01): التوزيع الفلسطيني في المناطق المختلفة سنة 1949.

العدد / المنطقة	الأعـــــداد بالآلاف			النسبة المئوية
	لاجئون	أصليون	مجموع	
أ- داخل فلسطين	542.3	530	-	0.5
الضفة الغربية	323	494	817	51.7
غزة	2193	80	2273	18.9

داخل الخط الأخضر	-	156	156	9.9
ب- خارج فلسطين	307.2	-	307	19.5
لبنان	115.6	-	115.6	7.3
سورية	97.8	-	97.8	6.2
الأردن	80.8	-	80.8	5.1
العراق	4.3	-	4.3	0.3
مصر	8.5	-	8.5	0.5
المجموع	850	730	1580	% 100

من خلال الجدول رقم (01) يتبين لنا ارتفاع أعداد الفلسطينيين بعد سنة فقط من النكبة، حيث قفز المجموع الى 2273 في كل من الضفة والقطاع، إضافة الى بداية ظهور اللاجئين لأول مرة في كل الدول العربية كالأردن وسوريا والعراق ومصر.

2.2.1.حرب 1967: أدت الضربات الجوية ضد المدن الفلسطينية إلى مغادرة آلاف الفلسطينيين طلبا للملجأ بعيدا عن قصف المدفعية الإسرائيلي؛ وهو الأمر الذي ضاعف من مشكلة اللجوء الفلسطيني، حيث أضافت الحرب موجات لجوء جديدة إلى الأردن وقطاع غزة. وكان التهجير في هذه المرة أكثر إيلاماً وعنفاً، مما دفع أكثر من 189 ألف فلسطيني نحو الفرار إلى الضفة الشرقية، وكانت إسرائيل تدعو الفلسطينيين إلى مغادرة بيوتهم بالتهديد وتدفعهم بالتالي إلى الهجرة. وقد نجم عن هذه الحرب لجوء الفلسطينيين للمرة الثانية، حيث كانوا في الأصل لاجئين بنزوح أكثر من 350.000 من الفلسطينيين(انظر: ريبورتاج الجزيرة*).

ويذكر نزار الأخرس[10]ص72 أن هذا العدد من الفلسطينيين يشار إليهم غالبا على أنهم نازحو 1967 بسبب وجود الضفة الغربية عند نزوحهم تحت الحكم الأردني؛ الأمر الذي يعني أنهم لم يَعبروا "حدودا دولية في بحثهم عن ملجأ لهم في الأردن".

أما الفلسطينيون المهاجرون داخل الضفة والقدس والذي يبلغ عددهم حسب بعض التقديرات حوالي 400 ألف فيطلق عليهم اسم "المهجرين داخليا"، لأن حالهم يُشبه حال اللاجئين وذلك بسبب توفر

وثيقة قانونية ملتزمة تحدد حقوق الأشخاص المهاجرين في الداخل. وتكمن هذه الحقوق والالتزامات والضمانات في العناصر التالية:

- الحماية أثناء فترة التهجير،

- توفير الحماية والمساعدة الإنسانية أثناء فترة العودة أو التوطين والاندماج ثانية.

ومن جهته يشير سلمان أبو ستة [11] الى أنه حين استفحلت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، تدخل المجتمع الدولي بزعامة الأمم المتحدة التي قامت بتحويل القضية من قضية سياسية (شعب يطرد من أرضه بقوة السلاح) إلى قضية إنسانية (شعب يبحث عن مأوى وطعام). لذلك تم إنشاء وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأنوروا" (UNRPR) في 8 ديسمبر 1949 وباشرت الوكالة عملها في 1 ماي 1950، كانت مهمتها تنحصر في تقديم مساعدات طارئة لمئات الآلاف من الفلسطينيين المُشردين.

ويُوضّح نصري صالح [12] أن هذه الوكالة اعتمدت في عملها على تعريف صاغته للاجئ الفلسطيني، مُهملة اللاجئين المتواجدين في مناطق لا تمارس فيها عملياتها، وهو ما أظهره المسح الذي أجري في سنة 1996 في أن 25% من اللاجئين الفلسطينيين غير مسجلين لدى الأنوروا، وبالتالي فإن نشاطها كان محدودا خاصة أنها ممولة من طرف الدول الغنية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والتي تتدخل في وضع سياستها وتشكيلها الإداري.

3.1. تعاريف خاصة باللاجئ الفلسطيني:

هناك عنصر أساسي في اللجوء يتصل اتصالا وثيقا بأولئك الذين غادروا وطنهم أو مسكنهم الاعتيادي خوفا من الاضطهاد، وكانوا نتيجة هذا الخوف غير قادرين أو غير راغبين في العودة إليه. أما بالنسبة إلى حالة اللاجئين الفلسطينيين، فالوضع على النقيض وهذا ما سيتم توضيحه خلال مجموعة التعاريف المقدمة في هذا الفصل.

1.3.1.مفهوم اللاجئ الفلسطيني في القانون الدولي:

إن وضع تعريف خاص باللاجئين الفلسطينيين من قبل المجتمع الدولي يُعبّر عن مدى مسؤولية هذا المجتمع عن نكبة هذا الشعب وتحويله إلى لاجئين، وعن الموقف الأخلاقي-الإنساني تجاههم. وفيما يلي، سنلقي الضوء على أهم التعاريف إلى صاغها المجتمع الدولي.

- مفهوم اللاجئ الفلسطيني حسب ميثاق الأمم المتحدة لعام 1951: أشار سعيد سلامة [13] إلى أن مصطلح "اللاجئ" عموما ينطبق على أي شخص مقيم خارج وطنه بسبب خوف مبرر

من التعرض للاضطهاد لأسباب تعود إلى العرق والدين والجنسية والعضوية في مجموعة معينة أو رأي سياسي، وغير قادر أو غير راغب بسبب هذا الخوف أن يستفيد من حماية هذا البلد له أو لا يملك الجنسية وكونه خارج بلد إقامته لا يستطيع أو لا يرغب في العودة إلى وطنه.

ويظهر إبراهيم الجندي [14] ص 08 أن اللاجئين الفلسطينيين المسجلين مع وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) قد تم استثناؤهم قانونيا من تعريف المؤتمر، وتنص الفقرة (أ.د) من هذا الميثاق على ما يلي "عدم جواز تطبيق هذا الميثاق على الأشخاص الذين يتلقون في الوقت الحاضر حماية ومعونة من أجهزة ووكالات الأمم المتحدة عبر المفوضية العليا اللاجئين".

- مفهوم اللاجئ الفلسطيني حسب وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين (الأونروا): يشير سعيد سلامة [13] إلى أن اللاجئ الفلسطيني حسب "الانوروا" هو الشخص الذي كان مكان إقامته العادية في فلسطين لمدة لا تقل عن عامين سابقين لنشوب النزاع العربي-الإسرائيلي عام 1948، وهو الشخص الذي فقد جراء ذلك النزاع بيته وسبل معيشته، وأصبح لاجئا ومسجلا لديها في أحد الأقطار التي تمارس فيها الوكالة عملها. وقد تم توسيع هذا التعريف لاحقا ليشمل أبناء وأحفاد اللاجئين الذين يستفيدون من خدمات الوكالة المقدمة شريطة أن يكونوا مسجلين لديها ويقطنون في مناطق عملها.

2.3.1.مفهوم اللاجئ الفلسطيني حسب جامعة الدول العربية: لم تضع جامعة الدول العربية تعريفا محددا للاجئ، إذ بعد المراجعة العامة لكافة القرارات والتشريعات التي وضعتها جامعة الدول العربية بخصوص اللاجئين الفلسطينيين لم نجد تعريفا محددا، إنما استخلصنا –لتوضيح ذلك- مجموعة قرارات وتشريعات بخصوص ذلك، وهي:

- جمع شمل الأسر الفلسطينية المشتتة ومنحهم وثائق سفر موحدة،

- تسهيل سفر وإقامة الفلسطينيين ومعاملتهم في الدول العربية،

- منح جنسية بعض الدول العربية لبعض اللاجئين،

- منح جوازات سفر مؤقتة.

ويضيف نزار الاخرس[10] أنه لا توجد اتفاقيات عربية جماعية على غرار الاتفاقيات الدولية أو الإقليمية لتنظيم الأوضاع الخاصة باللاجئين في الوطن العربي، حيث يوجد في البلدان العربية ما يُقدر 1.400.000 لاجئ من جنوب غرب آسيا والقرن الأفريقي والشرق الأوسط.

3.3.1.مفهوم اللاجئ الفلسطيني حسب دائرة شؤون اللاجئين: أوضّح سعيد سلامة [13] ص 89 أن دائرة شؤون اللاجئين قدمت سنة 1999 التعريف الذي بموجبه يتم تعامل منظمة "فتح" مع قضية اللاجئين "وهو أي شخص كان في29 من تشرين الثاني 1948 أو بعد هذا التاريخ موطنا فلسطينيا وفقا لقانون المواطنة الفلسطيني الصادر في 24 من تموز 1925، أو كان في التاريخ المذكور أو بعده مقيما بشكل دائم في فلسطين ولم يكن مواطنا في أي بلد أخر أو كانت جنسيته غير محددة وغير واضحة، أو اجبر على ترك مكان إقامته الطبيعي بسبب الحرب، ولم يكن بإمكانه الرجوع إليه نتيجة إجراءات وممارسات السلطات الإسرائيلية، أو كان خارج مكان إقامته الطبيعي في 29 تشرين الثاني 1947 أو بعد هذا التاريخ ولم يكن بإمكانه الرجوع بسبب الحرب أو نتيجة إجراءات وممارسات السلطات الإسرائيلية، أو فَقد في أي وقت من فترة ما بين 1949 و 1974 مصدر رزقه نتيجة الحرب أو بسبب إجراءات وممارسات السلطات الإسرائيلية سواء كان هذا اللاجئ:

- أحد سكان الضفة الغربية أو قطاع غزة الذي فقد عمله في المناطق الخاضعة لإسرائيل،
- أحد أفراد القبائل البدوية الذي لم يكن بإمكانه الوصول إلى المناطق الخاضعة لإسرائيل،
- ذرية اللاجئين الفلسطينيين وأزواجهم من اللاجئين المذكورين أعلاه سواء أكان هؤلاء الأشخاص أحياء أم لا.

وبناءا على ذلك، فقد بيّن ميشيل فارشوسكي[15] أن جميع التعاريف السابقة لم تستطع التّعبير عن مفهوم شامل للاجئ الفلسطيني، إما لأسباب إقليمية أو سياسية أو فنية إجرائية. ولتحقيق الدقة المطلوبة سنجتهد عبر تصور شامل وقراءة عميقة للتعريفات الدولية والإقليمية الى إضافة بعض المجموعات من اللاجئين والتي لم تُشير التعريفات السابقة إليهم، وهم:

- اللاجئون الفلسطينيون نتيجة حرب 1948 وأصبحوا في أماكن لا تقع ضمن دائرة عمل "الأونروا" كما في مصر وشمال إفريقيا ومنطقة الخليج،
- النازحون الفلسطينيون داخليا، الذين بقوا في المساحة التي أصبحت إسرائيل وكانوا أساسا تحت مسؤولية "الأونروا"، ولكنهم استثنوا لاحقا على افتراض أن إسرائيل تعالج وضعهم،
- "القادمون المتأخرون"، أي أولئك الذين غادروا الأراضي المحتلة بغرض الدراسة أو العمل أو الزيارة وغيرها، وانتهت تصاريح الزيارة التي رُخصت لهم ومنعتهم إسرائيل من العودة.

4.1. واقع وحجم مشكلة اللجوء الفلسطيني:

أدت النكبة في عام 1948 إلى تهجير نصف الشعب الفلسطيني خارج دياره وإلى إعادة توزيع الخارطة السكانية للفلسطينيين. وأشار ماجد العراوري[16] إلى أنه يوجد في فلسطين والدول العربية المجاورة في الأعوام الأخيرة نحو 78 % من مجموع الشعب الفلسطيني بينهم 42.3 % في الدول المجاورة.

ويُوضّح محسن محمد صالح [17] ص 27 أن الفلسطينيين وجدوا أنفسهم فجأة في مجتمعات للاجئين: يسكنون الخيام والكهوف والمغائر ولا يجدون ما يسدّون به أدنى متطلبات حياتهم اليومية، من طعام و علاج و تعليم أو عمل كريم ودون خدمات مياه. ولا تزال مجتمعات اللاجئين في لبنان وسوريا والأردن وحتى في الضفة شاهدا على أوضاعهم المأساوية التي مضى عليها أكثر من 50 عاما، والتي قابلها المجتمع الدولي بعدم اكتراث.

ويُقدر موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية [18] بإضافة الى الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني- بناء على نتائج التعداد السكاني عدد أبناء الشعب الفلسطيني من المقيمين في فلسطين أو في الشتات لسنة 2008 حوالي 10.654.541 نسمة يتوزعون كما يتبيّن في الجدول (02):

جدول رقم (02): الشعب الفلسطيني وتوزيعه في الوطن والشتات سنة2008.

الدولة	عدد الفلسطينيين	ملاحظات/ نسمة
الضفة الغربية	2.345107	منهم 745.776لاجيء
قطاع غزة	1.416.530	منهم 1.048.125 لاجئ
الأراضي المحتلة 1948	1.457.465	-
الأردن	3.170.000	منهم1.903.490 لاجئ مسجل
لبنان	423972	-
سوريا	451467	-
باقي الدول العربية	790000	-
أمريكا وأوروبا ودول أخرى	600000	-
الإجمالي	10.654.541 م/ ن	-

ويُقدّر عدد اللاجئين الفلسطينيين المسجلين بالاستناد إلى تقديرات "الاونروا" لسنة 2008 نحو 4.572.830 نسمة؛ أي بنسبة 43% من إجمالي الشعب الفلسطيني.

مع العلم أن الفلسطينيين غير المسجلين في سجلات اللاجئين لدى وكالة الأمم المتحدة من فلسطينيو الشتات يبلغ تعدادهم 2.656.510 نسمة؛ أي بنسبة 24.9% من مجموع أبناء الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات. وحسب موقع الأونروا [19] فهم موزعين حسب ما يُظهره الجدول رقم(03):

جدول رقم(03): يُبيّن عدد اللاجئين الفلسطينيين غير المسجلين في الاونوروا.

الفلسطينيون في الشتات غير المسجلين في الاونروا (بالمليون)	
الدولة	**العدد**
الأردن	1.266.510
باقي الدول العربية	790.000

.048.125 لاجئ؛ أي بنسبة 73.9% من مجموع سكان القطاع، وبلغ عدد اللاجئين في الضفة الغربية نحو 745.776 لاجئ؛ أي بنسبة 31.8% من مجموع سكان الضفة. أما نسبة اللاجئين في الضفة والقطاع إلى مجموع السكان فيهما وصلت الى 47.6%.

وبخصوص نسبة اللاجئين المقيمين داخل مخيمات قطاع غزة إلى إجمالي سكان القطاع، فقد بلغت نسبتهم 33.9%، فيحين قدرّت نسبة اللاجئين المقيمين داخل مخيمات الضفة الغربية 8.3 % من مجموع سكان الضفة؛ وهو ما يُوضحه الجدول (04):

جدول رقم (04): اللاجئون الفلسطينيون بقطاع غزة في سنة 2008.

المنطقة	**اسم المخيم**	**سنة الإنشاء**	**عدد اللاجئين**
دير البلح	دير البلح، المغازي	1953	43.788
خان يونس	خان يونس	1948	26.181
النصيرات	النصيرات، البريج	1952	62.029
رفح	رفح	1949	97.889
غزة	الشاطئ	1951	80.915
جباليا	جباليا	1954	107.37
إجمالي اللاجئين في غزة		**1048125**	

وفي هذا السياق، فان الكثافة السكانية في قطاع غزة تبلغ 3880 فرداً لكل كيلو متر مربع من المساحة الإجمالية البالغة 365 كم^2. أما إذا احتسبنا الكثافة السكانية ارتباطا بالمساحة المبنية فعلا في القطاع والتي لا تتجاوز 90 كيلو متر مربع، فإن الكثافة ترتفع إلى 15750 نسمة لكل كيلو متر مربع ، وهي من ضمن أعلى نسب الكثافة في العالم.

ويلخص الجدول رقم (05) الوضع في الضفة الغربية حسب أخر إحصاءات قدمتها "الأونروا" في تقريريها لسنة 2008.

جدول رقم (05): اللاجئون الفلسطينيون بالضفة الغربية في سنة 2008.

المنطقة	اسم المخيم	سنة الإنشاء	عدد اللاجئين
نابلس	عسكر، بلاطة، الفارعة، مخيم(1)	1953-1948	218.679
طولكرم	طولكرم	1950	
جنين	جنين	1953	
القدس	شعفاط، الامعري، دير عمار الحلزون، قلنديا	1953 -1948	173,917
الخليل	بيت جبرية والدهيشة وعايدة والفوار والعروب	1949-1984	134,283
أريحا		1948	10,548
المجموع	745.776		

ويشير نبيل الطويل [20] إلى أن كل هذه الممارسات العدوانية المستمرة إلى يومنا هذا في سياق الصراع التاريخي الوجودي مع العدو الصهيوني، لم تنجح في اقتلاع هذا الشعب من أرضه بالكامل، وفق المخططات التي رسمت لهذه الغاية. فبعد ستين عاما على النكبة تشير التقديرات إلى أن ما يقرب من 70% من مجموع الفلسطينيين هم من مواليد فلسطين أي حوالي 7.4 مليون نسمة؛ منهم 5.22 مليون نسمة يعيشون اليوم في مدن ومخيمات الضفة والقطاع ومدن وقرى الأراضي المحتلة 1948. وبعكس الحال، فان مجموع الإسرائيليين المولودين في فلسطين المحتلة لا تتجاوز نسبتهم 35% من مجموع الإسرائيليين كما في عام 2006، والباقي المقدِّر نسبتهم بـ65% فإنهم وفدوا من بلدان أوروبية (خاصة من الاتحاد السوفيتي سابقا) وبلدان عربية وأفريقية وآسيوية و جنسيات متنوعة ومختلفة في أصولها وتاريخها وجنسها ولغتها وتطورها الحضاري.

2.4.1.اللاجئون الفلسطينيون في الدول العربية المجاورة: نص بروتوكول الدار البيضاء الذي وُقع في 1965/9/11على "ضرورة معاملة الفلسطينيين في الدول العربية التي يقيمون فيها معاملة رعايا في إقامتهم وسفرهم وتيسير فرص العمل لهم مع احتفاظهم بالجنسية الفلسطينية".

وأوضّح علي هويدي [21] أن التزام الدول العربية بقرارات الدار البيضاء لعام 1965 لم يكن بالدرجة نفسها وإنما خضع في كثير من الأحيان لاعتبارات سياسية تقدّرها الدول نفسها. كما أن معاملة اللاجئين الفلسطينيين في بقية الدول العربية لا تنظمها قوانين وتشريعات واضحة صادرة عن السلطة التشريعية في هذه الدول.

وفي ظل هذه الظروف الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، بقيت الدول العربية المضيفة لهؤلاء للاجئين الفلسطينيين تتعامل معهم انطلاقاً من معايير مختلفة: فالأردن على سبيل المثال منح الجنسية الأردنية للفلسطينيين الذين يعيشون في الأردن بعد ضم الضفة الغربية، أما سوريا منحت الفلسطينيين المتواجدين على أرضها معظم حقوق المواطنة باستثناء الجنسية، بينما بقي تعامل لبنان مع الفلسطيني على أرضه بصفته لاجئ ترعاه مؤسسة "الأونروا".

وقد نجم عن هذا الوضع تغييب معظم الالتزامات الواجبة على الدول العربية وبالتالي التعامل مع الفلسطيني تارةً "كلاجئ" عربي وتارة أخرى بصفته "أجنبي" تبعاً لمقتضيات ومعايير أدت لتهرب الدول عن استحقاقات قانونية ملزمة لها.

ومن المفيد أن نلقي نظرة على أعداد وتمركز اللاجئين في الأردن وسوريا ولبنان، باعتبارهم المناطق الأكثر استيعابا للفلسطينيين.

- الأردن: تقوم بين الشعبين الأردني والفلسطيني علاقات خاصة ومميزة تستمد عناصرها من عمق الأواصر القومية والتاريخية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية التي تربط بين الأردن وفلسطين أرضاً وشعباً . ولوجود الفلسطينيين في الأردن خصوصية لا مثيل لها عن باقي الدول المضيفة؛ فهم إلى جانب كونهم لاجئين، يتمتعون بحقوق المواطنة كمواطنين أردنيين؛ وهو الأمر الذي ألقى بظلال الشك على العديد من جوانب العلاقة بين الشعبين خاصة في ظل سياسات متناقضة يعيشها الأردن. وبالتالي، فإن اللاجئين الفلسطينيين في الأردن أردنيون يتمتعون بكامل حقوق المواطن الأردني وواجباته، وهم أيضاً فلسطينيون يتحملون واجبات النضال من أجل قضيتهم العادلة في تقرير المصير والاستقلال والعودة إلى ديارهم باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني الموحد على أرض فلسطين والشتات، وهم ملزمون بهذه الواجبات إلى أن تحل قضيتهم.

وتدعيما لما ورد، أشار جورج حبش [22] إلى أن نسبة اللاجئين الفلسطينيين تصل في الأردن إلى 42 % من مجموع اللاجئين مقابل 22 % في قطاع غزة و 15.6 في الضفة الغربية 10% في لبنان و 10.2 % في سوريا. وباعتبار أن الأردن تضم أكبر نسبة من اللاجئين الفلسطينيين. سنذكر المخيمات الأكثر عددا حسب ما يظهر في الجدول رقم(06):

جدول رقم (06): يوضح أهم المخيمات ومواقعها في الأردن في سنة 2008.

المنطقة	المخيم	الإنشاء	المساحة	داخل المخيم	خارج المخيم
شمال عمان	جبل الحسين	1952	367	29,571	379994
	البقعة	1968	1400	91,392	
جنوب عمان	الوحدات	1955	488	50,797	476,049
	الطالبية	1968	130	6269	
منطقة الزرقاء	مخيم الزرقاء	1949	180	18,419	480,359
	مخيم حطين(ماركا)	1968	917	44,512	
منطقة إربد	مخيم اربد	1951	244	24,934	236,620
	مخيم الحصن	1968	774	21,646	
	مخيم سوف	1968	750	19,582	
جرش	مخيم غزة(جرش)	1967	500	23,282	–
الإجمالي			**5750**	**330468**	**1573022**
إجمالي عدد اللاجئين في الأردن					**1,903,490**

- سوريا: وفرت سوريا حسب ما ذكر محمد عبد الهادي[23] حقوقا مدنية دون حقوق سياسية وحقوق تملك بقيود. ويعتبر القانون رقم 260 الصادر في10 جويلية 1965 الأساس الناظم لأوضاع للاجئين الفلسطينيين في سوريا، إذ "يعتبر الفلسطينيون المقيمون في أراضي الجمهورية العربية السورية كالسوريين أصلاً في جميع ما نصت عليه القوانين والأنظمة النافذة وبحقوق التوظيف والعمل والتجارة وخدمة العلم مع احتفاظهم بجنسيتهم الأصلية" ويحمل اللاجئون الفلسطينيون في سوريا بطاقة كتب عليها "تذكرة إقامة مؤقتة للفلسطينيين". وتوجد عشرة مخيمات بسوريا؛ أربعة منها

قبل حرب 1967 وتعذر التوصل إلى مساحة أي منها، وإن تم رصد مساكن بعضها، خاصة سنة 1982.وهذه أهم المخيمات حسب ما يُوضّحه الجدول رقم(07):

جدول رقم (07): اللاجئون الفلسطينيون بسوريا في سنة 2008.

المنطقة	المخيم	الإنشاء	المساحة	داخل المخيم	خارج المخيم
دمشق	خان الشيخ	1948	180	17,427	283,678
	خان ذا النون	1950	80	9,155	
	سبينة	1968	85	19,518	
	الست زينب	1968	85	20,780	
	جرمانة	1968	80	3,719	
النيرب	حلب	1950	200	18,466	14507
حمص	حمص	1949	140	13,767	17146
حماة	حماة	1950	70	7,943	
درعا	درعا	1950	45	5,121	15753
	درعا (الطوارئ)	1967	30	4,487	
المجموع			**995**	**120,383**	**331,084**
إجمالي عدد اللاجئين في سوريا				**451,467**	

- لبنان: من الناحية الرسمية تُدعم الحكومات اللبنانية في كل مواقفها قضية اللاجئين الفلسطينيين، وتؤكد حقّهم في العودة وفقاً للقرار الدولي رقم 194 الصادر عام 1949. أما من الناحية الفعلية، فإن السلطات اللبنانية تعتبر اللاجئين الفلسطينيين من "الفئات الأجنبية" [24] ، حيث تعاملهم من الناحية القانونية على هذا الأساس. ويشير محمد أحمد مصطفى [25] إلى أن معظم القوانين اللبنانية التي تنظم شؤون اللاجئين الفلسطينيين تنطلق من مبدأ- المعاملة بالمثل-الساري بين الدول. وطالما لا توجد دولة فلسطينية تعامل اللبنانيين بالمثل، فإن اللاجئين الفلسطينيين في لبنان لا يحصلون على حقوقهم في التعليم والطبابة والعمل والضمان الصحي والاجتماعي والانتساب إلى النقابات.

تشير سهيل الناطور[26] انه حتى لا تتحمل الحكومة اللبنانية التبعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للاجئين، فإنها لا تمارس أي دور في إدارة شؤون المخيمات والتجمعات الفلسطينية، وبذلك ليس للوزارات أو المؤسسات أو البلديات اللبنانية أي دور اتجاه الشؤون الحياتية أو اليومية للفلسطينيين، باستثناء الدور الرسمي الذي تمارسه الحكومة اللبنانية لجهة تسجيل اللاجئين ومنحهم بطاقات هوية ووثائق سفر، وخضوع الفلسطينيين للقوانين اللبنانية من أصول محاكمات وأحوال مدنية وتجارية. تضم لبنان أربعة عشر مخيما فلسطينيا، تنتشر هذه المخيمات في خمس مناطق، وهي: بيروت، طرابلس، صيدا، صور، البقاع. وكلها تأسست بعد نكبة 1948 وقبل نكسة 1967، ونعرض في الجدول رقم(08) أهم المخيمات.

جدول رقم (08): اللاجئون الفلسطينيون بلبنان في سنة 2008.

المنطقة	المخيم	الإنشاء	المساحة	داخل المخيم	خارج المخيم
بيروت	مار الياس	1952	6	616	49271
الجبل	برج البراجنة	1948	104	15,798	43393
	دكوانة		.....	9,297	
	ضبية	1956	83	4,035	
	شاتيلا	1949	40	8,437	
صيدا	عين الحلوة	1948	420	46,382	42577
	نباتية		.....	7,324	
	المية مية -	1948	54	4,600	
صور	البص	1949	80	9,581	50009
	الرشيدية	1948	267	26,617	
	برج الشمالي	1955	14	19,224	
طرابلس	نهر البارد	1949	198	31,722	10851
	البدواي	1956	200	16,089	
البقاع	ويفل	1949	43	7,709	8669
لاجئون من المخيمات المدمرة موزعين داخل المخيمات				10,010	ـــــ
المجموع			1, 509	217,441	206531
إجمالي عدد اللاجئين في لبنان				423,972	

3.4.1.اللاجئون الفلسطينيون في باقي الدول العربية: لا جدال في صدق المشاعر العربية تجاه فلسطين، إذ كانت كل الدول العربية تسعى دائما للحفاظ على الهوية الوطنية عن طريق التأكيد على وضع الفلسطينيين كلاجئين وذلك بهدف حفظ قضيتهم، ففي الوقت الذي منحت فيه الأردن الجنسية الأردنية للاجئين الفلسطينيين قامت بعض الدول العربية بما فيها مصر والعراق وسوريا ولبنان بمنحهم وثائق سفر مقدمة من جامعة الدول العربية (وثائق اللاجئين)، والجدير بالذكر هنا أن الجنسية المزدوجة بين الدول العربية غير مسموح بها في الأساس.

أشار سعيد سلامة [13] إلى أنه على الرغم من صدور مجموعة من القرارات العربية على غرار قرار الدار البيضاء سنة 1965 والذي نص في مجمله على المحافظة على الكيان الفلسطيني من خلال تمكين الفلسطينيين من الاحتفاظ بجنسيتهم والسماح لهم بالعمل أسوة بالمواطنين إضافة الى مجموعة من الحقوق التي يمكن الإطلاع عليها في البرتوكول نفسه، إلا أن الدول العربية لم تلزم نفسها تطبيق هذه القرارات بشكل ثابت.

وفي هذا السياق، يُبّين دافيد جيلمور[27] كيف أن ليبيا صادقت على بروتوكول الدار البيضاء، إلا أنها تحفظت على مادته الأولى مقترحة تعديلها ومساواة الفلسطينيين في المعاملة "أسوة بمعاملة بقية مواطني الدول العربية"بدلاً من "أسوة بالمواطنين الليبيين".

أما السعودية فلم توقع على بروتوكول الدار البيضاء، ونظرت الدول الخليجية إلى العمالة الفلسطينية كغيرها من العمالة الأجنبية على أنها عمالة مهاجرة يكون لزاماً فيها على العمال والمستخدمين العودة إلى دول اللجوء الأولى التي يحمل اللاجئ الفلسطيني جنسيتها أو وثيقة السفر الصادرة عنها.

وقد غيّر الرئيس أنور السادات وضع اللاجئين الفلسطينيين في مصر من مقيمين دائمين يتمتعون بكافة الحقوق المدنية التي يتمتع بها المصريون، إلى أجانب محرومين من هذه الحقوق، وذلك إثر إقدام فصيل صغير منشق على منظمة التحرير الفلسطينية، بقتل الكاتب المصري يوسف السباعي في قبرص في نهاية السبعينات.أما في الكويت، فقد تعرض اللاجئون الفلسطينيون لعمليات طرد جماعي إثر غزو الكويت كعقوبة لموقف سياسي مؤيد لموقف العراق اتخذته زعامة منظمة التحرير عام 1991.

وفي نفس السياق، يرى شفيق الحوت [28] أن أغلب الدول العربية المضيفة، نظرت إلى وكالة الغوث باعتبارها تعبيراً عن اعتراف المجتمع الدولي بمسؤوليته عما لحق باللاجئين من مآسٍ ونكبات. لذلك، حملت هذه الدول وكالة الغوث المسؤولية كاملة عن إغاثة اللاجئين وإعادة بناء مجتمعهم الممزق. وقد تبنت الأجهزة الأمنية العربية فكرة المخيم، كمساحة جغرافية، يتم خلف

أسوارها حجز اللاجئين في تجمعات سكانية، تحت المراقبة الأمنية اليومية للأجهزة المعنية، وتشكل وكالة الغوث الجهاز الإداري المشرف على أوضاع المخيم، وتأمين الخدمات الضرورية له في مجالات البيئة والصحة والتعليم والإغاثة وتوفير الغذاء والمأوى والملبس وغير ذلك من المستلزمات الضرورية.

إن الإشارة لهذه الحيثيات المتعلقة بالوضع القانوني للاجئين الفلسطينيين في الدول العربية يُشكل محور معرفتنا لوضعهم، لأنه يتأثر بما تمليه عليهم الظروف الإجبارية التي يتقاسمونها وتحدد موقفهم من الأخر وتصقل معرفتهم لأنفسهم.

4.4.1.اللاجئون الفلسطينيون في أوربا: مع نهاية 1948 تزايدت هجرة الفلسطينيين إلى أوربا خاصة إلى بريطانيا، حيث وصل العدد حسب ما ذكره عباس شبلاق [29] سنة 1948 إلى 800.00 معظمهم موظفين والأقلية منهم طلاب، انفصلوا عن عائلاتهم واستطاعوا الحصول على جواز سفر بريطاني.

ويمكن القول أنه لحد الساعة لا توجد إحصائيات رسمية ودقيقة لتعداد ووضع الفلسطينيين في أوربا، وقد يرجع الأمر إلى عدة أسباب أهمها: عدم وجود أي حصر رسمي لهم في ظل القوانين المحلية التي لا تعترف بهم في كثير من الأحيان كجنسية منفصلة ومحددة؛ بل أن جميع الدول الأوربية تضع الفلسطينيين ضمن تقسيمات مثل الشرق الأوسط أو آخرين أو تردهم إلى الدول التي قدموا منها أو الدول التي يحملون مستنداتها الرسمية كالوثائق أو الجوازات أو اعتبارهم بدون وطن (Stateless).

ويُقدر عباس شبلاق [30] عدد الفلسطينيين في أوروبا، عموما، بحوالي 200000 فلسطيني وذلك حسب المعلومات المقدمة من طرف المجلس الأوربي، لكن الحقيقة أن هذه الأرقام -وللأسباب التي تم الإشارة إليها سابقا- غير دقيقة لأن الأمر المؤكد أن العدد الإجمالي للفلسطينيين أكبر بكثير من الرقم الذي جرى ذكره، حتى أن بعض التقديرات تشير إلى أن عدد الفلسطينيين في ألمانيا وحدها يتجاوز الـ 200000، وفي بريطانيا حوالي 50000.

والجدول رقم(09) يلخص تعداد الفلسطينيين في أوربا حسب ما ورد عن عباس شبلاق[30]

جدول رقم(09) يبين عدد اللاجئين الفلسطينيين بأوربا في سنة2001.

البلد	العدد بالتقريب
ألمانيا	80.000
اسكندنافيا	50.000
بريطانيا	20.000
اسبانيا	12.000
فرنسا	5.000
اليونان	4.000
بلدان أخرى	20.000
المجموع	191.000

من خلال القراءة الأولية للجدول رقم (09) يتضح لنا تمركز أغلبية الجالية الفلسطينية في ألمانيا والدول الاسكندينافية للأسباب التي أشرنا إليها سابقا، مع العلم أن هذه التقديرات لا تزال يشوبها الغموض.

وفي منتصف الستينات استطاع بعض المتحصلين على جواز سفر أردني الإقامة في ألمانيا بحكم الاتفاقية التي تمت بين الحكومتين الألمانية والأردنية بهدف تعمير ألمانيا.

ومن جهته، أوضح ساري [31] أنه مع تفاقم الوضع نهاية 1967 وعدم اكتراث إسرائيل لأكثر من 300.00 فلسطيني لم يتمكنوا من الرجوع إلى أرضهم، وبالتالي فقدوا حقوق الإقامة وأصبحوا لاجئين لمرة أخرى إذ كانوا في الأصل من حيفا وبعض المدن، ولم يستطيعوا الدخول إلى الضفة الغربية والقطاع، وحتى هذا التاريخ لا توجد أي عوامل واضحة لاستقرار الفلسطينيين في أوربا. ولكن بعد ذلك وكنتيجة للتضييق السياسي الذي شهدته المنطقة تزايد عدد الفلسطينيين المهاجرين إلى أوربا خاصة مع تزايد الرغبة في التخلص منهم وتصفيتهم عرقيا وذلك بطرق إدارية. وتزامن ذلك

مع الصراعات بين الحركات التحررية والسلطات العربية مثل المواجهة العسكرية في الأردن سنة 1970 والحرب الأهلية في لبنان.

وسنعرض فيما يلي وضع الجالية الفلسطينية في أوربا حسب أهم المناطق التي يرتكزون فيها:

- ألمانيا: تشير التقديرات حسب سمارا [32] إلى أن هناك ما يقارب من 20000 إلى 80000 فلسطيني يقيم في ألمانيا ويتركز معظمهم في مدينة برلين. تنقسم غالبية الجالية الفلسطينية إلى مجموعتين أساسيتين: لاجئين من مخيمات لبنان وصلوا بعد الاجتماع الإسرائيلي عام 1982، ولاجئين من أبناء قطاع غزة تمركزوا عقب اندلاع الانتفاضة الأولى عام 1987 ومعظمهم من الشباب، يغلب عليهم تدني المستوى التعليمي وصعوبات من ناحية اللغة والتخاطب وانتشار البطالة والعمل في المهن الحرفية، ويعتمد الكثير من هؤلاء على المعونات الاجتماعية التي تقدمها الدولة. كما تعاني فئة السيدات في ألمانيا من شعور بالانطوائية والعزلة، حيث تتشكل غالبيتهن من زوجات التحقن بأزواجهن وتجد صعوبة في التعامل مع أبنائهن لضعفهن في اللغة الألمانية التي يجيدها الأبناء. تتميز الجالية الفلسطينية في ألمانيا بانعدام التنسيق بما يناسبها، حيث يوجد أكثر من جالية رسمية في المدن الرئيسية.

- الدول الاسكندينافية: يشير عباس شبلاق [30] الى أن هناك تشابه كبير في الخصائص بين الجالية الفلسطينية في الدول الاسكندينافية وألمانيا، ولكن يضاف إليها أن الكثيرين من أبناء الجالية فيها تعاني من أمراض نفسية وتتعلق بتجاربهم المأساوية السابقة وخاصة ضغط ما بعد الصدمة (Post Traumatic stress syndrome)، أقل من 5% يتجه نحو التعليم العالي، وبشكل عام ينظر أبناء الجالية بعين الشك والريبة لمحاولات دمجهم في المجتمعات المضيفة وبنظرة سلبية واضحة، عبّر عنها أحد اللاجئين في الدانمارك بقوله: " نحن هناك في حالة تقاعد مبكر، في لبنان كنا نموت ببطء أما هنا فالموت سريع".

إضافة للتصادم الثقافي والاجتماعي بين المجتمعات الأصلية المحافظة نوعا ما والمجتمعات الغربية الأكثر انفتاحا، يلاحظ أيضا ارتفاع نسبة الطلاق بين أبناء الجالية وانعدام التواصل والتباين الجغرافي مع غياب حضور فاعل وحقيقي لجالية منظمة.

- بريطانيا: يشير عباس شبلاق[30] إلى أن هناك اختلاف بين الجالية الفلسطينية في بريطانيا عن مثيلاتها في ألمانيا والدول الاسكندينافية، حيث وصلت موجات الهجرة الأولى في الأربعينات عقب النكبة مباشرة وتلتها هجرات متعاقبة كان أخرها عقب حرب الخليج الثانية عندما التحق عدد كبير من

سكان الخارج الميسورين نسبيا بأبنائهم المقيمين في بريطانيا، والاتجاه العام للجالية في بريطانيا هو تعليمي، إذ حصل العديد منهم على شهادات عليا واحتلوا مواقع مرموقة في الجامعات والمستشفيات البريطانية.

وبالرغم من الوجود المميز للجالية الفلسطينية في بريطانيا إلا أن حجم التفاعل مع القضايا الوطنية يبقى محدودا وخاصة أن هناك طبقة تحاول الاندماج بشكل كبير مع المجتمع البريطاني والانتقال عن مجريات الأحداث في فلسطين.

- فرنسا: ذكر عباس شبلاق[30] أن وضع الجالية الفلسطينية في فرنسا يتميز بالعديد من الأمور من بينها غياب أي تمثيل رسمي للفلسطينيين في فرنسا وانعدام وجود المؤسسات حتى الأهلية مع ضعف واضح في التواصل فيما بين أبناء الجالية وسعي واضح نحو الاندماج في المجتمع الفرنسي. كما يعتمد معظم الطلبة الفلسطينيين في فرنسا والمقدر عددهم بحوالي 300 طالب على دعم أسرهم من الخارج بعكس الطلبة في ألمانيا الذين يتلقون مساعدات من الحكومة. ورغم التواجد والانتشار الجغرافي للفلسطينيين في أوروبا بشكل ملموس وواضح، إلا أن الافتقار إلى وجود إحصاءات أو دراسات معمقة ودقيقة لا يزال قائما لعدم وجود جهة تأخذ على عاتقها القيام بهذه المهمة.

ويضيف حنفي [33] أنه بعد هذه المرحلة، بدأ أول المهاجرين من المقاولين والأثرياء استثماراتهم كبديل للبنان خاصة بعد حرب 1982، تبعها سهولة تنقل المختصين من أطباء ومهندسين ومعلمين ورغبتهم الجماعية في العيش في أوربا خاصة بعد أن هُدمت مخيماتهم في لبنان، وكانت الواجهة هذه المرة إلى ألمانيا واسكندنافيا وأوربا الغربية، حيث وفرت هذه الدول الأمن والحرية السياسية والحق في العمل وجواز السفر وحقوق المواطنة تقريبا كاملة.

وقد وضعت أوربا هذه المرة شروطا جديدة ليس فقط للفلسطينيين ولكن لكل المهاجرين من مناطق النزاع في العالم، وأجبر الفلسطينيون على اتخاذ طرق خطيرة مثل دفع مبالغ تصل إلى 10000 دولارا للشخص الواحد للحصول على حق اللجوء مما نتج عنه تعرضهم للاستغلال الجنسي أحيانا والوصول إلى الواجهة الخطأ أحيانا أخرى.

وبيّن حنفي [31] أنه مع اتفاق "أوسلو" 1993 تم تقليص عدد اللاجئين، وتسجيل 122.00 لاجئ عائد أغلبهم من مؤسسي وإطارات منظمة التحرير(PLO). وعلى الرغم من كل التسهيلات، إلا أن أغلب من تمكن من الرجوع لم يستطع الحصول على بطاقات وجوازات السفر، و30.000 منهم دخلوا بواسطة التصاريح فقط وبقي الحال على ما هو عليه وأصبحوا لا شرعيين للمرة الثانية.

والجدير بالذكر أن الأعمال المتعلقة بالفلسطينيين في أوربا اقتصرت على الواقع السياسي وأهملت الجانب الشخصي الاجتماعي، حيث تطرقت الدراسات الأولى مثل دراسة كودامي [34] في أوربا إلى إشكالية التسمية والمصطلح واعتمدوا على تسمية "الشتات" (Diaspora) ويُعبّر هذا المصطلح عن قبول غير مباشر لهم. ومع انعدام حق العودة وتزايد الحديث عن وضع الفلسطينيين المأساوي تم تغير المصطلح بـ "ضحايا الشتات" (Victims Diaspora) وهي تسمية لم يتم تداولها إلا في الدول الأوربية.

وقد صاغ العاملون في هذا المجال تعاريف مختلفة للاجئين الفلسطينيين في أوربا وتم الخلط بينهم وبين المقيمين بشكل طبيعي. وفيما يلي نورد بعض هذه التعاريف قصد التوضيح.

اعتبر ولكورنر [35] اللاجئين الفلسطينيين "مجموعة من الأفراد يعيشون خارج موطنهم الأصلي".في حين، يشير وليم سافرن [36] إلى أنهم "أعضاء من مجتمع مهاجر ويتقاسمون الخصائص التالية: أنهم وأجدادهم هاجروا من نفس المنطقة (فلسطين)، يشتركون في ذاكرة جماعية ورؤية واحدة عن وطنهم وتاريخهم المشترك، لديهم توقع لرفض المجتمعات المضيفة وبالتالي الشعور بالرفض، الشعور بأن البلد الأصلي هو البلد المثالي الذي يجب أن يعود إليه أولادهم، يؤمنون جماعيا عن مسؤوليتهم في أمن البلد الأصلي".

ومن المهم هنا أن نشير إلى أن الدراسات الأولى بخصوص الوضع الاجتماعي والنفسي لفئة اللاجئين تعود إلى كل من مركز دراسات اللاجئين في أوكسفرد (RSC)وفي مقدمة هذه الدراسات نجد دراسة عباس التي تناول من خلالها الحالة المدنية والشخصية للفلسطينيين المقيمين بالدول المضيفة. ضافة إلى إسهامات ساري حنفي [31] الذي درس العلاقة بين المهاجرين الفلسطينيين والمقيمين بالداخل. أما الكتابات الحديثة، فقد أنجزت من طرف شولي [37]، حيث أعطى للجوء الفلسطينيين في أوربا بعدا عالميا بسبب تكاثر عددهم والآثار الناتجة عن رفضهم التوطين والاستقرار بشكل في الدول المضيفة. وقد عالجت هذه الدراسة كيف أن الهجرة إلى أوربا أصبحت أكثر تعقيدا وأشد وطأة لدرجة أخذت معنى "العقاب الجماعي" عند البعض.

وتُوضح الدراسة التي قدمها سافران[36] حول المواصفات الاجتماعية وتحديات التكيف أنه يوجد تباين واضح بين الفلسطينيين في أوربا خاصة على مستوى الجنس والأجيال، حيث يمكن استخلاص مجموعتين:

- **الجيل الأول** صاحب المدة الأطول والمعاناة الأكبر استطاع الاندماج والتكيف نوعا ما مع وضعه،

- الجيل الثاني أو "القادمون الجدد" والذي تفاعله مع الجيل الأول ليس قويا، وبهذا فهم يشتركون في صفات كثيرة تكمن في تقاسمهم لنفس تجربة الهجرة القاسية، اشتراك ذاكرتهم الجماعية، توارث الأسطورة المبنية على الوطن الأم، تمجيد الأجداد، والحلم ببناء الوطن الجديد.

كما أشار تورتن [38] إلى أن الاختلاف القائم بين الجيلين في تحديد الهوية يكمن في الفرق في التأقلم والتشابه في الصفات (Homogeneous)، وكذا اختلافهم في السن والتجربة والجنس والتربية والحالة الاقتصادية والاجتماعية، حيث يزيد تفاعل اللاجئين من الجيل الأول مع هويتهم بشكل أكثر مما هو عليه عند الجيل الثاني، ومرد ذلك إلى أن الجيل الأول وُلد في فلسطين وتشربت منها هويته وهي بذلك جزء منه، على عكس الجيل الثاني الذي لم يولد في فلسطين ولا يسمع عنها إلا من خلال ما روي له وهو بذلك يحمل صورة خيالية عاجزة على تجسيد صورة فلسطين بالشكل الكافي.

5.4.1.اللاجئون الفلسطينيون في الجزائر:

قبل الحديث عن الجالية الفلسطينية المقيمة بالجزائر-بما فيهم من ينطبق عليهم مصطلح لاجئ- ستكون لنا إطلالة عابرة على الوضعية الاجتماعية الثقافية السائدة في المجتمع الجزائري، للتعرف على الوسط الذي يعيش فيه أفراد مجموعة البحث، باعتبار البيئة الجديدة عامل نشط يدخل في سيرورة بناء هوية مجموعة البحث.

إذ يعتبر المجتمع الجزائري "فسيفساء" اجتماعية بفضل تنوع المميزات الثقافية للجماعات البشرية المكونة له والتداخل البشري الذي عرفته المنطقة بفعل العدد الكبير من الهجمات الاستعمارية ذات الطابع الاستيطاني، آخرها تمثل في الاستعمار الفرنسي الطويل الذي كان من نتائجه المباشرة حسب جابي ناصر[39] تحطيم البُنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع التقليدي، وبناء مجتمع كولونيالي"عصري" بخصائص محددة في المرحلة الثانية. من بين هذه الخصائص التي فرضها هذا الوضع الاستعماري تلك الازدواجية التي شملت كل الميادين ومست الميدان الثقافي والتعليمي فمقابل المجتمع الأوربي ومؤسساته الاقتصادية الاجتماعية والعمرانية كان هناك المجتمع الأهلي بهياكله ومؤسساته المنقسمة.

والجدير بالذكر أن المجتمع الجزائري عرف كغيره من مجتمعات المغرب العربي حديثة الاستقلال وضعية تثاقف كبيرة ناجمة عن تغير اجتماعي متسارع من جهة، وما يشهده العالم مؤخرا من تحولات كبيرة على مختلف الاتجاهات من جهة أخرى، يضاف إلى ذلك كون المجتمع الجزائري عبارة عن تركيبة متنوعة من الجماعات الثقافية واللغوية المختلفة والتي لا تحظى بوجود رسمي إلا

عبر الفلكلور أو التقاليد لاسيما فيما يخص الممارسات اللغوية، علما أن هذا البعد قاعدي في شخصية كل فرد.

وقد عرفت الصراعات السياسية والثقافية في الجزائر أوجها منذ أحداث أكتوبر 1988 التي فرضت تعديلا في التعريف السائد للهُويّة الوطنية، والربيع البربري الذي أدى الى تعديل الدستوري سنة 1989 الذي أدرج البعد الأمازيغي ضمن "ثلاثية ثوابت الأمة"المكوّنة للشخصية الجزائرية في الخطاب الرسمي إلى جانب الإسلام و العربية، وهو ما يعني بداية الانفتاح وقبول التعددية على الأقل نظريا.

وهو ما يعني أن الثقافة الجزائرية وليدة كل ما سبق في حالة تفاعل وتعايش مع أغلب مكونات هذه الثقافة وهو ما أشارت إليه خولة الإبراهيم [40] بشكل متغير حركي يتناوب بين الصراع وبين السكون ويطغى عليه بعض الصراعات، وتخترقه علاقات التسلط والتهميش اللغوي الذي زادته سوءا سياسة أحادية مركزية تفرض منذ الاستقلال "هُويّة رسمية" تغفل تماما هذه القاعدة الثقافية الأصلية؛ بل وتنبذها. فالنصوص القاعدية للدولة الجزائرية (الدستور، الميثاق الوطني) تنص على ذلك، لاسيما عبر هياكلها المنتجة للهُويّة وبالأخص منها المدرسة، فالقانون المنظم للتربية والتعليم (أمرية 16 أفريل 1976) المحدد للمبادئ العامة للسياسة التربوية في الجزائر تنص على تكوين مواطن "ذو شخصية عربية مسلمة" مستبعدا بذلك أي محاولة للتعددية أيا كان شكلها. فالإيديولوجية الرسمية قامت بفرض هُويّة رسمية "عربية إسلامية " تسعى إلى تسوية الشخصية الجزائرية، وهي هُويّة غير منفصلة عن ثقافة أحادية مدمجة مبنية نظريا على مفهوم الأمة الواحدة غير المجزأة، وعمليا على وجود دولة مركزية وهيئات إدارية موحدة التي أغفلت التنوع الثقافي للمجتمع.

ومن أحد الأسباب المعتبرة الكامنة وراء أزمة الهُويّة هذه تكمن في "أزمة المؤسسات المنتجة للهُويّة: الدولة والأسرة". فالهُويّة الجزائرية هي جماعة وطنية، وقد اعتبرها لرجان [41] ظاهرة تاريخية حديثة، غير مكتملة وتطرح إشكالا منذ الاستقلال، فالخطاب الذي يُعرّف الهُويّة الجزائرية مشبع بالسياسة؛ مما يعني أنه يخضع لمواقف وصراعات بين مكونات مختلفة يحكمها منطق علاقات القوة في الحقل السياسي.

إضافة الى ما سبق، تتسم مجتمعات المغرب العربي بما فيها الجزائر، بالازدواجية أو التناقض الثقافي والذي كشفت عنه العديد من الدراسات منها دراسة كاميلري (Camilleri, 1973)، طوالبي(1984) وطوالبي (1990)، بوسبسي(1979)، مقيدش(1981)، وغيرهم من الباحثين وذلك بفعل التواجد في الحقل الاجتماعي لأنظمة قيم متعارضة تحت وطأة التغير الاجتماعي، تجعل الفرد يواجه خيارات صعبة أمام قيم اجتماعية وثقافية متنوعة ومتنافرة، تفرض عليه ضرورة

معالجتها لبناء نموذج قيمي شخصي. وهي المهمة التي قد لا تخلو من صراع قد يهدد كيانه وهويته.

وكتحصيل لما سبق فإن فئة الأقليات والمهاجرين أو اللاجئين تعاني أكثر من غيرها من مغبة هذا الوضع المعقد الذي يفرض عليها خيارات متباينة ومتناقضة أحيانا، تجبرها على اتخاذ مواقف قد لا تتماشى مع الأطر القيمية التي اكتسبتها من ثقافته الأم.

وأمام هذا الزخم من الخيارات، يجد اللاجئ الفلسطيني نفسه في المجتمع الجزائري مرغما على القيام باختيارات وبناء نظامه الشخصي للقيم والمعايير في مطابقة مع ما ينتظره المجتمع، بحيث عليه أن يبذل جهدا معتبرا لإدماج وتركيب مختلف المعطيات، وهي العملية التي تعدّ مكلِّفة على المستوى النفسي، لأن صراع المعايير والقيم يمكن أن يؤدي إلى صراع في الأدوار وأيضا إلى صراع داخلي يتسبب في قلق وشعور بالذنب دائمين.

إلا أنه ما من أحد ينكر أن الجزائر من أكثر الدول ثباتا في صداقتها لفلسطين، ويذكر دافيد جيلمور[42] أنه من الناحية الرسمية كانت الجزائر أول دولة تساند "فتح" سنة 1963 وذلك قبل ظهور شخصية ياسر عرفات بوقت طويل. ولكن بعد ذلك بعامين عندما قامت جامعة الدول العربية بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية للحد من العناد الفلسطيني، قرر الجزائريون التخلي عن "فتح" وإغلاق مكتبها في مدينة الجزائر دفاعا عن موقفها في جامعة الدول العربية، وأصبحت الجزائر شأنها شأن الدول العربية من أشد مؤيدي فتح بعد ذلك بسنوات عندما باتت تسيطر على منظمة التحرير. وبين عامي 1970-1971 كانت الجزائر من المؤيدين بشدة لقتال منظمة التحرير لحد قطعت علاقتها مع نظام الملك حسين ولو بقيت الجزائر على مبدئها لقطعت علاقاتها حتى مع دمشق سنة 1976. إلا أن الجزائر التزمت الصمت لاحقا بسبب غمرة نزاعها مع المغرب بشأن الصحراء.

ولعل لهذه الأسباب وغيرها أثر في جعل الجزائر الواجهة المُفضلة للفلسطينيين، فقد بدأت في منتصف الستينات أول مجموعات من الفلسطينيين حاملي شهادات الثانوية العامة (التوجيهي) بالتوافد إلى الجزائر، لغرض العمل أو الدراسة في الجامعات الجزائرية ضمن إطار بعثة فلسطين، حيث كانت الجزائر آنذاك بحاجة إلى كادرات معربة، وقد قدمت الجزائر -وبخلفية سياسية خصت أبناء الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية- كل الدعم والمؤازرة بتوظيف من وفد إليها خاصة في سلك التعليم بمراحله الثلاث (الابتدائي والإعدادي والثانوي) بعقود حرة، حيث وصل عدد أبناء الجالية من الطلبة والمعلمين في الفترة الممتدة من عام 1965 إلى نهاية الثمانينات حوالي 7000 معلم و 500 طالب، إضافة الى الأسماء الثورية الكبيرة التي احتضنتها الجزائر كدلال مغربي وحسين فياض

وبعض المبعدين قسريا على غرار عبد الله داود أبو يوسف. وابتداء من 1986 لم يتم توظيف أي فلسطيني في التعليم، فبدأ البعض يفكر في الرحيل مدفوعا بمجموعة من الأسباب منها:

- أصبحت الجزائر تولي الأولوية للجزائريين في التوظيف،
- تقليص نظام التحويل بالنسبة للعاملين الأجانب في كل الأسلاك،
- حصول بعض الفلسطينيين على وظائف بديلة في بعض الدول من أصحاب المؤهلات المطلوبة كالمهندسين والأطباء،
- رجوع بعض الفلسطينيين الحاملين للجنسية الأردنية إلى الأردن بسبب قبولهم في الوظيف العمومي.

وقد كانت أعوام 1994-2000 أكثر الأعوام التي ترك فيها الفلسطينيون الجزائر وأغلب الذين بقوا كانوا ممن لم يسمح لهم بالدخول لأرض فلسطين مع وجود نسبة قليلة ممن بقيت بإرادتها وواصلت تعليمها وأغلبها كان ينتمي للسلك الدبلوماسي، وعليه يمكن تقسيم الجالية الفلسطينية في الجزائر إلى الفئات التالية:

- الطبقة التي بقيت تعمل بالجزائر وتابعة للوظيف العمومي وأغلبها الآن متقاعدة وحالتها الاقتصادية ليست جيدة باعتبار أن منحة التقاعد تمثل دخلها الوحيد. وأبناء هذه الطبقة لا يسمح لهم بالعمل، كما أن السكن الوحيد الذي يقيمون فيه هو سكن وظيفي ومضطرين للخروج منه متى انتهت مهامهم،
- الطبقة التي غادرت الجزائر ثم عادت وعملت مع السلطة أو في السلك الدبلوماسي،
- الطبقة التي تحصلت على الجنسية الجزائرية إما عن طريق الأم؛ والأولاد تحصلوا على الجنسية الجزائرية الأصلية والأب أيضا. واستفادت هذه الفئة على الحقوق التي تسري على الجزائريين (العمل والترقية والجيش وغيرها) وإما عن طريق التّجنس وبالتالي اكتساب بعض الحقوق دون أخرى كالانضمام للجيش والشرطة،
- طبقة الطلبة من البعثات التعليمية من الخارج أو فلسطين والذين بقوا لانتهاء تصاريح الدخول أو لرغبتهم في ذلك.

و بالاعتماد على ما قمنا به من مقابلات تمت مع أبو ماجد ماضي وصلاح محمد وهما على التوالي(لواء سابق في حركة فتح، مدير مكتب الجبهة الشعبية في الجزائر)بتاريخ السابع من مارس سنة2011، يمكننا أن نستخرج بعض مواصفات لهذه الطبقات في العناصر التالية:

- تعاني هذه الطبقات من التباعد وقلة الاحتكاك والانغلاق على نفسها: فهذا من غزة وهذا من القطاع وهذا من نابلس...،
- غياب جماعة مرجعية قوية التأثير في الجزائر يجتمع عليها الفلسطينيون-رغم وجود سفارة ومكاتب سياسية-،
- عدم وجود إعلام موحد يُوزَع على أبناء الجالية ويحقق لهم مطالبهم المشتركة،
- لعبت الوثائق دورا في إجلاء هذه الفروقات بين الفلسطينيين أنفسهم فالمتحصلون على هوية فلسطينية أو جزائرية أوفر حظا من المتحصلين على الوثيقة المصرية (انظر الملحق 02، 03).

وللإشارة فقد تعاقب على الجزائر أربعة سفراء منذ سنة 1970 (أحمد وافي وفاروق أبو حسان وعبد العزيز الديجاني وعبد الرزاق السلمان، وأخيرا محمد الحوراني).أما فيما يخص مطالب الجالية فتتمثل -حسب ما وقع تحت يد الباحثة من وثائق وطلبات ومراسلات للسفارة من قبل بعض أفراد الجالية- في إعادة صياغة الاتفاقية التي أبرمت بين الجانب الفلسطيني والجزائري سنة 1991(انظر الملحق رقم 01) تضمن للفلسطيني الحق في العمل والإقامة والمعاملة بالمثل ومنح الجنسية المزدوجة للتقليل من معاناة الإقامة التي تجدد كل عامين بأوراق ومطالب مُرهقة.

وحاليا تشير الإحصاءات المقدمة من المفوضية العليا للاجئين إلى وجود حوالي 4125 لاجئ حسب ما ورد عن جريدة الخبر(2010)، وصلوا بعد الحرب وهم حملة التصاريح الإسرائيلية، كما وفد إليها عدد قليل من الضفة ومن مخيمات الأردن وسوريا ولبنان.(انظر الملحق 04)

ويمكننا أن نجزم أن القسم الرئيسي من الجالية في الفترة السابقة هم من المعلمين؛ وهم الفئة الاجتماعية الأكثر استقرارا نظرا لطبيعة عملهم، وعندما بدأت الأزمة الاقتصادية في الجزائر في منتصف الثمانينات وما تلاها من أزمة مُركبة سياسية وأمنية والتي نتج عنها في بداية التسعينات انفلات في الأوضاع الأمنية ومخاطرها والتي انعكست على الدولة ومؤسساتها التي أصبحت مشلولة بعد تحولها من النظام الاقتصادي الاشتراكي إلى النظام الاقتصادي الحر، التي أصبحت تحت مراقبة المؤسسات المالية الدولية، كل ذلك انعكس على وضع الجالية وخاصة المعلمين، مما أدى إلى مغادرة العدد الأكبر منهم الجزائر. وبفعل سياسة "أوسلو" وما تلاها من تطورات التحق عدد كبير من أبناء الجالية خاصة حملة التصاريح والعودة إلى منطقة الحكم الذاتي بهدف العمل في مؤسسات السلطة، إلا أنه في السنوات الأخيرة بدأت الجالية وأبناؤها تعاني من العديد من المشاكل، حيث باتت ظروف ومتطلبات العمل والحياة أكثر صعوبة وأكثر اشتراطا. ويمكن أن نقدم توزيع حجم الجالية كالتالي: طلبة 1900، أطباء 36، حقوقين 26، معلمين 417 (300 متقاعد و117 عامل) وأبناؤهم

1500، منهم 200 يشتغلون في مهن حرة (تجار ومستثمرين وعمال زراعيين) و47 منهم مهندسين [43].

ومن جهة أخرى، أثرت اتفاقية "أوسلو" على الجالية الفلسطينية في الجزائر، إذ أن تطورات الأحداث السياسية في الجانب الفلسطيني منذ خروج الثورة الفلسطينية من الأردن عامي 1970-1971، والفشل الذي رافق المفاوضات بداية من "كامب ديفد" سنة 1978 والسياسة السّرية التي انتهجتها منظمة التحرير رافقتها أحداث متعددة أولها ظهور الشيخ أحمد ياسين -كأحد أهم الرموز حركة "حماس"- ثم ظهور حركة "الجهاد الإسلامي" عام 1980 على يد فتحي الشقاقي والاعتداءات الاسرائلية على لبنان أعوام 1978-1981 وبداية تراجع حركة "فتح" عندما تقدم خالد الحسن بمشروعه للسلام، حيث دعا إلى عقد مؤتمر حول القضية الفلسطينية وكان ذلك بداية تراجع حركة "فتح" وقبولها بالحلول السلمية. في هذا الوقت، كانت الدول العربية قد اجتمعت في فاس وطرحت مشروعا للتسوية السلمية يتضمن اعترافا ضمنيا لأول مرة بحق إسرائيل في الأراضي التي احتلتها عام 1948 وحق جميع دول المنطقة العيش بسلام، وقد كان هذا الطرح العربي الجسر الذي جعل منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة للتسوية السلمية التي انتهت باتفاق "أوسلو" 1993 ومن أهم أسبابها أيضا التراجع العربي الذي بدأ بتوقيع مصر لاتفاق "كامب ديفد" وخروج المقاومة من لبنان عام1982، وزعزعة الدعم المالي للانتفاضة وللمنظمة في آن واحد.كل هذه الأحداث أثّرت في الجالية الفلسطينية في الجزائر، حيث انقسمت بين مؤيد ورافض إلا أنها حققت للجالية في الجزائر ما يلي:

- عودة أعداد كبيرة من أفراد الجالية إلى غزة والضفة الغربية وإقامتهم مع أسرهم هناك،

- وصول بعضهم إلى مراكز عليا في السلطة سواء في الشرطة أو الوزارات المختلفة، حيث أن بعضهم رشح نفسه كمنافس لرئاسة السلطة وهو السيد سيد بركة الذي عمل كأستاذ في المعهد التكنولوجي في أدرار سنة 1980،

- ضعف حالة التشتت الفكري عند الكثير من اللاجئين، حيث التقوا بأسرهم بعد 20 سنة من الفراق أو أكثر، كما ساهم ذلك في التعريف الصحيح والصادق عن فلسطين والوضعية الاجتماعية بفضل الجزائريات اللاتي تزوجن بفلسطينيين.

إن وضع اللاجئين الفلسطينيين في الجزائر يختلف كليا عن باقي اللاجئين المقيمين في مختلق مناطق الشتات ولعل ذلك يبرز من خلال تمكنهم من حقوق دون أخرى –(انظر الملحق 05، 06) حتى وان كانت هذه الحقوق بعيدة المنال في بعض الدول كمصر سوريا ولبنان- ثانيا إن تواجدهم بشكل متباعد داخل الجزائر-على الأقل جغرافيا- قلل من كونهم أقلية ذات ارتباط واحد وبالتالي الإحساس الناجم

عن الوضع الذي غالبا ما يشوبه الشك والريبة، ثالثا موقف الجزائر الثابت- لبعدها عن بقعة الصراع- من القضية الفلسطينية والذي انعكس لاحقا على موقفها من كل الفلسطينيين المقيمين فوق أرضها أهلها لان تكون وجهة مفضلة ومريحة لهؤلاء الفلسطينيين، وأخيرا الإيديولوجية الرسمية المنتهجة والتي استبعدت ذلك أي محاولة للتعددية أيا كان شكلها. قامت بفرض هُويّة رسمية "عربية إسلامية" وهي هُويّة غير منفصلة عن ثقافة أحادية مدمجة مبنية نظريا على مفهوم الأمة الواحدة غير المجزأة، وعمليا على وجود دولة مركزية و هيئات إدارية موحدة التي أغفلت التنوع الثقافي للمجتمع. كل هذه الأمور مجتمعة ميزت وجود اللاجئين الفلسطينيين في الجزائر على مدار أكثر من خمسين سنة.

من خلال ما تم ذكره عبر التسلسل التاريخي لمسار اللجوء عبر دول العالم يمكن أن نذكر ما وصفه دافيد جيلمور[44] في هذا الصدد أن الفلسطيني دون سواه هو الذي يستطيع أن يصف ما مر به من يأس وقنوط نتيجة لكونه يعيش بغير دولة وبدون انتماء، ومن المهانة أن يكون لاجئا وغريبا وفي كل بلد يمكن يدخله يحس أنه يعيش على الإحسان وسيطرد إذا ما أساء التصرف، ومن المذلة كونه غريبا مجبرا على انتظار تصاريح العمل والتأشيرات إلى ما لانهاية وفوق هذا كله معاناته من الحنين إلى العودة.

لقد وصف فواز تركي -نقلا عن دفيد جلمور[44] ص69- في كتابه "المحرومون" بسخرية لاذعة كيف جرى ترحيله من لندن قبل أن يغادر المطار وهو يحمل ورقة مكتوب عليها –مشكوك في جنسيته- ومن ثم لا يسمح له بدخول -مملكة صاحبة الجلالة- وقد أضاف: "أن مملكة صاحبة الجلالة لم تكن بحاجة إلى تصريح عندما دخلت بلدتي وجردتني من جنسيتي".

5.1. دور هيئة الأمم المتحدة اتجاه قضية اللاجئين:

أكد جورج حبش [22] ص 215 أن نصوص القانون الدولي تضمنت نظريا الكثير من الأحكام والمعايير والمفاهيم المتعلقة بحقوق الدول والشعوب والأفراد، وهي نصوص إيجابية عموما وموضوعية إلى حد معين. أما الأعراف والأحكام والقواعد والمبادئ التي تشكل منظومة قانونية دولية شاملة ومترابطة لحماية وضمان جملة الحقوق الأساسية للفرد والشعوب فهي ما تسمى بالشرعية الدولية لحقوق الإنسان. والمسألة المركزية في هذه المنظومة أنها تقوم على قاعدة الحق في استقرار الإنسان في إطار حياته وحقوق البقاء في بلده ومغادرته، ويعتبر العودة إليه حقا طبيعيا لصيقا ومطلقا، لا يمكن تجاوزه أو وقفه وانتهاكه أو نكرانه حتى في حالات الطوارئ والاحتلال.

ومع تزايد أعداد اللاجئين وتمركز أغلبهم في أماكن محددة وخاصة على حدود وطنهم وأرضهم ووقوف السلطات الصهيونية بحزم أمام عودتهم، قامت الأمم المتحدة مرة أخرى بإدخال تطوير على

تلك اللجنة، فأنشأت وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونوروا) في الشرق الأدنى سنة 1949 وباشرت عملها في أوائل ماي 1950. ومن المهم هنا، أن نلقي بمزيد من التفصيل لمسار ودور وكالة غوث وتشغيل اللاجئين باعتبارها ساهمت بشكل غير مباشر في الحفاظ على كيان اللاجئين داخل المخيمات.

6.1. سياق ولادة وكالة غوث وتشغيل اللاجئين(الاونوروا):

إن تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين إلى الدول العربية المجاورة إلى جانب الضفة الغربية وقطاع غزة، خلق وضعاً قد يفتح الباب أمام احتمالين يتعارضان مع السياسة الأميركية المتأهبة لوراثة المصالح البريطانية والفرنسية في المنطقة، وهما:

- **الاحتمال الأول**أن تُشّكل بيئة خصبة للتحريض ضد سياسة الغرب والأنظمة العربية الموالية له، وتحميلها المسؤولية عما آل إليه وضع الفلسطينيين،
- **الاحتمال الثاني**أن تُشّكل بيئة خصبة للتحريض ضد الدولة الإسرائيلية وتعميق العداء إزاءها.

وفي هذا السياق، أشار أحمد صدقي الديجاني[45] إلى أنه قد وقع تنافس بين الولايات المتحدة من جهة وبريطانيا من جهة أخرى لمد يد العون للاجئين الفلسطينيين، ولدفع المجتمع الدولي ممثلاً بالأمم المتحدة، ليقوم بدوره هو الآخر في إغاثتهم وتخفيف آلام الهجرة واللجوء عنهم. وذلك كمحاولة للتقرب من الرأي العام العربي، بعد ما لعبت الدور الأبرز في أروقة الأمم المتحدة لصالح ولادة دولة إسرائيل على حساب الحقوق والمصالح العربية.

ويضيف معتصم حمادة [46] أنه بفعل هذه المنافسة تدفقت المساعدات الأميركية والبريطانية إلى تجمعات اللاجئين، كما تبنت الأمم المتحدة أكثر من مشروع لإغاثتهم في مناطق تشردهم، دون أن ننفي في الوقت نفسه أن تكون بعض الدول العربية قد ساهمت في مشاريع الإغاثة تضامناً مع الفلسطينيين سياسياً وإنسانيا، وقد اختصر اللاجئون في معاناتهم قضيتهم الوطنية، وصار شعار "عائدون" هو شعار الشعب الفلسطيني ورمز قضيته وحقوقه الوطنية،وبات واضحاً أن ثمة تجمعات من اللاجئين الفلسطينيين ستقيم طويلاً في الدول العربية المجاورة، الأمر الذي يفترض توفير أداة شبه دائمة وذات وظيفة مزدوجة: العمل من جهة على توفير الإغاثة للاجئين، وتوفير عوامل استقرارهم الاجتماعي في أماكن لجوئهم، والعمل من جهة ثانية على توفير عوامل دمجهم في المجتمع المحلي، تمهيداً لتوطينهم تدريجياً في أماكن إقامتهم الجديدة. وقد أنشأت الأمم المتحدة بتوصية من الولايات المتحدة وبريطانيا وكالة إغاثة وإعادة تشغيل اللاجئين (الأونروا)، حيث ولدت "الأونروا" في الجمعية

العامة للأمم المتحدة في 08 ديسمبر1949 بناء على القرار 302/د4. وباشرت مهمتها في الأول من ماي1950.

ويضيف خالد عطا [47] أن اللاجئين الفلسطينيين نظروا إلى وكالة "الغوث" نظرة مركبة تتناقض عناصرها فيما بينها: فهم من جهة بحاجة إلى خدماتها المختلفة بحيث أنها وفرت لهم مكان الإقامة والمأوى والمدرسة والعيادة والطعام وظللته بعلمها الأزرق وشكلت على الدوام مصدراً يلبي حاجاتهم ومتطلباتهم اليومية بعد ما انهارت أسس المجتمع الفلسطيني واقتصاده، وصار اللاجئون عاطلين عن العمل يعيشون حالة بؤس شديد. وهم من جهة أخرى، ينظرون إليها على أنها تمثل المجتمع الدولي المسئول عن تقسيم وطنهم، وقيام دولة إسرائيل، وتدمير مجتمعهم تشتتهم، واعتبروها أداة دولية لتوطينهم في أماكن إقامتهم والتعويض عن أراضيهم وممتلكاتهم ووطنهم بحفنة من الدقيق وصرة من الملابس وبعض الأطعمة المحفوظة.

ويذكر اللاجئون من أبناء الجيل الأول حسب ما جاء به خالد عطا[47] كيف تعاملوا مع خدمات الوكالة. إذ رفضوا بداية استبدال الخيم بمنازل مبنية من الطوب، ثم اشترطوا ألا يكون للمنازل سقف؛ بل أن تكون الخيمة فوق الطوب هي السقف. وذلك خوفاً من أن تتحول المنازل المبنية بالحجر إلى أماكن إقامة دائمة. ثم خاضوا معركة ضد استبدال السقف- الخيمة- بالسقف- الزينكو خوفا من التوطين وكانوا ينظرون على الدوام إلى تطوير البنية التحتية للمخيم على أنه خطوة نحو التوطين.

ويرى أحمد الرشيدي [48] أنه رغم كل ما يمكن أن نسجله من آراء بحق الوكالة، إلا أن الواجب يتطلب الاعتراف أنه كان لها الدور الأبرز في إعادة صياغة الحالة الفلسطينية في الشتات، وذلك من خلال:

- **المخيمات** التي أريد لها أن تكون معسكرات اعتقال جماعي، تحت رقابة الجهات الأمنية المعنية تحولت دون رغبة ممن أنشأها إلى حاضن اجتماعي ساهم إلى حد كبير في صون الشخصية الوطنية والكيانية السياسية للفلسطينيين؛ فنشأت داخل المخيم تجمعات العائلة الواحدة والقرية أو البلدة الواحدة، فتّحول المخيم كله إلى الجسر الذي صان انتماء الفلسطيني لقضيته ووطنه (دون أن يلغي هذا بالضرورة حالة البؤس التي تعيشها هذه المخيمات).
- **الخدمات** التي أريد لها أن تكون مقدمة للتوطين سدت حاجات كثيرة لدى اللاجئين الذين استفادوا منها، لكنهم قاوموا بالمقابل كل مشاريع التوطين التي طرحت على مر السنوات الماضية، وبقي اللاجئون متمسكون بحقهم في العودة يُشّكلون جزءاً من الحالة القومية الناهضة في المنطقة ورأس حربة في التصدي للمشاريع الأميركية والغربية المعادية للمشاعر والطموحات القومية العربية. ومما لا شك فيه أن التعليم المجاني في مدارس الوكالة ساهم في نشر الوعي في صفوف اللاجئين وأسس

لولادة فئات اجتماعية شكّل التعليم رأس مالها الوحيد في التعاطي مع العالم خارج المخيم (وداخله أيضاً). كذلك قلصت الخدمات الصحية من نسبة الوفيات لدى الأطفال وساهمت في صون الحالة الصحية للأمهات فازداد عدد اللاجئين بوثيرة طبيعية وفق المعايير المعتمدة في منطقة الشرق الأوسط.

ويرى نزار الأخرس[10] ص 89 أن هذا الدور الإيجابي الذي لعبته وكالة الغوث في حياة اللاجئين، بما في ذلك نجاحهم في إعادة بلورة شخصيتهم الوطنية وصونها، وبناء كيانية سياسية خاصة بهم، مقابل الفشل في شق الطريق أمام مشاريع التوطين، لقي مسارا آخرا عندما عقد مؤتمر مدريد سنة1991 وانطلقت مفاوضات واشنطن، حيث اعتمد الجانبان (الفلسطيني والإسرائيلي) مساراً تفاوضياً سرياً أنتج اتفاق "أوسلو"، فكانت له تداعياته المختلفة على أوضاع وكالة الأونروا.

7.1. اللاجئون الفلسطينيون بين حق العودة والتوطين والتعويض:

إن مبدأ خيار اللاجئين شكّل بحد ذاته أساس التوصيات التي رفعها وسيط الأمم المتحدة في فلسطين للتوصل لحل دائم لقضية اللاجئين الفلسطينيين، حيث جاءت هذه التوصيات في تقرير الوسيط الذي رفعه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر 1948. [49]

وحسب ما أشار إليه الموقع الرسمي للسلطة الفلسطينية [50] فقد كتب الوسيط برنادوت في هذا التقرير بأنه حق غير مشروط وللاجئين حق الاختيار الحر الذي يجب احترامه. ولقد كانت لغة السياق مندمجة تماما مع الصياغة والنص الوارد في الفقرة 11 من قرار الجمعية العامة رقم 194 بتاريخ 11 ديسمبر 1948[51] والذي ورد فيه تقرير وجوب السماح بالعودة في أقرب وقت ممكن للراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ودفع تعويضات في ممتلكات الذين يقررون عدم العودة، وعن كل مفقود ومصاب بضرر.

وبمراجعة أوراق مقترحات القرار رقم 194، أقر السكرتير العام للأمم المتحدة في حينه بأن الفقرة 11 من وثائق الأمم المتحدة الأمريكية أ/أس 25 و 45، 1950 قصدت منح اللاجئين الحق الفردي في ممارسة اختيارهم الحر لمستقبلهم

1.7.1. الحق في العودة:

أوضح وليد سالم [52] ص 11 أن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194 لعام 1948 يعطي الحق للاجئين الفلسطينيين للعودة إلى ديارهم وقرار 1994 لم يختلق حقا جديدا وإنما أعاد تأكيد مبدأ القانون الدولي (حق العودة مثلا) أعتبر حقا ملزما للدول في العام 1948. وأثناء صياغة مسودة قرار 194 على سبيل المثال، اعترف فريق الولايات المتحدة بأن الفقرة 11 من القرار والمتعلقة باللاجئين تقر بمبدأ حق العودة.

إن قرار 194 واضح لا لبس فيه، حيث أكدت الجملة الأولى من الفقرة 11 ثلاثة حقوق تمثل جوهر الحل الدائم والشامل للاجئين الفلسطينيين، حيث أكدت مبدأ العودة واستعادة الحقوق؛ أي حق "العودة إلى المنازل".

إضافة لما سبق، بيّن رمضان بابادجي وآخرون [53] ص 48 أن حق العودة ثبت أيضا في القانون الإنساني وهو مجموعة القوانين التي تضم ما يسمح للدول القيام به أثناء الحرب وكذلك معاهدة "جنيف" للمدنيين لعام 1949 (وإسرائيل من الموقعين عليها) تدعم حق العودة للأشخاص المهاجرين إلى بيوتهم بعد توقف الأعمال العدائية.

وقد أشار محس محمد صالح [54] الى أن اللاجئين الفلسطينيين قد تمسكوا بحقهم في العودة إلى أرضهم ورفضوا كل مشاريع التوطين التي وصلت إلى ما يربو عن 243 مشروعا، ورغم أن الأمم المتحدة أصدرت أكثر من 110 قرارا بحق اللاجئين فيما يخص العودة إلا أن أي منها لم يُنفذ بسبب إصرار الكيان الصهيوني على رفضها وعدم جدية الدول الكبرى والمجتمع الدولي في إجباره على ذلك، حيث بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين المهجَرين من الأراضي المحتلة سنة 1984 أكثر من خمسة ملايين و400 ألف. بينما يوجد نحو مليون فلسطيني من أبناء الضفة والقطاع محرومون من حق العودة إلى أراضيهم؛ وهم بذلك يمثلون نسبة 68.6% من شعب فلسطين وهو يعد أكبر عدد للاجئين في العالم.

2.7.1. مشاريع التوطين: يُوضّح إبراهيم الجندي [14]، ص 9 أنه في الآونة الأخيرة ازداد الحديث عن مشاريع لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في البلدان العربية ورغم الرفض العربي (المصرح به رسميا) لهذه المشاريع في قمة "بيروت" 2002، فإن أقلام وأصوات عربية وأجنبية كثيرة قد عَلت للمطالبة بالتوطين، كحل لمشكلة ما يربو عن 3.5 مليون لاجئ بما يمثله ذلك من إلغاء حق العودة والكف عن المطالبة بالأراضي التي احتلها الصهاينة عامي 1948و1967. ومنذ الفترة التي أعقبت نكبة فلسطين مباشرة طرحت هيئة الأمم المتحدة عدة مشاريع لاستيعاب الفلسطينيين بصفة إنسانية، ولعل من أهمها ما يلي:

- خطة "ماك جي": حسب وليد سليم [52] ص 35 فقد توجه ماك جي في مارس 1949 إلى بيروت لشرح هذه الخطة التي كانت قد طرحت من قبل. واستندت إلى إنشاء وكالة تتكون من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة لتقوم بتقديم المساعدات الكفيلة بإنشاء مشاريع تنمية تقوم باحتواء اللاجئين في بعض البلدان، وتعهدت الولايات المتحدة بتحمل نفقات توطينهم واشترطت إسرائيل في مواجهة ذلك اعترافا كاملا بها وإعادة توطين مائة ألف لاجئ لكنها عادت ورفضت الخطة منبئة بفشلها.

- مشروع "هومشولد": من خلال ما نشر في الموقع الرسمي للسلطة الفلسطينية [50]، فان المشروع عبارة عن مقترحات بشأن استمرار الأمم المتحدة في مساعدة اللاجئين الفلسطينيين، وهو عنوان الوثيقة رقم أ/4121 المُوجهة إلى الجمعية العامة في دورة انعقادها الرابعة عشرة من جانب الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة، وقسمت الوثيقة البلدان العربية وإسرائيل إلى ثلاثة أقسام حسب كمية البترول المتوفرة لديها: إلى بلدان غنية، متوسطة وفقيرة. وأقر بأن إسرائيل يمكنها أن تحصل بأساليبها على الأموال اللازمة لتنميتها الاقتصادية واستقبال المهاجرين، وتم اقتراح إنفاق الأموال الطائلة على تلك البلدان، لتُوسّع البرامج التي من شأنها استيعاب اللاجئين، وأغفل أي حق في العودة أو التعويض. إلا أن نصيب هذا المشروع من النجاح لم يكن أفضل من سابقيه: فقد رفضه ممثلون عن القوى الفلسطينية من مؤتمرين عقدا ببيروت في 26 سبتمبر1959 وديسمبر1959.

بالإضافة إلى هذا توجد أيضا مشاريع أخرى للتوطين أهمها: بعثة كلاب، مشروع باروخ، بلاندغورد، مشروع سيناء، مشروع جونستون، مشروع ديان.

3.7.1.الحق في التعويض: لجميع اللاجئين والمهَجرين الحق في استعادة منازلهم وممتلكاتهم التي حُرموا منها، وتعتبر استعادة الحقوق علاجا قانونيا محددا وقائما في القانون الدولي.

كما أن قرارات الأمم المتحدة ضمنت للاجئين الفلسطينيين الحق في استعادة منازلهم وممتلكاتهم وأراضيهم التي هُجّروا منها وأكدت عليه جميع قرارات الأمم المتحدة، وهذا يشمل القرارات التي تتعلق في اللاجئين في كل من الجزائر رواندا، قبرص، ناميبيا، كمبوديا، أفغانستان، البوسنة والهرسك، جورجيا، كرواتيا، كوسوفو.

وأشار نزار الأخرس [10] الى أنه قد حوت الصيغة الواردة (إلى بيوتهم) أيضا مضمون الجمعية العامة للأمم المتحدة بالعودة إلى ديارهم والتـأكيد الصريح على حقهم باستعادة الملكية والسكن. وإذا لم تكن الجمعية العامة تريد مثل هذا الحق، فكان من الممكن أن تنص نصا أقل وضوحا كالمناطق التي جاء اللاجئون منها، إذ نص قرار الجمعية العامة رقم 3236 (29) تأكيدا على حق اللاجئين الفلسطينيين "غير القابل للتصرف في العودة إلى ديارهم التي هُجّروا منها واستعادة منازلهم وممتلكاتهم".

ويُبيّن إبراهيم الجندي [14] ص 8 أن بعض المؤسسات المنفصلة والمستقلة أنشأت اتفاقيات لمعالجة جميع دعاوى المطالبة بالأراضي والممتلكات ودعت بعض الاتفاقيات (مثل اتفاقية مقدونيا وكوسوفو والبوسنة والهرسك) إلى تعديل قوانين الدول بما يتناسب مع عملية استعادة اللاجئين والمُهجّرين لممتلكاتهم.

8.1. مستقبل اللاجئون الفلسطينيون في مفاوضات السلام:

لعل قضية اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم في عام 48 تعد من أعقد القضايا الجاري التفاوض حولها، إذ يرى الفلسطينيون أن حق العودة إلى الديار حق مقدس تكلفت به القوانين والمواثيق الدولية، وبالمقابل يرى الإسرائيليون أن حق العودة المستند إلى القرار الدولي رقم 194 يعني تدمير إسرائيل بكل معانيه السياسية والديمغرافية والاقتصادية.

لذلك يرى وليد سالم[52] ص 28 أنه لا يمكن تحديد خيار اللاجئين قبل التوصل إلى اتفاقية سلام تعترف صراحة وبوضوح بحق اللاجئين في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم وتوفر ضمانات لميثاق العودة الطوعية، وبدون تحديد الضمانات على تطبيق حق العودة، كما نصت عليه اتفاقية السلم.

ولتوضيح ذلك، نقدم أهم اتفاقيات السلام التي تم تناول وضعية ومستقبل اللاجئين منذ عام 1991 إلى غاية 2002.

- مؤتمر "مدريد للسلام" في 31 أكتوبر 1991: بيَّن وليد سالم [52] أن هذه المفاوضات شملت الأطراف المباشرة في النزاع العربي الإسرائيلي، وهي: الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين وإسرائيل.ورغم أن رسالة التطمينات الأمريكية لم تشر إلى موضوع اللاجئين، إلا أن ذلك لم يمنع الوفد الفلسطيني من التعبير على لسان حيدر عبد الشافي قائلا: "الوقت الذي نخاطبكم فيه تلازمنا وتلاحقنا عيون الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين منذ عام 48 ومن المشردين 67 ومن المبعدين فليس أقسى من مصير الإبعاد والنفي أعيدوهم إلى وطنهم فحق العودة حق لهم".

وبالرغم من ذلك، فإن قضية اللاجئين استبعدت من المفاوضات الثنائية ولم تدرج في أعمال المفاوضات المتعددة إلا بعد المبادرة المصرية التي طلبت بتشكيل لجنة خاصة تضم كافة الأطراف لتبحث في إيجاد حل شامل وكامل لقضية اللاجئين، وهذا بسبب الالتزام القومي العربي والبعد الإنساني لهذه القضية.

- اتفاق "أوسلو": اجتمع الوفدان الفلسطيني والإسرائيلي في 13 سبتمبر 1993 بمدينة أوسلو لتوقيع اتفاقهم الشهير والذي انتهى بالاعتراف الصريح بحق دولة إسرائيل في العيش في أمن وسلام، وتضمنت التزام فلسطين بمسيرة السلام في الشرق الأوسط بالمقابل اعتراف إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثل للشعب الفلسطيني[50]

وبعد اتفاق "أوسلو" أصبح الموقف الإسرائيلي أكثر صلابة اتجاه قضية اللاجئين فقد أصرت إسرائيل على استثناء حق العودة في إطار اللجنة الرباعية (مجموعة العمل الخاصة باللاجئين)، التي تتلخص مهامها في:

- تحسين الأوضاع المعيشية الراهنة للاجئين والنازحين دون المساس بحقهم ووضعهم في المستقبل،
- تسهيل عملية جمع شمل العائلات وتوسيعها،
- دعم عملية التوصل إلى حل حقيقي لقضية اللاجئين.

وقد أغفل اتفاق "أسلو" حقوق الشعب الفلسطيني، حيث اعتبر اللاجئون أن هذه الاتفاقية وضعتهم أمام مأساتهم وأعادت إلى مخيلتهم حالة التشرد وأخذوا ينتظرون مصيرا يكتنفه الغموض خاصة بعد إغفالها عن حقوقهم.

- اتفاق "كامب ديفيد": أشار وليد سالم[52] ص 56 الى أنه في 20 تموز 2000 اجتمع الوفد الفلسطيني برئاسة الرئيس الراحل ياسر عرفات والإسرائيلي برئاسة يهود باراك بالإضافة إلى بيل كلنتون، وقد أخذت قضية اللاجئين جولات ونقاشات حول وضع الإطار القانوني وتعريف اللاجئ وصياغة الحل الدائم، واتضح من خلال الاتفاق التوصل إلى عودة رمزية لـ 150 ألف لاجئ إضافة إلى إثارة قضية التعويض والتوطين. إلا أنه لم يتم التوصل إلى أي حل شامل للاجئين حسب ما صرح به محمد دحلان لقناة الجزيرة بعد عودته من كامب ديفيد قائلا: "لم تصل في قمة "كامب ديفيد" إلى أي اتفاق حول أي قضية (بما فيها قضية اللاجئين)، ما حدث هو حوارات معمقة حول كافة القضايا".

- خارطة الطريق: بتاريخ 30 أفريل 2003 أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية النص الرسمي لخريطة الطريق لسلام في الشرق الأوسط، الذي تضمن رؤية أمريكيا لحل النزاع. نصت الخريطة على توصيل الفريقين الفلسطيني والإسرائيلي إلى اتفاق وضع نهائي وشامل ينهي النزاع على أساس قرارات مجلس الأمن 242.338.1397.

ويَبن نزار الأخرس [10] ص160 أنه قد لوحظ غياب مرجعية لحل قضية اللاجئين والاكتفاء بضرورة توفير حل عادل، بالإضافة إلى إجماع مواقف وردود أفعال الطرف الإسرائيلي اتجاه رفض عودة اللاجئين الفلسطينيين. وجاء موقف اليسار على لسان شمعون بيرس -زعيم المعارضة العمالية- الذي قال: "أن الفلسطينيين يطرحون مرة أخرى موضوعا لن يحصلوا عليه أبدا".

لم نلمس من خلال القرارات والنتائج التي تمخضت عن جميع المفاوضات أي محاولة جدية تتيح للاجئين الحصول على أبسط حقوقهم كالعودة والتعويض، وتبقى المفاوضات والقرارات الدولية مسئولة ومعنية في إيجاد حل شامل لهذه القضية.

9.1. آثـار اللجـوء:

أشار علي الزغل [55] إلى أن للجوء آثارا متعددة ومتباينة في بعض الأحيان سواء على البلد مصدر اللجوء أو البلد مستقبل اللجوء أو على اللاجئين أنفسهم، وأن مشكلة اللاجئين تفرض أعباء على القدرات التنموية في البلد مستقبل الهجرة والبنى التحتية فيه. وتؤدي الهجرات القسرية إلى اختلال توزيع السكان في البلد مصدر الهجـرة، حيث يلجأ الأفراد من الأماكن الخطرة التي تشهد حروباً ونزاعات إلى أمـاكـن أكثر أمناً [65] مما يفرض على هذه المناطق أعباء إنسانية متزايدة، ويسبب ارتفاع نفقات المعيشة بسبب هجرة الأفراد المنتجين ويعمل كذلك على زيادة أعباء الإعالة. أما على مستوى البلد المستقبل للجوء، فقد يستفيد البلد من بعض العمالة المهاجرة التي تكون في العادة رخيصة الأجر مقارنة بالعمالة المحلية واستغلال توظيفهم في وظائف صعبة وغير مرغوب بها من قبل السكان الأصليين، ويزيد اللجوء من أعباء الحكومات المضيفة للاجئين الذين يحتاجون إلى خدمات إضافية صحية وتعليمية واجتماعية وغيرها؛ وهو الأمر الذي أوضحته منظمة الصحة العالمة في تقريرها لسنة 2008[75] بخصوص الحالة الصحية للاجئين الفلسطينيين في الضفة وغزة، حيث يعاني أكثر من نصفهم من اضطرابات صحية ونفسية نتيجة وضعهم. كما قد يسبب اللاجئون عادة تهديداً أيديولوجيا أو عرقياً أو عقائدياً للبلد المضيف، خاصة إذا كانت أصولهم من نفس أصول بعض سكان المكان الذي لجئوا إليه، وقد يفرض اللاجئون أعباء جديدة كعبء تجنيسهم مثل حالة الفلسطينيين في الأردن أو أعباء سياسية دينية كما هو حال الفلسطينيين في لبنان.

1.9.1. آثار اجتماعية ونفسية وإنسانية:

تُظهر أذَا فاسكيس[1] أن اللاجئ غالبا ما يشعر وهو بعيد عن وطنه بـ:

- الغربة والوحدة والبعد عن الأهل،
- عدم القدرة على الاندماج في المجتمع المضيف أو ممارسة الحياة الطبيعية فيه،
- الإحساس بفقدان الأمل في العودة إلى الديار، أو حتى في رؤية الأهل الذين بقوا هنالك.

وفي هذا السياق، يُبيَن مسلسون [58] أن اللاجئين يتأثرون بمواجهتهم لثقافة ولغة جديدة وقد يختلف وضعهم عن المهاجرين الذين يملكون قدرا من السيطرة على مستقبلهم، وهنا يظهر ما أسماه بـ"العجز" الذي يميزهم عن غيرهم والذي يبقى لصيقا بأذهانهم حتى وان كانت ظروفهم جيدة.

ومن جهة أخرى، أسفرت دراسة مقارنة لكابرلين[59] تناولت المهاجرين واللاجئين في أمريكا على وجود فروق في تشكل الهوية بين اللاجئين والمهاجرين مردها الشعور بالعجز الذي ارتبط لاحقا

بتحصيل الأكاديمي، حيث أظهرت الدراسة تدني تعليم اللاجئين مقارنة بالمهاجرين، أما في دراسة أخرى حول اللاجئين المراهقين في البوسنة فقد بين تحليل المقابلات مع عشرات المبحوثين إلى وجود صعوبة لدى هؤلاء المراهقين في تشّكيل هويتهم فبإضافة إلى خصائص المرحلة العمرية التي توصف بأنها "أزمة" تضاف إليها الخبرات الجديدة التي تعايش أيضا كخطر يهدد توازنهم النفسي، وهي العناصر التي يجب النظر إليها غالبا في إعادة التوطين.

وغالبا ما يحصل اللجوء فجأة ودون تخطيط مسبق، فيفقد الناس بذلك وسائل كسبهم ورزقهم في بلدهم وأموالهم المنقولة وغير المنقولة، حيث تصبح عملية العودة إليها سالمة أمراً شبه مستحيلا. وعادة ما يتأثر اللاجئون في البلد المضيف بمشكلة البطالة، ويُحظر عليهم العمل في معظم الوظائف، وبالتالي فهم يعانون من الفقر وارتفاع أعباء الإعالة وما قد يرافقه ذلك من مشاكل التشرد وسوء التغذية وغيرها، ومما يزيد الأمور سوءا هي الصورة البائسة التي تنقلها عادة وسائل الإعلام إلى الأخر، حيث يعكس انطباع الشفقة على اللاجئين وهي الصورة التي تُشكّل هوية اللاجئ في النهاية. وهي نفس النتيجة التي توصل إليها أورافيش ولاجتاي [60] من خلال مسح أجري على اللاجئين البوسنيين في سلوفينيا، حيث تبيّن ذلك من خلاله رفضهم للصورة التي يوصمون بها وهي صورة سلبية تزيد من صعوبة التواصل مع الآخر.

وفي دراسة أخرى لمورتن وفنغ [61] أجريت على 647 لاجئ آسيوي في كندا توصلت إلى أن مواجهة خيارات الالتزام بالعرق هو الأمر الذي يضعهم في مصاف الأقليات. كما أن التخلي عن التراث من أجل تحقيق العضوية الكاملة في المجتمع وإنشاء حلول توفيقية بين القديم والجديد هو ما يُصعِب من عملية بناء الهوية لديهم.وأظهرت النتائج على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين اللجوء والاكتئاب الناتج عن فشل التواصل وبين البطالة واللجوء التي فسرت بسبب الوضعية السابقة.

ويشير مسلون [62] إلى أن وضع اللاجئين في الهامش هو ما يزيد الأمور سوءا ، حيث أنه من خلال السرد الذاتي لمجموعة من اللاجئين في أمريكا وجد أن الحنين للوطن والإحساس بضرورة التوطين هو ما يزيد فصلهم عن المجتمع المضيف، إضافة إلى تحدثهم بسخرية عن إيجاد وطن بديل لهم. أما فيما يخص اختارهم لأصدقاء فهم يفضلونهم من نفس بلدهم ويرفضون العلاقات الوثيقة بأنواعها مع مجتمع يعتبرونه –آخر-، في حين أن اللاجئين الرافضون للعودة فقد أظهروا عدم اكتراث لمجتمع الشتات وحاجتهم للأصدقاء فكانت متناقضة وهم يعتبرون أن أي مكان يمكن العيش فيه.

وتعتبر الدراسات التي أقيمت على اللاجئين في الولايات المتحدة رائدة، حيث اعتمدت في دراستها للهوية على مواقف اللاجئين أنفسهم من بلدانهم الأصلية والبلدان المضيفة والعلاقة مع الثقافة السائدة والتوفيق بينهما. إلا أنها أبحاث نوعاما بعيدة عن الواقع ولم تنجح غالبا في خلق التوافق والاستيعاب عند هؤلاء اللاجئين وفشلت في التعامل مع أشكال مختلفة من الآليات التي يتبناها معظمهم. ومن جهة أخرى، يقدم ابابديري [63] طرحا مفاده أن هوية اللاجئين لا تقوم فقط على التهجين الثقافي ذي البعدين أو القطبين (البلد الأصلي/البلد المضيف)، ولكنها تقوم أيضا على الفردانية وهي انعكاس للخبرات والتطلعات، واللاجئون أقدر على التوازن العرقي بوعي وطني جديد، وهي في نظره استجابات لحالات فريدة في حياة اللاجئين. وبذلك خروجها من النظرة التي تفيد أن الهوية هي بالضرورة نزاع بين تجارب الماضي وتوقعات المستقبل، واللاجئ هنا قد يعتمد خبراته لفهم حاضره بشكل أكثر فعالية من المقيم العادي. كما أن الانجاز الذي ظهر على عينة من اللاجئين البوسنيين في أمريكا جاء، حسب تفسير روتر [65] لإخفاء الصدمة وأضاف أنه يشَكل وسيلة للتواصل مع الأخر.كما أن التعلم أصبح يمثل بالنسبة للاجئ وسيلة للسيطرة على الزوال، حيث يُحوّل اللاجئ من"أجنبي" إلى "طالب": فالعلم حسبهم هو الشيء الوحيد الذي أقروا أنه يذهب معهم أينما ذهبوا.

ومن المهم في هذه الحالة أن نشير إلى الفكرة التي قدمها أندرسون [66]في أن الحداد على الثقافة القديمة يعتبر خطوة ضرورية في عملية التكيف مع البيئة الجديدة بدلا من صنع تسوية سريعة وسطحية.

إن التباين الظاهر في نتائج هذه الدراسات وغيرها يثبت ضرورة الاهتمام باللاجئين مقارنة مع بعضهم البعض أكثر من مقارنتهم بالمجتمع المضيف لأن الموقف اتجاه الوطن هو الذي يرسخ الهوية.

ملخص الفصل:

يعتبر موضوع اللاجئين من أكثر المواضيع ارتباطا بجوهر الصراع القائم بين طرفي النزاع، وقد أدى هذا إلى التباين الواضح في التعاريف المقدمة للاجئ الفلسطيني. ومثل هذا الواقع لم يكتف بتمزيق الوحدة السياسية والجغرافية لشعب فلسطين؛ بل أنه جر معه في كل بلد عربي مضيف ظروفا مميزة خاصة باللاجئ الفلسطيني.

وهذا التشتت أو هذا "الخروج الجماعي" إلى الدول المجاورة هو السلسلة المحورية للتاريخ وللهوية الفلسطينية الحديثة وما من أحد يقدر أن يفهم الفلسطينيين اليوم أو يعرف أفكارهم أو تطلعاتهم أو سلوكهم دون فهم المأساة التي تكمن في جذور المشكلة.

لذلك، سعينا من خلال قراءة متأنية لهذه المشكلة الإنسانية توضيح خصوصيتها باعتبار أن أفرادها هم وأولادهم من الأصل أو المولد غادروا فلسطين بسبب ظروف ما ولم يتمكنوا من الرجوع إليها وهم الآن يقيمون كلاجئين في مخيمات اللجوء كما في لبنان وسوريا والأردن أو دول الشتات كما في الجزائر، وتحت هذه الظروف الاستثنائية يعانون من غياب مرجعية قانونية وثقافية واجتماعية تخدمهم وتُسّهل من إقامتهم في دول العالم المختلفة، وتعيق بدورها تكيفهم وتُشّكل هويتهم التي تتأثر بمواجهة ثقافة ولغة جديدة، وقد يختلف وضعهم عن المهاجرين الذين يملكون قدرا من السيطرة على مستقبلهم، وهنا يظهر ما أسمته بعض الدراسات التي أوردناها بـ"العجز" الذي يُميزهم عن غيرهم والذي يبقى لصيقا بأذهانهم حتى وان كانت ظروفهم جيدة.

الفـصـل 2

الهُـــوّ يـــة

تمهيد:

لا جدال في أن مفهوم الهَوية يُعد من بين المفاهيم التي تتقاطع عندها العديد من التخصصات(سواء كانت علمية أو فلسفية أو اجتماعية أو نفسية أو أنتربولوجية أو سياسية) ولأجل إماطة اللثام عن الغموض الذي يشوب هذا التقاطع بدأنا الفصل بمدخل تاريخي لظهور هذا المفهوم في الحقل الاجتماعي وتحديدا في علم النفس، بدءا من أعمال اريكسون وفرويد ومارسيا وبيرزونسكي وغيرهم، وتلا ذلك بعض التعاريف التي وضعها المختصون في مختلف المجالات لنخلص في النهاية إلى أن أي محاولة لإعطاء تعريف شامل وقطعي سيظل دون جدوى.

وبما أن تَشّكل الهوية هو عملية مستمرة من الإدخالات التي يتم بموجبها تقمص مرجعيات مختلفة ارتأينا إدراج ناسلية الهَوية ومراحل تكوينها للتّعرف أكثر على هذه السيرورة، كما قد أثارت الحاجة إلى التفكير في هذه الإشكالية ظهور تحاليل ترتبط بتناولات مختلفة بداية من التناول التحليلي والتناول الاجتماعي والتناول الانتروبولوجي والثقافي والتكويني والنمائي والظواهري(Phénoménologie)، كلها سعت إلى تناول هذا المفهوم حسب مبادئها؛ وهو الأمر الذي حاولنا تقديمه لتبيان التشابك الحاصل.

وفي نهاية الفصل عمدنا إلى تقديم استراتيجيات الهوية التي تنشط في وضعيات التثاقف وبعض الصراعات من أجل حلها بتوظيف أساليب متنوعة حسب طبيعة الأزمات والظروف، لاسيما في بعدها الاجتماعي الثقافي بفعل ما هو سائد حاليا من تغير اجتماعي وعدم استقرار في العلاقات بين الجماعات، التي يطغى عليها طابع الصراع والسيطرة وما تتسبب فيه من تصنيفات اجتماعية نمطية تخل بشعور الانتماء لدى الفرد (كما في حالة اللجوء الفلسطيني نموذجا).

1.2 .مدخل تاريخي لتطور مفهوم الهوية: يعتبر البحث في الهوية مطلبا فرديا وجماعيا، خاصة في وضعيات التغيّر الاجتماعي السريع أو وضعيات التسلط و السيطرة التي تولد هوية الأقلية (الحركات النسوية والأقليات الجنسية، والشباب المهاجر وغيرهم)، أو أوقات القطيعة والاضطراب

الاجتماعي إذ تصبح إشكالية مطروحة، وتؤثر بدورها في مجالات أخرى (دور الأشخاص ومكانتهم في الأسرة والعمل وفي مجالات أخرى)؛ ومن ثمة يتحول الصراع من صراع طبقات إلى صراع مكانات وهو الأمر الذي أشار إليه أدنو[67] .

والبحوث التي تناولت الذات والهوية هي مواضيع قديمة في علم النفس وقد تناولتهما كل التيارات بدء بفرويد (Freud) ويونغ (Jung) وشيلدر(Schilder) وينيكوت (Winnicott) وسبيتز (Spitz) واريكسون (Erikson) وكوت(kohut). أما في نهاية القرن التاسع عشر، فقد تم الرجوع لمفهوم الهوية من خلال أعمال وليم جيمس(W.James) الذي أدخل العامل الاجتماعي والثقافي، إضافة إلى مفهوم الوعي بالذات من طرف كل من ميد(Mead) وكولي(Cooley) وبالدوين(Baldwin)، إلا أنه في النصف الأول من القرن العشرين كبتت السلوكية هذا الحقل من البحث بتركيزها على السلوك الملاحظ فقط. وبالمقابل، ظهر في أوربا وتحديدا في فرنسا تيار علم النفس التكويني والاجتماعي(psychologie génétique et sociale) بزعامة كل من فالون (Wallon) وزازو(Zazzo) وتاب (Tap) وكاميليري (Camilleri).ثم اتسعت هذه البحوث بفضل إسهامات علم نفس ما بين الثقافات (la psychologie interculturelle) وعلم النفس المعرفي (psychologie cognitive) الذي أدمج إشكالية الذات في علم النفس التجريبي، بينما يُشّكل الآن مفهوم الهوية موضوعا محوريا في علم النفس، حيث يستقي من كل تخصصاته مصدرا للبحث في هذه الإشكالية.

ولا يمكن الحديث عن الهوية دون أن ذكر ما قدمه اريكسون[67] باعتباره أظهر -ولأول مرة- بناءا جادا على مستوى هذا المفهوم، حيث استعمله في البداية للكشف عن بعض الأشكال المرضية كغموض الهوية (Confusion d'identité) أو للإشارة إلى الأزمة (Crise) التي يمر بها بعض المراهقين، مُبيّنا كيفية تفاعل العوامل النفسية والاجتماعية والتاريخية والنمائية في تكوين الشخصية؛ كما يعود له الفضل في إخضاع الهوية لمجموعة من التخصصات (Multiréférentielle) كالتحليل النفسي وعلم الاجتماع والانتروبولوجيا وغيرها.

وفي هذا السياق، قدم محمد عبد الرحمن [68]شرحا للتّصور الأساسي الذي قدمه اريكسون، اعتمادا على الملاحظات التي شاهدها اريكسون على الجنود المشاركين في الحرب العالمية الثانية والتي لفتت اهتمامه (العقبات التي لاقوها عندما حاولوا الاندماج مجددا في المجتمع)، وأصبح أكثر انشغالا بالمشكلات التي ترتبط بالانتشار الحاد في الهوية (Acute identity diffusion)؛ ومع الوقت ومن خلال خبراته الإكلينيكية بدأ يعتقد أن الأزمات النفسية التي خبرها الجنود إنما حدثت كنتيجة لتّخليهم عن الدور العسكري ودخولهم في أخر مدني؛ وهو ما يتماثل مع المشكلة التي يمر بها بعض

المراهقين عندما يتركون الطفولة ويتحركون قدما الى مرحلة الرشد. ومن خلال هذا الإطار التجريبي أخذ اريكسون يُطور هذا المفهوم الذي يشير حسب كتاباته الأولى في سنة 1956 إلى استمرار التماثل (الاتساق مع النفس) والاشتراك في بعض الصفات الجوهرية مع الآخرين. وفي الكتابات اللاحقة أظهر أن التماثل الذاتي والاستمرارية يتم التعبير عنهما من خلال الإحساس الشعوري بالهوية الفردية والكفاح اللاشعوري بغرض استمرار الخصائص الشخصية، والعمليات المتتالية للمحافظة على تركيب الأنا والكفاح الداخلي مع معايير الهوية للمجموعة التي ينتمي إليها.

ثم عمل اريكسون [67] على تطوير هذا المفهوم ليعَرفه على أنه إدراك الحقيقة وأن هناك تماثل ذاتي واستمرارية (Continuité) من طرف الأنا التكاملية وفي نمط الفردية الشخصية، وأن هذا النمط يتوافق مع التماثل والاستمرار للمعنى الشخصي كما يدركه الآخرون المُهمون بالنسبة للفرد في وسطه الاجتماعي.

ومن جهته، أثرى ماريسيا [69] الأساس التصوري والمنهجي لدراسة اريكسون حول الهوية، وهي دراسة ذات ثلاث أوجه: (بنائي وظواهري وسلوكي)، حيث يشير الوجه البنائي إلى بناء نفسي محدد في شخصية الفرد مكَون من جوانب الهَوية وهي الجانب الإيديولوجي والعلاقات مع الآخرين، أما الجانب الظواهري فيدل على وصف المظهر العام لجوانب الهوية عند الفرد (المهنة والدين والقيم وأنماط الحياة والإيديولوجيات والعلاقات مع الآخرين والدور الجندري) والتي تعكس الحس الداخلي وفهم الذات لدى الفرد -والتي عبّر عنها بأربع حالات للهوية سنتطرق لها مع نهاية الفصل-، أما الجانب السلوكي للهوية فيتمثل في السلوكيات التي تعتبر مؤشرات على الهوية يُمكن ملاحظتها وقياسها والتي تظهر في المجالات المختلفة للهوية.

وقد نتج عن توسع دائرة البحوث في هذا الحقل ظهور نظريات كثيرة تناولت مفهوم الهوية في بعده الجنوسي أو الاجتماعي أو الطبقي، وعلى سبيل المثال ما جاء به شيك وبرجز (Cheek & Briandis, 1982)[70] على اعتبار أن الهوية تتركب من ثلاثة أنواع هي الهوية الاجتماعية والشخصية والتجميعية، إذ يشير مفهوم الهوية الاجتماعية إلى الهوية المتجذرة في العناصر العامة للذات مثل الشهرة وسمعة الفرد وانطباعات الآخرين عنه، أما الهوية الشخصية فهي موجودة في العناصر الخاصة بالفرد مثل القيم والأهداف ومعرفة الذات والحالة النفسية، في حين تشمل الهوية التجميعية مجموع معايير وتوقعات الجماعة المرجعية للفرد كالأسرة والمجتمع والجماعات العرقية والدينية.

بينما قدم بيرزونسكي[71] مفهوما جديدا للهوية، حيث نظر للهوية على أنها مدخلات وليست مخرجات؛ فهو يرى أن الهوية هي عملية أكثر من كونها بناء، كما قدم مفهوما جديدا يتمثل في"نمط الهوية" (Type de l'identite) الذي يستند إلى الاستراتيجيات المعرفية والاجتماعية التي يتميز بها الفرد في معالجة المعلومات ذات العلاقة بالذات والخبرة التي يعايشها الأشخاص، والتي تشمل عمليات ترميز ومعالجة وتنظيم وتعديل المعلومات لاتخاذ القرارات وحل المشكلات، ومن ثمة فالهوية هي بناء مفاهيمي يتكون من الأبنية المعرفية والمخططات العقلية لمعالجة وتذويب المعلومات ذات الصلة بالذات، وهي عملية من حيث أنها تشمل التفاعل بين عمليات الاستيعاب لدى الفرد وعمليات التكيف الموجهة بالسياقات المادية والاجتماعية التي يعيش بها الفرد.

وتعتبر نظرية بيرزونسكي من أحدث النظريات التي تدمج بين ما هو معرفي واجتماعي في تشكيل الهوية -على الرغم من وجود نظريات أخرى على رأسها نظرية وايت بورن [72] لأنماط الهوية والتي تستقي عناصرها من نظرية اريكسون وبياجي ومارسيا-.وترى هذه النظرية أن الهوية عبارة عن "سكيما" مخطط ذهني مُنظم من خلاله يفسر الفرد الخبرات، حيث تتألف الهوية من مدركات للذات تراكمية شعورية ولا شعورية وخصائص الذات المدركة (مثل أنا حساس أنا عنيد) والخصائص الجسدية والقدرات المعرفية التي تندمج معا والمدركات الذاتية التي يتم تلقيها من العلاقات الحميمة أو مواقف العمل والنشاطات الاجتماعية والخبرات الأخرى للفرد.

ويفهم من خلال هذا المدخل التاريخي أن مفهوم الهوية تطور بشكل لافت بداية من الخمسينات، ثم شهد خمودا حتى سنوات السبعينات، و كانت الدراسات تتمحور حول فقدان أوبحث أو تأكيد الهُويّة. وابتداء من الثمانينات، توجهت النظريات نحو دراسة السياقات النفسية الاجتماعية للهوية في وضعيات معينة؛ وهو ما جعل الباحثين يتحدثون عن "استراتيجيات الهُويّة" (stratégies identitaires) واضطراباتها بدل الحديث عن "الهُويّة"، فيتبّين أن تطور الدراسات الخاصة بالهُويّة يتم بشكل متوازي مع دراسة سياقات التغير الاجتماعي.

2تعاريف خاصة بالهويةّ :

نحاول من خلال مجموع التعاريف التالية توضيح مفهوم الهُوية بناء على ما قدمته مختلف التخصصات.

1.2.2.التعريف اللغوي: حسب لاروس[73] ص406، فإن الهوية هي ما يجعل من شكليين متشابهين في اللون والشكل، وهي مجموعة ظروف أو وضعيات تجعل من شخص ما مميزا وخاصا.

بينما يشير بلوخ وآخرون[74] ص259 , إلى أن الهوية تعد "حالة الكينونة المتطابقة بإحكام، أو المتماثلة إلى حدِّ التطابق التام أو التشابه المطلق.والكينونة هنا تتعلَّق بالشيء المادي أو بالشَّخص الإنساني".

ويمكن أن نستخلص أنَّ الأمر يتعلَّق بالتطابق التام ما بين باطن الشيء وظاهره، أو بتماثل التجليات الظاهرة لأي كينونةٍ مع جوهرها العميق بلا انفصام أو انشطار مهما كان ضئيلا.

2.2.2.التعريف الفلسفي:يعرّف المعجم الوسيط الهوِ يةَ فلسفيا بأنها" حقيقة الشَّيء أو الشخص التي تميزه عن غيره". ويُحدد جان بول سارتر[75] هوية الشخص بأنها" أنا كائن يستدعي حضور كيان الأخر"؛ ومعنى ذلك أن هذه العلاقة تستلزم سياقا معينا غالبا ما يكون جماعيا (الأسرة والصف وجماعة الرفاق وغيرهم) ويضم المعايير والقيم والقوانين.

3.2.2.التعريف النفسي: تستعمل الأبحاث الانجلوساكسونية مفهوم الذات للتعبير عن الهوية (Self concept, Concept de soi).ويعد وليم جيمس من الأوائل الذين استعملوا هذا المفهوم، حيث اعتبر الذات "أنها مجموع كلي لما يستطيع الفرد أن ينسبه لنفسه".

وقد عرّف تاب [76]الهوية في البدايةعلى أنها جملة معايير تُمكّن من تعريف فرد ما؛ وهي شعور داخلي، ويتعدد هذا الشعور بالهوية إلى الشعور بالوحدة والانسجام والانتماء وبالقيمة والاستقلالية والثقة؛ إنها مجموعة هذه المميزات منظمة حول الإرادة في التواجد.

وفيما بعد، اعتبر تاب[78] ص59 ، الهوية "أنها نظام من تصورات الذات ونظام مشاعر إزاء الذات"؛ فيما معناه أنه لا يمكن اعتبارها كنتيجة سياق عقلاني محض، ولا كمجموعة إسنادات ذات دلالة تدرك بصفة موضوعية، فصورة الذات هي بناء ذاتي متجدد باستمرار، يتناوب بين المشاعر والانفعالات التي تختلف في اتجاهها وطبيعتها.

فهوُ ية الشخص هي مجموعة الخصائص الجسدية والنفسية والأخلاقية والقانونية والاجتماعية والثقافية التي تمكن الشخص من تعريف نفسه وتصور ذاته وتعريف غيره بها؛ أو التي يستطيع الغير أن يعرّفه بها ويُحدد موقعه منه.

ويضيف محمد عبد الجابري [79] ص 722 "أنه لا هوية من دون وجود وشعور بذلك الوجود، وهذا يقوم على وعي للذات ينطوي على إدراك لتمايزها عن الآخر ولخصوصيتها في آنمعًا، مهما كانت درجة ذلك الإدراك حتى لو كان إدراكا أوليا أو بدائيا."

فالهُوية هي الشيء الذي يحس الفرد بواسطته بأنه موجود كشخص في كل أدواره ووظائفه ويحس بنفسه مقبولا ومعترفا به من طرف الغير و من جماعته الثقافية.

4.2.2.التعريف الاجتماعي: ليست الهوية بنية مغلقة وإنما هي بنية متحولة باستمرار، ولكن على محور ثبات. إنها مصطلح يعكس نفسه تحت مجهر الزمن ومعاييره، وفي سياق علاقة تبادلية تنهض على تفاعل متحقق أو مكبوح، مع معطيات الوجود ومكونات المحيط، بحيث لا يُمكن التعامل معه بمعزلٍ عن إدراك مناحي تأثره بالسلطة الزمنية للتاريخ، وبمعطيات حركة الحياة وغايات الحراك أو السُّكون الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والقانوني. لأنه من البديهي حسب غارفيلد وكولاج [79] أن ينفتح الوجود الواعي على الآخرين ويحتاج إليهم ولا يظهر تمايزه إلا بالاحتكاك بهم، ولكن حضوره ومشروعه وقوة وجوده كل ذلك يتجلى دائمًا بوعيه لخصوصيته وهويته التي تحفظ له ذلك التمايز الذيتكَون عبر تجارب وبيئة وزمن وموروث أجيال من التاريخ والخبرة.

5.2.2.تعريف علم الاجتماع السياسي: أشار إبراهيم أبراش [80] إلى أن الهوية هي مجموعة من الخصائص التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي تميزه عن الأفراد المنتمين إلى جماعات أخرى، حيث لا تكون هذه الخصائص والمميزات الجمعية صدفة أو بقرار في لحظة تاريخية؛ بل تتجمع عناصرها وتطبع الجماعة بطابعها على مدار تاريخ الجماعة من خلال تراثها الإبداعي (الثقافي) وطابع حياتها (الواقع الاجتماعي) وتغيرات خارجية شائعة مثل الرموز والعادات والتقاليد واللهجة.

وعلى عكس الفكرة القائلة أن الاقتصاد هو حامي وجامع المجتمع فإن جودلي يشير (Godelier,2007) -نقلا عن مها كيال [81] إلى أنه ينبغي الانتباه إلى التوجه المرتبط بالعلاقات السياسية في المجتمع؛ فهذه الأخيرة هي التي تربط جميع الأفراد ومختلف الأنساب في التكوين الاجتماعي بأشكال تتوافق مع النوع والفئة العمرية والجماعة الاجتماعية. وما يُشّكل المجتمع بما يحكم من هويات مختلفة ليست القرابة دائما؛ بل هي الممارسات السياسية المشتركة على قسم من الأفراد الذين يعيشون ضمنها.

إن التعاريف السابقة لم تتفق على تحديد الهوية بشكل قطعي، إلا أنها لم تختلف في أمر واحد وهو أن للهوية جانب شخصي ذاتي وأخر اجتماعي، وقد بيّن أوريل [82] أن كل محاولة لإعطاء تعريف شامل ووافي ونهائي يُرضي النفسانيين والاجتماعيين والانتروبولوجيين ستظل بدون جدوى.

3.2.ناسلية الهوية(Genèse de l’identité):

ليست الهوية معطى نولد به؛ إنما لها جذورها في مراحل مبكرة من عمر الإنسان، ومن خلال ما يلي سنتعرف على أهم محطات تشّكلها وبناءها.

1.3.2.الهوية الجسمية (Identité corporelle): الجسم هو السند والقاعدة للشعور بالهوية، وعندما يستطيع الطفل تحديد الإحساسات والضغوط والانفعالات في جسمه يتمكن عندئذ من التميز بين الذات والأخر، والتعرف على الأخر من خلال مظهره الجسمي واحتكاكه مع الأشخاص الذين يقومون برعايته، ويعي الحدود الخارجية من جسمه ومن إحساساته الداخلية (من جوع وعطش وإخراج وغيرها). كما تطبع صورة الذات بالمثيرات النزوية والعاطفية التي تقوم باستثمارها؛ فهي تمثل تصورا يتطور ويُبنى تبعا للتطور الزمني وإحساسات اللذة والألم التي ترافقها. وهو الأمر الذي يؤكده شيلدر[83] ص68 بقوله: " يرتبط الليبيدو النرجسي بصورة متلاحقة مع مختلف مناطق صورة الجسد ومراحل تطور الليبيدو؛ ومن ثم فان نموذج الجسم يتغير باستمرار".

وتتأثر صورة الجسم ومختلف مناطقه بمدى اهتمام الآخر به (بفضل النظرات والكلمات وطرق اللمس وغيرها من الاحتكاكات)، حيث يتماشى هذا الاهتمام مع القيمة التي يعطيها الفرد لجسمه؛ وهو الأمر الذي يعني وجود نوع من التقمص الجسدي(غالبا لاشعوري) الذي يحمل صورة الجسم وتصور الذات. كما أن الإحساسات الجسدية والاستثمارات النرجسية للذات مرتبطة بنوعية الرعاية الأمومية؛ وهو ما يُولد الذات الحقيقية (Vrai self) والذات غير الحقيقية (Faux self).

يجب الإشارة أيضا إلى أهمية الجلد في كونه حاجز بين الذات والعالم الخارجي، وبصفته يمثل منطقة اتصال وتبادل بين العضوية والمحيط. وكان انزيو [84] ص102

قد أكد مفهوم "الأنا جلد" (Le moi peau)الذي يضمن وظيفة تفرَد الذات التي تسمح بالشعور بالفردانية. بينما أشار بياجي [85] إلى أن الطفل بين ستة أشهر وسنتين -وبعد أن يعي إحساساته الخاصة- يتعلم بالتدريج الإحساس والإدراك بوجود محيط "لا أنا" (Non-je) الذي يمثل المواضيع والأشخاص، وليحقق ذلك فهو بحاجة إلى أربعة أصناف مكونة للواقع (الفضاء والزمن والموضوع والسببية)، حيث توصل إلى أن مفهوم الموضوع الثابت (L’objet permanent) الذي يعد أساس مفهوم الهوية، لأنه يعتبر انطلاقة لكل تمايز بين الذات والأخر.مع العلم أن هذه الهوية الجسدية هي هوية جنسية أيضا ولا تكتسب فقط باكتساب الجنس العضوي؛ وإنما من خلال تقمصات الطفولة القائمة على عقدة أوديب والتي تتحدد وفق محددات الذكورة والأنوثة الموجودة في ثقافة المجتمعات.

ومن جهته، أشار زازو[86] إلى أهمية مرحلة المرآة (Stade de miroir) في تكوين الهوية، حيث درس بطريقة تجريبية كيفية تعرف الطفل على صورته في المرآة: في السنتين يُكون الطفل صورتين واحدة تجريبية داخلية لجسمه من خلال مختلف الإحساسات، وأخرى خارجية لجسمه في المرآة، والإحساس بالهوية يظهر عندما يستطيع الطفل التمييز بين التجربة الداخلية والخارجية، وهذا التطور ناتج لميكانيزم ثنائي "تموضع/تملك" (Appropriation / Objectivation)، حيث يمثل التملك السيرورة التي يصبح من خلالها الطفل مرئيا لنفسه ويكون موضوعا في فضاء الموضوعات (Se fait objet dans l'espace des objets)، لأن إدراك هوية الموضوع ووحدته وثباته يُبنى على تصور فضاء وثبات الموضوع عبر الزمن. ويُوضّح زازو أنه من خلال هذا التلاحم(Fusion) تتحقق قدرة الطفل على استعمال "أنا" في خطابه، مضيفا أن تقمص الأخريين كأشباه (Semblables)يُوظّف بفضل آلية عكسية: ينسب الطفل لهذا الآخر داخليته الخاصة (Intériorité). كما تتماشى الهوية الجسمية والتطور الجنسي والاجتماعي بكل مراحل الحياة من البلوغ إلى الأمومة والنضج والشيخوخة وتدفع كل مرحلة من هذه المراحل إلى إعادة النظر (Remaniement) في الهوية الجسمية القائمة على الشعور الكلي للهوية، فعلى مستوى البناء الجسدي، تتكون الهوية في سياق جدلي(Dialectique): بين الداخل والخارج، أي تقمص مزدوج (Identification au double) وتقمص مثلي(Identification du semblable)، الاستمرارية والتغير، نظرة نحو الذات ونظرة نحو الأخر، وعلى هذا الأساس تظهر هذه الجدلية في تفاعل عاطفي معرفي واجتماعي بين الفرد ومحيطه.

<u>2.3.2.الهوية والتفاعل (Identité et interaction):</u> في البداية يبنى وعي ثابت للذات بصفة متدرجة في خضم العلاقة العاطفية بين الأم والرضيع، وقد أشار سبيتز[86] ص81 إلى أهمية التفاعلات المبكرة في تكوين الشعور بالهوية مركزا على ثلاث تنظيمات:

- الابتسامة (Sourire): تمثل تقليد واستجابة لمثيرات المحيط فهي تعد قاعدة لكل العلاقات المستقبلية.
- قلق الشهر الثامن (Angoisse du 8eme mois): هو استجابة لرؤية الغرباء، يتعرف الطفل على انفصال أمه عنه ويستطيع تمييزها.
- الرفض (Le non): يظهر الرفض في حوالي السنتين، ويسمح للطفل بالمعارضة ومن ثم فهو يتميز عن غيره. كما يمثل مرحلة تأكيد وإدراك الذات بشكل مستقل (L'identité se pose en s'opposant).

تتزامن هوية الأشخاص والأشياء التي تحيط بالطفل من خلال الأحكام القيمية (جيد/ سيئ، خير/شروغيرها من صفات)؛ فهي تقترح هويات يحددها في نظام تصنيفي حسب هرمية منظمة، تؤدي هذه السيرورة إلى إنتاج نماذج مثالية للتقمص وكأنها جاهزة، حيث تطلب الأسرة والمجتمع من هؤلاء الأفراد العمل وفقها. ويمكن للطفل بفضل اللغة واللعب أن يقوم بمختلف الأدوار على المستوى الواقعي والخيالي: فالمستوى الواقعي يتمثل في الهوية الاجتماعية التي يستجيب من خلالها لمطالب الكبار الذين يفرضون عليه نمطا معينا من السلوك(الطاعة والنظافة وغيرها). أما المستوى الخيالي، فيُعبّر عنها في اللعب من خلاله تقمصه أشخاص خياليين أو حقيقيين ليغذي رغبته في أن يصير شخصا كبيرا ومستقلا. ويتوسع مجال التقمصات بتوسع الوسط الاجتماعي، ويدمج الطفل بالتدرج جماعات الانتماء الـ"نحن" الذين يشاطرهم ويطبع القيم المعرفية والعاطفية، ويبني معهم الذاكرة الجماعية التي تمثل مجموعة الأحداث والتجارب والنماذج والتصورات؛ هذا ما يعرف بالتصنيفات الاجتماعية (Stratification sociale) وتنبعث أيضا استراتيجيات فردية أو جماعية التي تضع "نحن" في مشروع هوية للاعتراف والتقييم الاجتماعي. مع العلم أن التقمصات لا تأتى فقط من جماعات الانتماء؛ وإنما تتأتى من الجماعات المرجعية التي يستمد الفرد منها نماذجه التي يسعى من خلالها أن يندمج حسب ما يرغب في أن يكون، فهي لا تترجم فقط وضعية الفرد المحددة بتاريخه ومكانته الاجتماعية، بل كذلك بطموحاته وحيويته الفردية والاجتماعية، وتؤثر هذه الدينامية بشدة على الشعور بالهوية.

3.3.2.الأزمات والتحولات: لا تعتبر هذه السيرورات مجرد إضافة متتالية لعملية بناء الهوية؛ إنما أيضا إعادة إحياء(Remaniement) ومحاولات إدماج نوعا ما ناجحة، إلا أن هذه الحركة لا تمر دون انقطاعات أو أزمات أو مشكلات ذات طبيعة مَرضية في بعض الأحيان وذلك على اختلاف المراحل العمرية.

وتتدخل عوامل جديدة ذات طبيعة اجتماعية يمكنها أن تؤدي إلى تغيرات مهمة على مستوى الوعي بالذات (المهنة والزواج والأمومة والأبوة والبطالة وغيرها من التحولات)، فقد تؤثر هذه العوامل بصفة عميقة في الهوية النفسية والجسدية وصورة وتقدير الذات، وأحيانا تولد أزمة حقيقية على مستوى الهوية الى درجة تهز كليا إدراك الذات لدى الفرد.

4.3.2.سيرورات بناء الهوية: تجدر الإشارة الى أن الشعور بالهوية يتولد من مجموعة من السيرورات أو العمليات التي عمل ادموند [88]على تقديمها حسب التسلسل التالي:

- سيرورة التفرد أو التمايز(Processus d'individuation): عندما يستطيع الطفل تحديد موضع أحاسيسه وتوتراته وانفعالاته في جسده، يصبح قادرا على التميز بين ذاته وغير ذاته. وتشكّل صورة الجسد مصدر تصور الذات وحاملة مشاعر الهُويّة، إذ أن الجسد يعد حدا بين الداخل و الخارج، فهو حد ملموس للفردية.

- سيرورة التقمص (Processus d'identification): يتبنى الفرد نماذج الآخرين ويتشبه بهم من خلال هذه السيرورة، واحتل هذا المفهوم (التقمص) مكانة واسعة في كتابات فرويد، حيث يشير كل من لابلانش وبونتاليس[89] إلى " أن التقمص أو اكتساب الهوية قد أخذ بالتدرج مكانة واسعة عند فرويد؛ فهو يمثل أكثر من عملية نفسية، إنها الطريقة التي يتكون من خلالها الفرد الإنساني".

ومن جهته، حدد تاب [76] ثلاثة شروط أساسية لتسهيل سيرورة التقمص وهي: أن التقمص يفترض وجود "الشعور بالود" بحيث يكون متبادلا بين الطفل والنمط الذي يتقمصه، كما يقتضي التقمص شرط "التشابه" لأنه يتطلب وجود عناصر مشتركة أو عناصر تشابه بين الطفل والنمط الذي يتقمصه، وأخيرا "القوة" لأن عملية التقمص تصبح سهلة كلما كان النمط معتبرا محترما، وعلى هذا الأساس تتفاعل المركبات الثلاثة فيما بينها.

- سيرورة التثمين النرجسي (Processus de Valorisation narcissique): يكون الاستثمار عاطفيا، حيث كلما كان هناك دعم وسند من طرف المحيطين خاصة العائلة كلما تم تغذية الهوية والتسريع في نموها. وقد أسفرت دراسة قام بها كل من بوسما وكونن [90] أن الأطفال الذين يتحصلون على دعم وتشجيع مستمرين من أحد الوالدين أو كليهما ويتوفر لديهم إخوة سبقوهم في السن تكون الهوية لديهم أسرع نموا وأكثرا استقرارا من الذين لا يحظون بالشروط السابقة؛ وهو الأمر الذي يرفع من تقديرهم لذواتهم ويشبع نرجسيتهم.

- سيرورة الاحتفاظ (Processus de conservation): تضمن هذه السيرورة الاستمرارية عبر الزمن بالوعي الذاتي والشعور بالثبات رغم اختلاف الأدوار والمواقف بتغير الزمن.

- سيرورة الانجاز(Processus de réalisation): يظهر من خلالها تفتح الفرد نحو المستقبل بما فيه من انجازات ومشاريع.

يعمل مجموع هذه السيرورات في قالب حيوي دينامي لأنها سيرورات متطورة، وتميل نحو الاستقرار النسبي؛ فالشعور بالهوية يتأثر باستمرار بالمواقف الحياتية كالأدوار والمكانات والعلاقات

مع الآخرين والأحداث الخارجية (لقاء وحداد وطلاق وفقدان وهجرة وغيرها)، تؤثر كل هذه الأحداث على صورة الذات والشعور بالهوية، فهي ليست بالحركة الجامدة الخطية، إنما تطبع بالتحولات والحركات النكوصية التي تستمد حيويتها من الرغبة في الحصول على التوازن(Homéostasie).

وأظهر ليبيانسكي [91] أن نمو الهُويّة لا يمر بدون توترات أو أزمات ومن بينها تلك التي تحدث عند البلوغ أو المراهقة، والتي لا تنتهي أيضا عند سن الرشد، فأحداث الحياة مثل أزمة سن الأربعين والتقاعد والأمومة وسن اليأس، كلها تولّد توترات تفرض على الفرد القيام بتعديلات مستمرة في هيكلة هويته.

- سيرورة متطورة: يستمد الشعور بالهوية جذوره من الطفولة وهي عملية غير خالية من الأزمات والقطيعة، وحتى يصل الطفل إلى حالة من التوازن يجب عليه أن يتكيف باستمرار مع النضج البيولوجي والجنسي والاجتماعي، وهي ليست مجرد تقمصات ثابتة لأنه سيهجر بعض هذه التقمصات. وتمثل المراهقة أحد أهم الأزمات والانقطاعات في بناء هذه الهوية لأن الفرد يتمكن من الحصول على نماذج جديدة (الأقران والأقارب والمشاهير).

4.2. تصنيف الهُويّة:

تتنوع تصنيفات الهُويّة بتنوع الباحثين ومقارباتهم النظرية وكذا الأساليب الإجرائية التي تناولوا بها هذا المفهوم والطرق المنهجية التي استعملوها، فالهُويّة متعددة الأبعاد والعناصر، ويلجأ الفرد إلى تحيين وإبراز جانب أو آخر حسب ما تقتضيه الوضعيات التي يعيشها. غير أن هذه التصنيفات ليست محصورة ومقيدة في الواقع الفعلي؛ بل إن شروط البحث هي التي تجبر الباحث على دراسة هذا المفهوم من زاوية معينة دون أخرى، وذلك انطلاقا من خلفية نظرية وأدوات منهجية معينة.

وما التصنيفات التي سنوردها إلاّ بناءات نظرية لتسهيل تناول الهُويّة، إذ أن واقع الهُويّة كما يعيشها الفرد هو حصيلة تداخل وتفاعل مختلف هذه العناصر والأوجه في ديناميكية جدلية مستمرة ومميزة. ويمكن إيراد بعض التصنيفات حسب ما قدمته جوهر عبلاش[92]

- من حيث مكوناتها: تنقسم إلى هوية مادية وهويّة خاصة أو الذاتية وهُويّة اجتماعية، وذلك حسب طبيعة العناصر التي يعتمد عليها في تعريف هذه الهُويّة وتحديدها حسب درجة الدقة المرغوب فيها والاستعمال المزمع القيام به.

- من حيث البعد الذي تتناوله هذه الهُويّة: على هذا المستوى تتحدد ببعد الشخصية الذاتية، وبعد اجتماعي تبنى عليه الهُويّة الاجتماعية. ويمكن توضيح هذا البعد وفق المحددات التالية:

- الهُويّة الجنسية: هي جزء من هوية الأنا، وغالبا ما تعد الجزء الأساسي وتسمى أيضا "هوية النوع" (identité de genre) وهي تدل على الجنس النفسي الذي يجب أن نُميّزه عن الجنس البيولوجي، الذي يبرز في البلوغ بظهور العلامات الجنسية الثانوية. ويعتبر فرويد أنها تترسّخ بشكل واضح في نهاية المراهقة، في حين يرى أتباعه أنها تكتسب قبل البلوغ، لأنها تنبع من الصراع الأوديبي ويتواصل نموها بشكل مكثف خلال المراهقة التي تعتبر آخر مرحلة لتكوينها.

- الهُويّة الاجتماعية: تعرّف على أنها مظهر من الذات ناتج عن إدراك الأفراد لانتمائهم الاجتماعي، ويُعبر عنها من خلال الدلالة العاطفية لهذا الانتماء واعتمادا على تصنيف وانسجام التصور الاجتماعي للذات الذي ينتج عنه. وقد نُظّر لهذه الهُويّة من طرف كل من زفالوني وكودول وتاجفل (Tajfel, Codol, Zavalloni)، حيث أعطت زفالوني [93] لهذه الإشكالية توجّها مميزا، لأنها تناولت الهُويّة الاجتماعية كبنية معرفية مرتبطة بالفكر التصوري فعرفتها "بالمحيط الداخلي الإجرائي"(Environnement intérieur opératoire).

فالانتماء إلى جماعة ما يطبع أسلوب التفكير والعيش الذي يشكّل قاعدة لحيز كبير من السيّر الاجتماعية؛ فالجماعة لها "تأثير معياري" (Influence normative) بواسطة آليات مثل الضغط للامتثال والمقارنة والتقدير الاجتماعيين، وهو ما ذهب إليه كل من لينتون وكاردينر (Kardiner, Linton) من خلال مفهوم "الشخصية القاعدية".

- الهُويّة الشخصية أو الذاتية: إن الهُويّة الشخصية في منظور أصحاب التناول المعرفي هي مجموع المعلومات الداخلية والخارجية المرتبطة بالذات والتي يضبطها النظام المعرفي في شكل معرفة منسجمة ومتماسكة. ويضيف لكوبيار [94] أنها تشمل التاريخ الشخصي والوضعية والمكانة والأدوار المسندة والقيم والدافعية والقدرات؛ وهي ترجع إلى ما أسماه ليكوبيار "الذات الشخصية" (soi personnel) والذي تتضمن حسبه صورة الذات (image de soi) وهوية الذات (identité de soi)". ويشمل الشعور بالهُويّة الشخصية عدة مشاعر ترتكز على استمرارية سياق التقييم والإدماج والتقمص. وهي كما أوضّحها موكيبلي [95] تتمثل في: الشعور بالكيان المادي وبالانتماء وبالوحدة والتماسك وبالاستمرارية عبر الزمن والشعور بالاختلاف والقيمة والشعور بالاستقلالية والثقة والوجود.

إن التفاعل المتبادل بين مختلف هذه المشاعر المكوّنة للهُويّة ومرونتها، تحدد بقسط كبير نوعية وحالة الهُويّة، إذ أن كل مشاكل وأزمات الهُويّة مردها إلى مبالغة وإحباط أو إصابة في أحد أو عدد من هذه المشاعر.

5.2. رتب الهوية:

أما على المستوى التطبيقي، فقد حدد مارسيا الهوية بناء على رتبها، ونجد أن أبحاثه احتلت الصدارة في مجال الاهتمام بدراسة الهُويّة ونموها في مرحلة المراهقة بالولايات المتحدة الأمريكية،ويُعرّف مارسيا الهُويّة- نقلا عن كلاس[96] "أنها بنية داخلية وديناميكية للمهارات والاعتقادات والتقمصات السابقة". ولتعريف هذا المفهوم إجرائيا، اعتمد على منطلق نظري مزدوج، وهو أن هُويّة الأنا تعتبر كحالة افتراضية لبنية تدريجية للشخصية تظهر لأول مرة في المراهقة، وهي شعور ذاتي يمكن تناوله بواسطة الاستبطان، وتكون هذه البنية متطورة كلما كان الفرد واعيا بتفرده وتشابهه مع الغير واختلافه عنه بحدوده وإمكانياته أمام الخيارات التي يقوم بها في الحياة.وتكون هذه البنية هشّـة كلما عانى الفرد من نقص في التمييز بين الذات والغير، أو لجأ إلى الغير لتحديد خياراته الأساسية. ويتمثل الاختبار الحاسم لتقييم نضج السياقات القاعدية في قياس مستوى تنظيم مختلف العناصر المكوّنة للهُويّة ضمن وحدة مرنة.فحسب مارسيا، إن الحد الأدنى لبنية الهُويّة يتضمن تبني توجّه جنسي وموقف إيديولوجي واختيار اتجاه مهني.

لذا انصبت دراسة مارسيا [97] على تناول بنية الهُويّة بواسطة مقابلة نصف موجهة تستكشف ثلاث مجالات: الإيديولوجية والاختيار المهني والاندماج الجنسي. وفقا لنتائج المقابلات تم استخلاص أربع مستويات للهُويّة اعتبارا لمعيارين، وهما:

- انعدام أو وجود فترة حرجة لاتخاذ القرار في المجال المدروس، قصد استخراج العناصر المكونة لتعريف الذات و وجود فترة نشطة من التساؤل.

- درجة الاستثمار العاطفي والاندماج المعرفي في مختلف المجالات مما يسمح بتقييم التنظيم الوظيفي للعناصر في إطار وحدة مرنة في طور الإنهاء.

ويمكننا تلخيص هاته الرتب كما قدمها مارسيا [97]على النحو التالي:

. الهُويّة المحققة (Identité réalisée): تُميّز الأفراد الذين مروا بتجربة حرجة واندمجوا في تحضير مهني ولهم إيديولوجية خاصة، حيث مروا بفترة تساؤل والبت بين اختيارات متعددة، و أخذوا قراراتهم بمحض إرادتهم.

. الهُويّة المؤجلة (Identité moratoire): تخص الأفراد الذين يكونون في حالة انتظار ويكونون في تساؤل عام ومتناقض، رغم أنه يتضمن صراعا بين إمكانيات مختلفة. فالفرد يبدو مرتبكا، وتظهر له الاهتمامات والمشاكل الحيوية كمسائل مستحيلة الحل.

. الانتشار (Identité de diffusion): يتميز الفرد الموجود في هذا الصنف بأنه لا يكترث بمسائل الاختيار وانعدام الدخول في أي نموذج إيديولوجي أو مهني أو جنسي. فالصورة البارزة لدى هذه الفئة هي انعدام التورط الانفعالي أو المعرفي في أي مجال من المجالات المدروسة.

. الطمس (Identité de forclusion): لم يتعرض الفرد هنا لتجربة أزمة، إذ لا يمكن تحديد الفترة الفعلية لاتخاذ القرار أمام الوقائع الحيوية، رغم أنه يبدو معنيا بنشاطه المستقبلي وإيديولوجيته ودوره الجنسي. فإنه يصبح ما كان الآخرون يريدون أن يكون عليه.

ولقد عرف هذا النموذج رواجا كبيرا وبيّنت العديد من الدراسات أن العلاقة بين مراكز الهُويّة ومختلف خصائص شخصية المراهقين، منها أن الذكور ذوي هُويّة محققة أو مؤجلة هم أكثر نضجا وتكيّفا من ذوي الهُويّة المنتشرة أو المطموسة؛ بينما لدى الإناث -فحتى اللواتي لديهن هُويّة مطموسة- تظهر لديهن نفس الجوانب الإيجابية مثل المراهقين ذوي الهُويّة المحققة. فالإناث ذوات الهُويّة المطموسة يملن إلى بعث التقاليد العائلية ولا يمكنهن الدخول في مسالك جديدة -موقف التأجيل- إلا بصراع نفسي حاد.

إن تناول مارسيا يعتمد على معطيات أمبيريقية بحيث بنى تقنية لقياس الهُويّة في المراهقة، وهي تقنية ثرية من حيث عدد المتغيرات المرتبطة بالمفاهيم المدروسة مما ساهم بقسط وافر في التحديد الإجرائي لمفهوم الهُويّة، إلا أن تناوله يعوزه الإطار النظري، رغم أنه انطلق من عناصر مستقاة من نظرية إركسون، إلا أنه لم يتم توظيفها في فهم البناء التدريجي لهُويّة الأنا خلال مرحلة المراهقة.

6.2. حاجات الهوية(Les besoins identitaires):

تحقق الهوية مجموعة من الحاجات بدءا من الحاجة إلى الوجود ثم باقي الحاجات التي تتعلق بالتقدير والاعتراف، فبناء الهُويّة يتم في إطار الاستجابة لانشغالات ثلاثة تظهر في إضفاء معنى ودلالة للذات التي تكون حاملة لقيمة وتقدير إيجابيين وتضمن التكيف مع الواقع وربط العلاقات مع الغير. وهذا ما سنتناوله من خلال حاجات الهوية التي قدمها ايدموند [88].

- الحاجة إلى الوجود (le besoin d'existence): أن أكون موجودا في نظر الآخرين(اعتراف الجماعة) هو شعور يعطي مشاعر الأمن للاعتراف بداخلنا في حوار مع الأخر.

- الحاجة إلى التكامل (Le besoin d'intégration) : يترجم البحث عن الاعتراف وذلك من خلال الحاجة إلى التقدير كعضو في الجماعة كأن أشكَل جزءا منها وأحتل مكانة فيها؛ بمعنى أن لا يكون الفرد مرفوضا ولا مهمشا .

- الحاجة إلى التقييم (Le besoin de valorisation): في عملية البحث عن الاعتراف ينتظر الفرد أن يحظى بقيمة معينة وبصورة ايجابية وهي حاجة نرجسية أساسية وسند للشعور بالهوية. وعلى نقيض ذلك، يرتبط التقدير الواطئ للذات بهشاشة الهوية، قد تحفز هذه الحاجة الاستراتيجيات التقييمية (Les stratégies valorisantes) موجهة نحو الآخرين بهدف الانتماء والشعور بالأمن.

- الحاجة إلى المراقبة (Le besoin de contrôle): يستلزم الشعور بالهوية إدراك الفرد كفردانية مستقلة قادرة على أن تحدد سلوكياتها وتمارس نوعا من الضبط على الذات والمحيط. وعلى عكس ذلك، إذ فَقد الشخص استقلاليته ومراقبته لسلوكياته وخضع للاجبارات والمؤثرات التي بإمكانه تفاديها سيعيش ذلك كتهديد لهويته وكنوع من الاغتراب.

- الحاجة إلى التفرد (Le besoins d'individuation): التفرد هو إدراك الفرد لذاته كشخص فريد (Unique)وثابت ومستقل، فهو يعَبر عن الشعور بالهوية والاستقلالية والاختلاف.

وتعد هذه الحاجات محركات قاعدية للديناميات الجماعية التي بموجبها يتفاعل الأفراد مع احتفاظهم على قدر مناسب من التوازن والثبات.

7.2إلتناولات النظرية المُفسّرة للهوية:

إن إشكالية الهُويّة تخص بصفة متفاوتة من حيث الأهمية عدة تخصصات، ولقد أثارت الحاجة إلى التفكير في هذه الإشكالية ظهور تحاليل ترتبط بتناولات مختلفة. إضافة إلى ذلك، فإن التطور الحالي في مجال الاتصال وكذا تواتر تحرك الجماعات البشرية وهجرتها، نجم عنه تداخل الثقافات؛ وهو ما جعل إشكالية الهُويّة تطرح على العديد من الأصعدة.

1.7.2.التناول التحليلي(L'approche psychanalytique): فسر التناول التحليلي الهوية على أنها استثمارات نزوية وآليات تقمص تربط بين الفرد والمحيطين به وهو ما سنعمل على توضيحه بشيء من التفصيل.

طُ ور مفهوم الذات فعليا بداية من الستينات بفضل التيار الأنجلوساكسوني المعروف بعلم النفس الأنا (Ego psychologie) بزعامة كاربر وكوهت وجاكبسون (Kernberg et Kohut et

(... Jacobson. اتفقت الفرضية الأساسية التي قامت عليها بحوثهم فيما يخص الهوية على أن التصورات التي يحملها الفرد عن ذاته وجسمه ليست نتاجا لسيرورة معرفية فقط وإنما هي أيضا نتيجة لحركات انفعالية خاصة منها استثمارات نزوية-فسرتها نظرية النرجسية la théorie du (narcissisme)- وتطبع بشكل أساسي من خلال التفاعلات الأولية التي ينسجها الرضيع مع الوسط العائلي.

ويمكن القول أن بناء الذات كما قدمها اريتي [98] هو نتيجة لسيرورة ثلاثية:

- سيرورة جسدية نفسية (Processus somatopsychique): حيث صورة الذات تعتمد في بنائها على صورة الجسم.
- سيرورة نزوية (Processus pulsionnel) : حيث تستثمر عاطفيا هاته الصورة وتضبط وتسيّر الحب وتقدير الذات.
- سيرورة علائقية ذاتية (Processus relationnel et intersubjectif): تسمح بتكوين صورة الذات بالنسبة للآخرين (في نظرهم) أي نظرة الوالدين اتجاه الابن.

وقد ساهمت هذه التفسيرات في إعطاء مكانة لمفهوم الذات في الفكر التحليلي، وهذا ما نجده في أعمال جاكبسون سنة 1964 [67] التي تعتبر الذات انعكاسا للشخصية في كليتها؛ فهي الجسد والجهاز النفسي التي تمثل معا مفهوما وصفيا للفردانية (Individualisation).

كما سعت التحليلية الى توضيح المراحل الأولى في تكوين الهوية، حيث أكدت في مجملها على الأسس الجسدية العاطفية للذات. وعلى هذا الأساس، أشار جاكبسون إلى مفهوم الذات النفسية الفيزيولوجية (Soi psychophysiologique) والذات الأساسية (Soi primordiale)

ومن المنظور التكويني، بيّن جو سالم [99] كيف تظهر أصالة أعمال وينيكوت (Winnicott) من حيث أنه أكد على الأهمية القصوى للمحيط وتحديدا نوعية الرعاية الأمومية في تطوير ونمو الهوية معتبرا أن الرضيع بمفرده لا وجود له(Un nourrisson ça n'existe pas)؛ بمعنى أنه لا وجود للرضيع بدون علاقة مع أمه. كما أن الشعور بالهوية ينتج عن الانشطار (Clivage) بين الذات الحقيقية (Vrai self) والذات غير الحقيقية (Faux self)، حيث تسمح الرعاية الأمومية بتكامل منسجم بين الجسد والنفس. وعلى عكس ذلك، تتشكل الذات غير الحقيقية حينما تعجز الأم عن الإحساس بحاجات الرضيع وتعجز عن الاستجابة لهذه الرغبات والحاجات، وبالتالي يخضع لحاجات الأم مهمشا بذلك شخصيته. ففي هذه الحالة يطور طفل هوية هشة وغير مكتملة.

وقد استمرت أفكار وينيكوت في التطور بفضل الأعمال اللاحقة لكل من كوهين ولاينغ Mausud (Ronald Laing, 1970 & Kahn, 1976) الذين اعتبرا أن الشعور بالهوية هو النواة المركزية لكل إجراء علاجي أو تصور نظري. ويجب أن نشير هنا إلى أن للمدرسة التحليلية الفضل في البحث عن الاضطرابات الأساسية التي تؤثر في الشعور بالذات ومن الاضطرابات الكبرى في هذا الميدان نجد الذهان وتعدد الهوية وانعدام الشخصية.

كما أن أعمال المحللين النفسانيين ساهمت في الكشف عن البنيات التي تلعب دورا في الربط بين الفرد والمحيط بواسطة آلية التقمص، وهي المثال الأعلى للأنا (Idéal du moi) والأنا الأعلى (Surmoi): فهما الهيئتان اللتان تلعبان دورا بالغ الأهمية في تمفصل ما هو نفسي بما هو اجتماعي، وبين الفردي والجماعي. فلقد بيّن التحليل النفسي أن الفرد يبني المثال الأعلى للأنا من خلال نماذج متنوعة من مثلنة الصور الوالدية والقيم والرموز والإيديولوجيات؛ في حين يُعدّ الأنا الأعلى حصيلة للوقائع الاجتماعية والتاريخية ويتكون من قيم ومعايير المجتمع. فالأنا الأعلى يؤدي وظيفة تاريخية في ضمان استمرار التقاليد والحفاظ على التاريخ البشري على مستوى الفرد.

2.7.2.التناول الاجتماعي(L'approche sociale): تعمل التنشئة الاجتماعية على مساعدة الفرد إدخال العناصر الاجتماعية الثقافية لمحيطه، ودمجها في شخصيته تحت تأثير تجاربه مع المتعاملين الاجتماعيين ذوي الدلالة وتعلم النماذج والقيم السائدة في المجتمع؛ التي يستدخلها الفرد لتصبح جزءا من جهازه النفسي.

تنبثق الهوية حسب اريكسون [68] عن الهجر الانتقائي والتشابه المتبادل للتقمصات واستيعاب الأشكال التي يقدمها المجتمع، وتحتوي الهوية على مجموعة من المشاعر والخبرات والخطط المستقبلية المتعلقة بالفرد، حيث تعمل هذه التجارب في سياق ثقافي وتتأثر بالتفاعل القائم بين الفرد والبيئة.

ومن جهته، يركز ميد [99] على أهمية تبني الشخص لآراء الآخرين حول نفسه، باعتبار الفرد يتصرف وفقا لما يعزوه إلى حالات مختلفة، هاته الحالات ناتجة عن تفاعل بينه وبين الآخرين، كما يتم بناء الهوية نتيجة هذا التفاعل، لأن الفرد يكون مشاركا نشطا وبقدر من المرونة. ويتم هذا البناء وفق ثلاث مراحل: "تقليد الأخر"(Imitation) يكون ذو معنى بالنسبة للفرد والذي يصبح لاحقا مرجع، يليه "تقمص هذه المرجعيات والتفاعل مع البيئة الاجتماعية، ولا يتم ذلك إلا بتقبل الفرد وضع نفسه مكان الآخر(Construction de moi)، وفي الأخير "التعرف على الذات" من خلال أفراد الجماعة(Reconnaissance du soi).

وعلى هذا الأساس، ينظر إلى التنشئة الاجتماعية بوصفها عملية مستمرة من التمايز (Différenciation) والتقمص(Identification)؛ وتحمل هذه العملية في طياتها نوعا من الصراع بين التشابه(Conformité) والتفرد(Individualité).

ومن ثمة اعتبر (Ziller) زيلر نقلا عن ادموند [88] أن الهوية تتحدد بالأخر، إذ اقترح نظرية التوجه ذات- أخر (Soi- Autrui) واعتبر أن الفرد يتحدد في إطار مع الأخر أو الجماعات المهمة بالنسبة إليه، حيث أن الهوية هي نوع من الإجابات الاجتماعية للمثيرات الناتجة من التفاعلات مع الآخرين، ويسعى الفرد إلى كسب نوع من تقييم الذات من خلال هذه الجماعة.

وقد نتج عن هذه الأفكار نموذج للهوية يشمل المكونات التالية: تقدير الذات والاهتمام الاجتماعي والشعور بالتهميش والتمركز حول الذات وتعقد الذات والتقمص وتقمص الأغلبية والقدرة وإدراك الذات والتفتح نحو الآخر. وفي المقابل، قدم كودول[100] السياقات التجريبية للسيرورة المعرفية الخاصة ببناء الهوية وتحديد ميكانيزمات الاستيعاب والتمايز التي بفضلها يبني الأفراد هويتهم في السياق الاجتماعي وأظهرت هاته الآليات أنها تستجيب لاستراتيجيات تقييم الذات والاعتراف الاجتماعي من خلال نظرة الآخرين.

وأشار ايمانيوال وآخرون [101] من خلال دراسة أجراها على قوات حفظ السلام إلى أن القيم والأطر المرجعية التي كان يتقاسمه الجنود هي التي مكنّتهم من الإبقاء على تفرد هويتهم بعضهم عن بعض؛ فهم لا يتصرفون بشكل فردي ولكن بشكل جماعي وهو نفس الأمر الذي أشار إليه تاجفل في كون الفرد يؤكد هويته من خلال الأطر التي صاغها غيره.

2.7.2.التناول النفسي الاجتماعي (Approche psychologie sociale): يشدد هذا التناول على أن الهُويّة تتحقق عبر سياق مزدوج هو التنشئة وذلك من خلال الاجتماعية (socialisation) والفردانية (personnalisation). وقد أسهم هذا التناول بشكل مميز في دراسة الهوية بدءا من فكرة ميد (Mead) التي مفادها أن الذات في أساسها بنية نفسية واجتماعية تتولد بفضل التفاعلات اليومية، وأن الفرد يعي هويته من خلال تبنيه لأراء الجماعة التي ينتمي إليها.

وأوضح اريكسون[102] أن تكوين الهوية يستلزم سيرورة تفكير وملاحظة متلازمين، وهي سيرورة نشطة في كل مستوى التوظيف العقلي، حيث يقيَم الشخص نفسه على ضوء تقييم الآخرين له وبالمقابل يقيّم الطريقة التي تم تقييمه بها على ضوء طريقته الخاصة في إدراك ذاته، ويكون جزء كبير من هذه السيرورة لاشعوريا. مع العلم أن هذه العملية -حسب اريكسون- هي موضوع تطورات وتحولات على المستوى النفسي والاجتماعي، بحيث تتكون الهوية عبر مراحل تقمصية منذ الطفولة

التي تطبع بنماذج مثالية في سياق ثقافي وفي صور خيالية إذ تستثمر النزوات الليبدية والنرجسية وتحدد التصورات اللاشعورية لـ "الذكورة والأنوثة" وهذا ما نلاحظه عند الجماعات المهمشة والأقليات، عندما تدمج بصورة سلبية من طرف الجماعة المسيطرة ويدركون ذواتهم من خلال هذا الصورة.

من جهته، أوضح سابرن (Sarbin , 1954) نقلا عن ادموند [88] في نظرية الدور (Théorie de rôle) أن الذات هي نتيجة للأدوار الاجتماعية التي يمارسها الفرد وبالتالي فالهوية متعددة الجوانب، ويمكن أن تكون صراعية على اعتبار أن مختلف الأدوار قد تتناقض، وهو ما يتفق مع وجهة نظر غوردن [103] التي أكدت فكرة تعددية أبعاد الهوية (Multidimensionnel) ولا تعتبر بذلك الذات ظاهرة جامدة؛ إنما سيرورة معقدة من النشاطات والادراكات المتواصلة وأنها بنية منتظمة من الدلالات التي تفرزها عملية التنشئة الاجتماعية، حيث يوضع الفرد في علاقة دائمة مع الأخر.

وقد ميّز غوردن [103] ثمانية أبعاد كبرى للهوية يمكن عرضها في العناصر التالية:

- المميزات الشخصية: الجنس والسن والاسم والأصل والعرق والجنسية والديانة،
- الأدوار والانتماء: الأدوار العائلية والمهنية والانتماءات الأيديولوجية والمكانة الاجتماعية والمشاركة في الجمعيات،
- التقمصات المجردة: الفردنية الأيديولوجية التصنيفية،
- الاهتمامات والنشاطات: الهويات ومختلف الممارسات،
- المراجع المادية: الصورة الجسدية والممتلكات،
- الإحساسات الخاصة بالذات: الكفاءات والشعور بالوحدة والقيمة الخلقية،
- الخصائص الفردية: التميز عن الآخرين والفردانية،
- أحكام حول الذات: مثل أنا محبوب وغير ذلك.

انطلاقا من هذا النموذج صيغ مقياس "من أنا؟" (Que suis-je) من طرف كوهن وبارتلاند (Kuhn et Partland) والذي طورته فيما بعد زافالوني[93] بالاعتماد على الاستبطان البؤري.

4.7.2.تناول الأنتروبولوجيا الثقافية (L' approche d'anthropologie culturelle): نجم عن تواتر تحرك الجماعات البشرية وهجرتها تداخل الثقافات وامتزاجها؛ بالتالي تدخل عنصر التثاقف كعنصر فعال في تشكيل وتحديد الهوية وهو ما سعت إلى تفسيره التناولات الانتروبولوجية والثقافية لاحقا.

طبعت أعمال هذا التوجه بأعمال التحليل النفسي، وقد اهتمت بموضوع الهوية في بعده الجماعي وذلك بالاعتماد على ما قدمه اريكسون وكاردينار، وقد درست الأنتروبولوجيا المكانيزمات التي بفضلها تنتج وترسل كل ثقافة نماذج وأنماط الشخصية الخاصة بها، كما تم ذلك أيضا بفضل أعمال كل من اريكسون وميد وفروم وبتلهايم.

أما في فرنسا، فقد ركزت أعمال دوفيرو [104] p113على مفهوم الشعور بالاستمرارية عبر الزمن الملازم للهوية، "فالقول أن الشيء مطابق لذاته، معناه مقارنته في زمنين مختلفين، فمبدأ التفردية يعني عدم تغيّر الموضوع رغم تغيّر الزمن". وترتكز هذه التجربة على إدخال كل الخبرات عبر مراحل الحياة ودون قطيعة، حيث يعتمد هذا الإحساس على مؤشرات منها ديمومة الجسد والذاكرة وتعاقب التجارب؛ فكلما أدى العمل النفسي إلى حوصلة وإدماج مختلف التجارب بإضفاء دلالة عليها استمر الشعور بالهُويّة.أما في حالة ما إذا حدثت قطيعة، فإن ذلك سيولّد شعورا بأزمة هوية. ولكي نتمكن من الشعور باستمراريتنا وعدم تغيرنا في الزمن، يجب أن نتمكن من تنظيم الأحداث التي تقع لنا في سلسلة سببية، وتعد هذه السلسلة تصميما زمنيا أحادي الاتجاه، منطقيا وغير قابل للتعديل.

الجديد في هذا التناول أنه سلط الضوء على السيرورات القاعدية العميقة بين المنظومات المولّدة للثقافة والهويات الفردية والجماعية مبرزا أن كل ثقافة هي وعاء التصورات وكذا نماذج الهوية المختلفة.

5.7.2.التناول التكويني النمائي (L'approche génétique): قدمت نظرة أكثر انفتاحا من خلال فكرة الهجر الانتقائي للنماذج السابقة وكذا تبني الفرد أراء الآخرين حول نفسه (وهو الأمر الذي أُهمل سابقا). ونجد من رواد هذا الاتجاه كل من تاب وزازو وفالون مالريو وغودريقرز تومي(Rodriguez-tomé, Tap, Zazzo, Wallon, Malrieu)، حيث أظهر فالون (wallon) أهمية العلاقة بين الذات والأخر في تشكيل وبناء الوعي بالذات وحاول تبيان المراحل التي يمر بها الطفل في عملية التمايز بين الذات والأخر.

أما زازو[86] فقد ركزت على مرحلة المرآة (Stade de miroir) والتي اعتبرتها حاسمة في معرفة والاعتراف بالذات ومشكلات الهوية، حيث قامت بدراسة واسعة لتصور الذات لدى المراهقين

على عينة تبلغ 665 مراهقا، وتوصلت الى أن موقف المراهقين اتجاه تصورهم للمحيط البشري يتميز بتحيزهم وتثمينهم للفئة التي ينتمون إليها مع ميلهم إلى التمييز بين الصفات المرتبطة بالذكور وتلك المرتبطة بالإناث، كما خلصت إلى وجود علاقة وطيدة بين تصور الذات والآخر، بحيث أن الشعور الذي يتكوّن لدى المراهق باختلافه عن غيره هو نتيجة للقيمة التي يعطيها لشخصيته أو بعدم تقييمه الإيجابي لإمكانياته الخاصة في تأكيد هذه الشخصية في الواقع، في حين أنها تقل عند المراهقين الأكبر سنا لكونهم قد اكتسبوا نظرة أكثر واقعية عن أنفسهم.

ومن جهته، أوضح ليكويار[94] الذي وضع ما يسمى بالنموذج المدمج (Modèle intégré) لتطور الذات خلال مراحل العمر من الطفولة إلى الشيخوخة- أن البحث عن الهوية لا يتوقف في سن الرشد؛ بل أنه يستمر حتى الشيخوخة، معتمدا في ذلك على الدراسات التي تمت قبله خاصة منها أعمال والون وزازو وبيرون(Wallon, Zazzo, Perron).

كما حاول رودريقاز تومي (Rodriguez-Tomé) [105] ص74في دراسته أن يحلل العلاقة الموجودة بين الذات و الآخر في تكوين الشعور بالذات أو تصوّرها. و لقد أجرى هذه الدراسة على عينة مكوّنة من 180 مراهقا و120 مراهقة، وقد بينت نتائج الدراسة وجود تقارب بين الصورة الذاتية ومختلف الصور الاجتماعية، وهذا يعكس تقارب مختلف مكونات الشعور بالذات "فالنواة الصلبة لصورة الذات تحتوي على الغير الذي يجب أن يعرّف المراهق نفسه لديه بشكل شبيه للإدراك الذي يكونه عن ذاته"، وهذا يثبت حتمية الانسجام الداخلي للفرد، فالعكس يؤدي إلى أنا مقسّم وإلى القطيعة في العلاقات مع العالم.

وقد اعتبر رودريقاز تومي [105] سياق التفرد عاملا يؤدي إلى تأكيد الذات، إذ يشعر الكائن بذاته عند نهاية المراهقة ويعرف بشكل واضح ومميز هويته لذاته وهويته للغير.

6.7.2.التناول الظواهري (L' approche phénoménale): ركَز هذا التناول على الهوية الذاتية، حيث اهتمت أعمال كل زفالوني وزيلر وغوردن (Zavalloni, Ziller, Gordon) بما يسمى "الذات الظواهرية" (soi phénoménal) من خلال تجارب وصفية متعددة الأبعاد وغالبا ما تكون تنظيمية (Hiérarchique). وقد اقترح لكويار[94] نموذجا متكاملا من خلال الدراسات السابقة وهو نموذج تنظيمي مبني على تفرعات أساسية يوضحه الجدول (10):

جدول (10): نموذج تجريبي-نمائي لمفهوم الذات حسب لاكويار (1978 , L'écuyer).

نموذج تجريبي-نمائي خاص بمفهوم الذات		
البنيات	البنيات الفرعية	التصنيفات
الذات المادية	الذات الجسمية	السمات والمظهر الخارجي. الشروط الفيزيائية والصّحة.
	الذات التملكية	ملكية الموضوعات والأشخاص
الذات الشخصية	صورة الذات	التطلعات، النشاطات، المشاعر، والعواطف، الميول والاهتمامات، القدرات والاستعدادات، المزايا والعيوب.
	الهُوية الذاتية	الأدوار والمكانة، الثبات، الإيديولوجية، الهُوية المجردة.
الذات التكيفية	قيمة الذات	الكفاءة، القيمة الشخصية.
	أنشطة الذات	إستراتيجية التكيف،الاعتماد على الذات،التناقض الوجداني،التبعية...
الذات الاجتماعية	الانشغالات، والاتجاهات	المبادرة، السيطرة، الإيثار.
	المرجعية نحو الجنسية	مراجع بسيطة، انجذاب وتجارب جنسية.
الذات –غير-الذات	الرجوع إلى الآخرين	

يظهر من خلال الجدول رقم(10) دور عملية التنشئة الاجتماعية وأهميتها في تكوين ذات الطفل الذي يسعى إلى بناء صورة معينة عن ذاته، تشمل مجموعة من المعتقدات والقيّم والاتجاهات التي تحدد مواقفه وتُوجه سلوكاته تجاه نفسه واتجاه الآخرين، فالذات بهذا الشكل تعد نتاجا للتفاعل الاجتماعي مع الآخرين من خلال اندماج قيّم واتجاهات ومفاهيم هؤلاء، لأنه لا يمكن على الإطلاق تصور كلمة "أنا" في حالة عزلة وتهميش.

7.7.2.التناول المعرفي (L'approche cognitiviste): بدأ مفهوم الذات في الثمانينات يأخذ مكانته في الولايات المتحدة الأمريكية كأحد أهم مواضيع علم النفس المعرفي التجريبي وذلك بتطبيقه في معالجة المعلومات في البحوث المتعلقة بالهوية.

واعتبر كل من كهلسترن وبيولا (Kihlstron et Piolat, 1992) الذات تصورا ذهنيا يبنيه الفرد حول شخصيته، ويكون هذا التصور مخزنا في الذاكرة وهو مكون من شبكة معرفية (مجردة وصفات شخصية ومحسوسات مرتبطة بتجارب وأفكار وسلوكات معينة) مترابطة تهدف إلى لتفسير وتأويل المعلومات، حيث تكمن وظيفتها في ضمان وضبط التجربة الاجتماعية.

غالبا ما اعتبر هذا التناول الذات كنقطة مرجعية معرفية مميزة، وله الفضل في إبراز تعددية الذات بحيث ميّز بين: الذات الموقفية(Soi situationnel) التي تظهر الذات حسب المواقف التي يختبرها الإنسان والذات الاستعدادية (Soi dispositionnel) التي تمثل مجموع التصورات المستقرة والمستمرة والذات الحالية(Soi actuel) التي تبرز كيفية تصور الفرد لذاته والذات المثالية(Soi idéal)التي تُعّبر عن صور مثالية عن الذات، إضافة إلى الذات الممكنة (Soi possible) وهي ما يطمح الفرد أن يكون في المستقبل.

وتبنى التناول المعرفي الرؤية التي قدمها ميوسن(Mussen, 1980) [79] p13في أن الهوية هي "بنية عقلية مركبة، لها خصائص معرفية وانفعالية التي تحتوي على إدراك الفرد على باعتباره شبيه نفسه ويختلف عن غيره". إلا أن هذا التناول -الذي أغفل التوجه الانفعالي- لقي نقدا من طرف التناول التكاملي والنسقي على أساس أن الهوية ليست فقط بنية معرفية؛ بل أنها أيضا سيرورة حيوية وعلائقية، حيث تتدخل -بشكل متناوب- آليات لاشعورية وحركات الاستيعاب والتمايز للنماذج الاجتماعية والثقافية للوظائف المعرفية (منظور متعدد المرجعية).

8.7.2.التناول التفاعلي (L'approche interactionniste) : يعود الفضل إلى ميد (Mead) على اعتباره رائدا من رواد المنظور التفاعلي في علم النفس، حيث أشار الى أن الذات هي نتيجة للتفاعل الاجتماعي، وقد شاركه العديد من الباحثين هذا التصور مثل وليم جيمس الذي أوضح في كتابه "ميادين علم النفس" سنة 1980 أهمية الدور الأساسي للأخر في الوعي بالذات،

وبالدوين(Baldwin) الذي أولى اهتماما بالغا لتطور الذات عند الطفل، ورودريقز طومي [105] الذي قدم في كتابه (Le moi et l'autre) شرحا مطولا لهذا التوجه. أما التطور الفعلي لهذا التناول فكان على يد شلدن (Sheldon Stryker) سنة 2000 الذي أظهر أهمية التفاعلات بين الذات والبني الاجتماعية.

وفي هذا السياق، أشار علاء الدين كفافي [106] إلى أنه يجب أن لا نغفل الدعم الذي قدمه المنظور النسقي بزعامة باتسون (Bateson) من مدرسة بالو التو (Palo-Alto)، حيث أبرز مدى تأثير الاتصال مع الأخر على إدراك الذات، فمفهوم الرابطة المزدوجة (Double binde) يشير مثلا إلى الرسائل المتناقضة التي قد تُولد اضطرابا شاملا على مستوى الهوية.

أما جوفمان (Goffman) [107] ص40 فقد قدم مساهمة كبيرة للمنظور التفاعلي، حيث يمثل "التفاعل الاجتماعي بالنسبة له الواجهة (face) التي تُعبّر عن قيمة اجتماعية ايجابية؛ فهي تبرز صورة الذات من خلال ما يتبناه الفرد من سلوك على مستوى العلاقات الاجتماعية التي يلتزم بها"، ويضيف أيضا أن أغلب الطقوس الاجتماعية لها وظيفة الحفاظ على هذه الواجهة للأعضاء (ففي حالة اللجوء مثلا يتمسك اللاجئون بعاداتهم وتقاليدهم حفاظا على هويتهم).

يظهر من خلال كل ما ذكرناه من تناولات نظرية مدى تنوع الأبحاث بخصوص الهوية، فبالرغم من اختلافها الظاهر اتفقت على أهمية التفاعل الاجتماعي في بناء وتطور الهوية.وهو ما جعلنا نخصص جزءا نتناول فيه أهمية التنشئة الاجتماعية في بلورة وبناء الهوية.

8.التنشئة الاجتماعية وتكوين الهوية:

تمثل السياقات الاجتماعية والثقافية والبيئية عامل مهم في نمو الهوية، ويأتي تأثير التنشئة الاجتماعية من اكتشاف الفرد للقيم والإيديولوجيات والمعاني والرموز والالتزام بها خلال العلاقة التبادلية بين الفرد والسياقات في المستوى الواسع والأشمل والسياقات في المستوى الضيق والأصغر.فالسياقات الواسعة هي التي تشمل الثقافة والقيم والبيئة الفيزيائية والديموغرافيا والسياسة والطبقة الاجتماعية والجماعة العرقية للفرد، أما السياقات الأصغر والأضيق فتشمل أشكال الاتصال بين الأفراد من نقاشات وحوارات وتفاعلات يومية بين الفرد والمجتمع.

1.8.2. دور الأسرة في تكوين الهوية: تعتبر الأسرة من السياقات الاجتماعية المهمة التي تؤثر بشكل مباشر وقوي في نمو وتشّكل هوية الأفراد من خلال عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي. وقد اعتبر آدمس [107]أن نمو الهوية ضروري للفرد لسببين: الأول يتمثل في حاجة الفرد للشعور بالتفرد أما الثاني فيظهر في حاجة الفرد للانتماء وأهميته بالنسبة للآخرين وهذا يتم الاهتمام به خلال التنشئة الاجتماعية للفرد.

وافترض ويترمان [108] أن التواجد مع الوالدين قبل مرحلة المراهقة هو أحد العوامل المؤثرة في تشكيل الهوية، حيث تتشكل حالة تقييد الهوية إذ تواجد الطفل مع أحد والديه واعتبره نموذجا ايجابيا والتزم بتوقعات الأسرة فيما يتعلق بالمهنة والإيديولوجيات الدينية والسياسية، أما في حال اعتبار الوالدين نموذجا سلبيا للالتزام بالقوانين والإيديولوجيات الدينية والسياسية فان هذا يؤدي إلى تشكيل حالة تشتت الهوية عند المراهق.

2.8. دور الثقافة في تكوين الهوية: إن الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي ينطوي على المعرفة والعقائد والفنون والأخلاق والقانون والعرف؛ أي كل ما يتصل بمقومات الفرد والمجتمع من النواحي الإعتقادية والفكرية والسلوكية، حيث تضع هذه العناصر بصمتها على المجتمع فتمَيزه على غيره وتطبع بذلك سلوك الفرد الذي يكتسب القيم والمعايير الاجتماعية عبر التنشئة الاجتماعية، وحتى وان كان لكل فرد خصوصيات يتميز بها عن الأخر إلا أنه يتبنى جانبا من السلوك الاجتماعي الذي يحدد النسق الثقافي للمجتمع، وبالتالي فإننا نقر أن للهوية الفردية أساسا ثقافيا على غرار ما ذكره اريكسون [109] قائلا :"لا تتموضع عملية تشكل الهوية على مستوى الفرد فحسب، وإنما تتشكل أيضا من عمق ثقافة مجتمعه".

''Le processus de l'identité ne se situe non seulement au cœur de l'individué, mais aussi au cœur de la culture de sa communauté''

وفي هذا المقام، نجد بأن الدراسات الأنتربولوجية الثقافية في الولايات المتحدة قدمت إسهاما كبيرا في ترسيخ دور الثقافة في تشكيل وحفظ الهوية، بزعامة كل من ميد ودوفرو (Devreux)، فقد سمحت أعمال هذا الأخير بتبيان أن الثقافة والشخصية تظهران معا وأنهما متطابقتين، إذ تساهم الثقافة في التوظيف النفسي الداخلي للفرد، حيث بيّن دوفرو [104] أنه عندما يعاني المجتمع من أزمات فإن ذلك سيعرض معنى الهُويّة لدى أفراده للخلل، وتميل البيئة الاجتماعية في مثل هاته الحالات إلى التأثير على الجزء النووي من نفسية الإنسانوالمتمثل في معنى ذاته المكوّ ن من صورته الجسدية من جهة، وشخصيته العرقية (ethnique) التي تتكون خلال المرحلة الأوديبية ومرحلة "المواضيع" الكلية التي تعمل كوسائط (médiateurs) للبيئة الاجتماعية والثقافية من جهة أخرى.

وبما أن الهوية مرتبطة معرفياً بالحقل الثقافي الذي يشكله تقاطع مجموعة محددة من المجالات في زمن ما، فان ذلك يفرض على كل من تلك المجالات مساحة انتماء مختلفة تحدد بشكل مؤثر سمات الهوية؛ فالإنسان في طفولته تختلف قيم انتماءاته عنها في شبابه وكهولته وشيخوخته بسبب تطور جهازه الإدراكي من جهة، وتأثير بعض عوامل البيئة المحيطة من جهة أخرى.

ولقد خلصت الدراسات الأنتربولوجية إلى اعتبار الثقافة ليست كمجموعة من المضامين الفلكلورية؛ بل كتنظيم واسع متداخل ومعقد لفكر حقيقي يشمل التصورات الخاصة بالعالم ويلجأ استراتيجيات وجودية يسكن فيها الفرد قبل أن يستثمرها. وهي الفكرة التي أوردها نور الدين جباب [110] ص202 بقوله "أن الهوية الثقافية هي منتوج تاريخي أسهمت في تكوينه عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية مختلفة داخلية وخارجية".

إن البعد الثقافي في الهوية يستدعي بدوره الحديث عن الهوية الجماعية أو العرقية، حيث تتحدد الهوية بانتماء الفرد لجماعة ما، وقد تكون:

- جماعة بيو نفسية (الجنس والسن وغيرهما)،
- جماعة اجتماعية ثقافية (عرقية ومحلية ووطنية)،
- جماعة الأدوار والمكانات (أدور عائلية وأدوار عمل وغيرها)،
- جماعات إيديولوجية(فلسفية ودينية...).

ترتبط هذه الجماعات الإنتمائية بنماذج مثالية وتصورات ومشاعر تطبع الشعور بالذات، حيث عبّر موسكوفيسي[111]292 p عن ذلك بقوله: "أن الهوية الاجتماعية للفرد ترتبط بمعرفة انتمائه لجماعة اجتماعية معينة وبالمعنى العاطفي والتقمصي الناتج عن هذا الانتماء".

والهوية العرقية حسب يرنارد [112] تسمح بالرجوع إلى تاريخ وأصل واحد في شكل تعبير ثقافي مشترك، والذي لا يمثل إلا جزءا من الثقافة التي تكون لها بمثابة معايير تؤدي إلى التجمع حول موضوع جماعي خاص يُشّكل نواة الهوية الجماعية، والذي قد يكون اللغة والدين أو العادات المرتبطة تاريخيا بهذا العرق، وعلى أساس أن هناك جدال دائم بين" نحن" و"أنا"، فإن الهوية الجمعية (Collective) هي المشاركة الوجدانية الجماعية في تكوين الهوية الجمعية وهي أساس كل أنواع الهويات لأنها ترسي الشعور بالهوية من خلال الشعور بالانتماء أو الشعور بالقيمة المرجعية، فالهوية الجماعية تعتبر عنصر تجانس وتماسك للمجتمع.

والجدير بالذكر أن الهوية الجمعية تنشط وتبرز كلما حدث شعور بالخطر، فتذوب الهوية الفردية في الهوية الجماعية لمقاومة ما من شأنه المساس بخصائص الهوية، لذلك كلما تعرضت مجموعة أو أقلية إلى ضغط ما كلما طالبت بهويتها.

وتكملة لهذا الطرح، فان دراسات كثيرة مثل (Al-Issa, 1997; Branscombe, Schmitt, & Harvey, 1999; Cross, 1991; Mossakowski, 2003; Williams, Spencer, & Jackson, 1999) اتفقت على أن الهوية العرقية تخفف من وطأة التميز، حيث تعمل الهوية -

المبنية في أساسها على الإرث الثقافي- على التقليل من المخاطر المصاحبة للاكتئاب والشعور بالعجز. وبالمقابل، نجد دراسات أخرى كالتي قام بها نوه وآخرون (Noh et al, 1999) تفيد أن التمسك بالهوية العرقية يزيد من الآثار السلبية للعنصرية والإحساس بالتميز والاختلاف عن الآخر بينما أشار تجفيل وتورنر(Tajfel and Turner ,1979) أن الهوية المرجعية يمكن لها أن تكون فقط مصدرا للاعتزاز وتقدير الذات.

إن الاختلاف في نتائج هذه الدراسات يمكن فهمه من خلال رجوعنا الى ما قدمه لازاروس وفولكمان [113] في النظرية المعرفية التي تُركز على أن التقييم الفردي هو الحَكَم، إذ تفسر هذه الوضعية إما على أنها تهديد أو من الممكن السيطرة عليها، ويمكن أن تشّكل الهوية العرقية مصدرا للضغوط النفسية إذ انتهك الالتزام بها.

3.8.2. دور اللغة في تكوين الهوية: لا يكتمل الحديث عن الهوية في غياب اللغة، فخطاب الوالدين يوَجه الهَوية ويعطي معنى لسلوك الطفل ويمنحه تصورا لذاته يلتزم به الطفل لاحقا، وهنا تظهر جدلية جديدة للهوية بين الموضوع والاسم والجسم والرمز والمظهر والتسمية الدال والمدلول، فاللغة تعطي معنى وحياة اجتماعية للهوية، لأنها ليست مجرد وصم يفرض على الموضوع؛ إنما فضاء أين تتكون التصورات والقيم والإيديولوجيات التي تولد الثقافة. وفي هذا الصدد، يقول غريماس [114] "أن الأفراد لا يستعملون اللغة إنما يتكونون جزئيا منها".

يكتسب المرء دوره ومكانته في المجتمع من قدرته على استعمال اللغة المناسبة، وتكوين الرموز وبراعته اللغوية ونسبة تأثره بقيم الجماعة، حيث يكون لطلاقة التعبير وأنواع الجمل التي يفتتح بها الحديث دورا في تكريس قيمته الاجتماعية؛ فإن ذلك كله يعود إلى أن نظام الرموز الاتصالية، فالشكل اللغوي مهم وموازٍ لأشكال الهوية الأخرى الظاهرة كاللباس التقليدي ومظاهر التعبد الديني وطقوس العادات الاجتماعية.

وقد وجدت دراسة كاميليري (Camilleri,1986) نقلا عن كوسة فاطمة الزهراء[115] التي تناولت الطلبة المهاجرين إلى فرنسا أن الطلبة الذين يتكلمون الفرنسية لا يعانون من مشاكل الاتصال داخل المجتمع المضيف؛ وهو الأمر الذي ساعدهم على الاندماج وإلغاء العزلة ودفعهم إلى البحث عن جماعات انتمائهم الثقافي واللغوي وعند التقائهم بالجماعة الأصلية (يزيد تمسكهم بالقيم اللغوية والثقافة الأصلية) مع مرونة في التعامل مع صفات المجتمع الأصلي. هذا ما يظهر بأن اللغة تعتبر كأحد عناصر الحفاظ على الهوية بصفتها تدخل في الرصيد الجمعي الذي يتوارثه المهاجرون.

ويشير علي حمدان [116] في دراسة لمجموعة من الاستراليين العرب إلى أن التركيز على أهمية اللغة لا يكمن في تسهيل التخاطب فقط بين الأجيال المختلفة؛ بل أن الموضوع أعمق من ذلك بكثير،

فاللغة- على وجه التحديد في خطاب الكنيسة وفي الحياة الاجتماعية العامة- أداة رئيسية للتواصل الثقافي وتوارث العادات والتقاليد والتاريخ المشترك؛ ومعنى ذلك أنها محاولة إعادة إنتاج الروابط الاجتماعية العامة بين الأجيال أي أننا هنا أمام بعد عربي- لغوي- ثقافي يلعبدوراً رئيسياً في إعادة إنتاج الروابط بما في ذلك إعادة إنتاج حضور الهوية العربية.

وفي دراسة لكريشان [117] عن السيخ في كشمير توصلت الى أن الاتصال اللفظي المُعبّر عنه في لهجتهم يعتبر عاملا من عوامل التخلص من الضيق والضغط الناتج عن التثاقف، حيث أشار إلى أن الثقافة التي أصبحت بديلا عن الوطن المسلوب هي محدد على قدر عالي من الأهمية بالنسبة لهؤلاء اللاجئين الذين لا يخلو حديثهم منها.

9.2.استراتيجيات الهُويّة:

يلجأ الفرد أو الجماعة في وضعيات معينة إلى استعمالاستراتيجيات تعرّف حسب لبيانسكي [118] p24على أنها "أساليب يُوظفها الكائن (أفراد أو جماعات) بصفة شعورية أو لا شعورية لتحقيق غاية ما في وضعيات التفاعل وفقا لمختلف المحددات الاجتماعية والتاريخية والثقافية والنفسية لهذه الوضعية التي تعني مجموع العمليات الهادفة إلى تفادي المعاناة والتقليل من القلق"، لا سميا من أجل حل الصراع في وضعيات التثاقف، والذي يمكن اعتباره حسب هارسكوفتس (Herskovits) -نقلا عن مها كيال[81] "سيرورة تسند بواسطتها معان ثقافية لأشكال قديمة، وسيرورة التثاقف قد تكون عفوية وغير مراقبة وقد تكون منظمة لصالح جماعة ثقافية على حساب أخرى، أو من أجل مواجهة أزمات على أي صعيد. وعلى هذا الأساس، تعتبر أزمة الهوية نقطة دوران ضرورية ولحظة حاسمة تحدد ما إذا كان ينبغي أن يتحرك النمو في مسار واحد أو أكثر وتساعد على تنظيم موارده وإعادة اكتشاف الهوية وإضافة التمايز والتفرد.

ويعتقد اريكسون [102] أن أزملت الهوية تثير الهوية الشعورية التي تُجبر الفرد على اكتشاف البدائل والخيارات بين وجهات النظر المتباينة في نواحي عديدة (سياسية واجتماعية وغيرها) وإعادة حله من خلال التعهدات والالتزامات الاديولوجية الشخصية. وتنفذ هذه الاستراتيجيات عندما يدرك الفرد الفرق بين الذات والآخرين ويجد نفسه يقوم بردود فعل دون معنى (غير مطابقة للدور أو بعيدة عنه). كما أن استراتيجيات الهُويّة تظهر في وضعية اجتماعية صراعية، مثل وضعيات التغيّر الاجتماعي السريع أو وضعيات التسلط أو الهجرة.

ويضيف جورجس [119] أن استراتيجيات الهوية محددة في جزء منها خلال حاجات الهوية التي تظهر حسب الموقف أو السياق أو الشخصيات، بحيث يمكن إشباع نفس الحاجة بواسطة البحث عن التشابه أو التمايز.

وفي هذا السياق، بيّن عباس شبلاق[29] أنه إذا كان الجيل الأول من اللاجئين الفلسطينيين يرجع إلى ثقافته (لغته ودينه وعاداته وتقاليده ووطنيته) ليحدد موقفه وموقعه من وفي المجتمع الأوربي، فإن الجيل الثاني يحاول الحفاظ على نفس المستوى لكن بكيفية مجزأة وغير ثابتة كان قد اكتسب مضمونها من عائلته دون أن يعايش فعليا المراجع الثقافية الأصلية التي عايشها الآباء وهذا ما يطرح إمكانية عدم الانسجام مع وضعيات مختلفة؛ أي بين متطلبات (الأنا والنحن) وبين متطلبات (هم) باعتبار الفرد عاجز عن تحديد هويته إلا من خلال التكامل في الشعور الداخلي بالهوية، وهو الأمر الذي اعتبره اريكسون أساسا للهوية الشخصية، بما أن هذا الشعور الداخلي مبهم ويعتريه التباس فسيتعرض حتما إلى الاضطراب والصراع على المستوى النفسي ولاحقا على المستوى الجماعي في علاقات الفرد مع الآخرين. ومن خلال ما يلي سنتعرف على بعض استراتيجيات الهوية التي يُوظفها الأفراد في وضعيات التثاقف.

1.9.2.هوية الواجهة (L'identité de façade): يبدو من خلال أعمال كاميليري [42] أن المهاجرين يعانون من مشاعر سلبية مرتبطة في غالبها بالمجتمع المضيف الذي لم يسمح لهم بالاندماج.وفي الواقع، فان هذه السلبية ما هي إلا انعكاس مباشر للصورة التي كوَ نها هؤلاء عن أنفسهم والتي تعتبر بدورها انعكاسا للصورة التي يكونها المحيط الخارجي عنهم، وتعمم هذه الصورة فيما بعد ويدخل هذا الاختيار إطار إستراتيجية الهوية وذلك مخافة المواجهة ومحاولة لإسقاط هذا الشعور السلبي على الآخرين، وتحدث هذه الظاهرة في مثل حالات الهجرة واللجوء.

2.9.2.الهوية في موقف دفاعي(Identité en situation defensive): في هذه الحالة يعمل الفرد أو الجماعة على تبني أسلوب دفاعي أخر يتمثل في تجاهل الضغوط والانتقادات التي من شأنها الانتقاص من قيمة الهوية واعتبار السكوت خير وسيلة للتأثير والتأثر، وهذا ما عرّفه اريكسون "بعدم إحساس المجموعة" (Apathie groupale) للانتقادات أو الثقافة التي تهدد هويته بالزوال، حيث يتميز هذا الموقف بالصبر وقوة التحمل، لأنه في أساسه يهدف إلى عزل كل محاولة للذوبان قد تقضي على الهوية.

إن الدينامية الموجودة داخل الجماعات تستدعي أحيانا تفضيل أو تميز مجموعة على أخرى، إذ تحظى المجموعة الأكثر احتراما بالتعزيز المتواصل وهذا ما يضفي الاحترام الذاتي لأفراد المجموعة؛ وهو ما يسميه تاجفل (Tajfl , 1974) "بتحيز المجموعة" (In-group bais)

وافترض أن تحيز الجماعة كنتيجة حتمية لهوية المجموعة بمعنى أنهم يكتسبون هويتهم بالنزعة القائية التي تستوجب تدمير الأفراد خارج المجموعة.

ومع تزايد التكتلات سواء الاقتصادية أو الاجتماعية تزايد الحديث عن تحيز المجموعة. ومن ثمة، لاحظ كاتجا وكيرشلر (Katja et Kirchler, 2002) [121] أنه عند جمع مجموعتين أو فرقتين لأجل خلق مجموعة واحدة -كما حدث في الاتحاد الأوربي مثلا- كانت ردود الفعل إزاء المجموعة الكبيرة مختلفة حسب مستوى المجموعات: فالمجموعة ذات المستوى الأقل ترى ذلك تهديدا لهويتها خاصة إذا كانت الحدود المرسومة بين المجموعات مغلقة ويزيد الأمر سوءا إذا كانت طريقة معالجة الوحدة مسيَطرة من طرف المجموعة العليا -تم تناول هذه الإشكالية أولا من طرف تاجفل وتورنر (Tajfel &Turner,1985) وعُرفت بنظرية الحافز الاجتماعي-، بحيث يستدعي ذلك من أفراد المجموعة الأولى تنشيط دفاعاتها للحفاظ على هويتها من الضياع.

3.9.2.الهوية في الموقف الهجومية العدوانية (Identité en situation d' attaque et agressivité): عندما يشعر الفرد بخطر تفكك هويته إزاء أنماط سلوكية تفرضها ثقافة أخرى فانه يشعر بالظلم ويرى ذلك عدوانا صريحا عليه ويحس بانتقاص قيمته فيكون رد فعله دفاعيا هجوميا لصد الخطر عن هويته.

وفي هذا الصدد، أشار غيومين [120] إلى أن الهوية والعدوانية توجد بينهما علاقة وطيدة، حيث أن العنف والعدوان يمثلان -بشكل غير ملموس- حالة من حالات الهوية غير المستقرة، وتعمل المظاهر الداخلية والخارجية للعدوانية على نضج الهوية.

أما غريغ [122] فيرى أن ضبط الهوية من شأنه أن يؤثر على مراقبة العدوانية في المهام الأكثر تعقيدا من المهمة الدفاعية، ولذلك فان أمام الضغط القوي للمجتمع الذي يصل إلى السلوك العدواني على أفراد الأقلية يستدعي ردود فعل سريعة ومباشرة لأن الهوية تجند كل طاقات الفرد والجماعة للدفاع عن وحدة الهوية (Unité identitaire)،

وغالبا ما يُحفز هذا النوع من الاستراتيجيات عندما تفرض سياسة الذوبان؛ وهو ما يحدث في بعض الدول التي تحتوي على عدد كبير من الأقليات كما هو الشأن في كندا مثلا، (ويمكن أن يتماثل ذلك في سياسة التوطين التي فرضت على الفلسطينيين كحل بديل والذي تفاوتت شدة قبوله من بلد لأخر)، أو عندما تقابل الرغبة في الذوبان بالرفض من قبل المجتمع المضيف (كما هو الحال مع لاجئين الفلسطينيين في لبنان).

لا يؤدي عادة اللجوء الى استعمال أحد هاته الاستراتيجيات بشكل نمطي وصلب؛ بل يخضع لاعتبارات ذاتية من جهة وعناصر ثقافية واجتماعية من جهة أخرى تجعل من استجابة الفرد في مثل هذه الحالات تتم بشكل شبكي ودائري.

لذا فإن استراتيجيات الهُويّة في الوضعيات الصراعية لا يمكن أن تنحصر في تصنيف معين، وهو الأمر الذي يُظهر مدى تنوع وثراء هذه التصنيفات التي تتسم بالطابع الديناميكي والمرتكزة إلى حد كبير على إمكانيات الفرد وقدراته الابتكارية لمواجهة الصراعات وبلورتها وفقا لخصوصيات البيئة الاجتماعية.

10.2.وظائف الهوية:

أشار محمد مسلم[109] إلى أن الهوية تعتبر نظاما من المشاعر والتصورات والاستراتيجيات المنتظمة، فهي نظام بنيوي مميز متجذرة في زمنية ماضية "الجذور والثبات" وفي نسق السلوكات الحالية المرتبط بمنظور مستقبلي (المشاريع والقيم والأساليب) تتركب بهويات متعددة مرتبطة بالشخص"هوية جسدية ومزاجية وخصوصيات فردية"، أو بالجماعة "الأدوار والمكانات".

وإذ كانت وحدة الذات واستمراريتها يُشكّلان عنصريين أساسين للهوية، فان كودول [100]p450 يقترح عنصرا ثالثا وهو الانسجام (Cohérence)، حيث أن شعور الهوية الشخصية يأتي مما يمكن أن نعرفه بالشيء الأصلي، فالشخص له صورة متجانسة عن نفسه ويعتقد أن الشيء الذي تنسب إليه هذه الصورة (هو ذاته) له نوع من الثبات في الزمان، وهو يعطي جانبا أخرا للهوية يتمثل في رد الاعتبار للذات وإعطائها قيمة، إذ يلعب ذلك دورا في عملية تقدير الذات ويظهر من خلال الجهد الذي يبذله الإنسان تماشيا مع القيمة التي يتصورها بخصوص نفسه.

وفي هذا السياق، يؤدي البعد الحقيقي لصورة الذات وظيفة التكيف التي تسمح للشخص أن يحس ايجابيا بوجوده مع الآخرين الذين يكون بالضرورة في مواجهتهم، وهذا ما أطلق عليه كاميليري [42] اسم "الوظيفة البرغماتية" أو "الأدائية" (Pragmatique) للهوية؛ لكونها تسعى إلى تحقيق تكيف الفرد مع محيطه، فالهُويّة لا تنبني بصفة أحادية بل بمراعاة الواقع الذي يستقي منه الفرد أكبر قسط من المواد المكونة لأناه، فيمكن لهذا المحيط بتناقضاته أن يهدد وحدة الأنا؛ لذا ينبغي أن يكون بناء دلالة الهُويّة في تناغم مع المحيط عن طريق التفاوض معه.

إن الوجهة المعرفية للهوية عند كودل [100]وضح أبعادا مترابطة وتُكوّن في مجموعها شعور الفرد بهويته، ولا تنحصر هذه الأبعاد في الوعي بوحدته وبتفرده وثباته في المكان والزمان؛ وإنما تكمن أيضا في التجانس الداخلي للفرد وايجابيته شعوره بالاستقلالية.

ومن ثمة تعتبر الهوية الوظيفة الدينامية للفرد فهي جوهر وجوده في الحياة لأنها هي التي تمكَنه من التوازن والبقاء والاستمرارية داخل المحيط الذي يتواجد فيه، ومن جهة أخرى تساعد قدرتها على التغير في إيجاد التوازن مع المحيط الجديد.

إضافة إلى ذلك فقد بيّنت دراسة جيلجن [123] في مجال علم الأوبئة الثقافية (cultural epidemiology) -والتي أنجزت على مجموعة من البوسنيين والأتراك المقيمين في سويسرا- وجود سبب مباشر للإصابة بالأمراض المزمنة وتشتت الهوية الناتج عن الهجرة لاسيما في أوساط اللاجئين، حيث تقل فرص التواصل مع السند الاجتماعي والفريق الطبي، وبالتالي يتعدى دور الهوية إلى حماية الصحة العضوية.

11.2.الهوية الفلسطينية:

نحاول في هذا الجزء إعطاء صورة شاملة عن الهوية الفلسطينية بمعناها العام آخذين بعين الاعتبار أهم ما كتبه المختصون في هذا الشأن، اعتقادا منا أن أي عنصر من عناصر الهوية النفسية أو الاجتماعية وحتى الوطنية هي جزء لا يتجزأ من هوية الفلسطينيين التي يحملونها أينما حلوا، على اعتبار تشابك عناصر تشّكل الهوية النفسية التي تطبع بمختلف حيثيات الحياة سواء البارزة أو الأقل شأنا أو ذات التأثير المباشر. وضمن هذا السياق، تبرز أهمية التفريق بين قطاعين من اللاجئين الفلسطينيين: ففي السياق الفلسطيني يشكل "اللاجئ في المنفى" مفهوما واسعا يشمل جميع الذين هُجروا خارج حدود فلسطين التاريخية. على الجهة المقابلة، فإن" لاجئي المخيمات" هم ممن أجبروا على الاعتماد على المعونات الإنسانية بعد عام 1948 واستقروا في ملجأهم في المخيمات سواء الواقعة خارج فلسطين أو داخل ما تبقى من فلسطين أي الأراضي الفلسطينية المحتلة .

وأشارت صابرين الزبن [124] إلى أنه لا يمكن الحديث عن أي من هذين القطاعين كطبقة وفق النمط التقليدي، فمعظم اللاجئين في الشتات يحملون اليوم جنسيات بديلة ويحترفون مهنا ما، ويندمجون بشكل جيد نسبيا في المجتمعات المضيفة كمواطنين، كما أن وضعيتهم الاجتماعية والاقتصادية تتراوح ما بين الطبقة المتوسطة والعليا .أما فيما يتعلق بالمخيمات، فإن معدل الدخل العام منخفض بالقياس إلى دخل المواطنين المحليين، ولكن بالإضافة إلى الفقر ثمة قيود على فرص التشغيل وشيوع الأفكار النمطية عن الغير والإقصاء الاجتماعي.

ومن المهم التذكير حسب ما أوضحته نفس الباحثة [124] كيف تميّز اللاجئون الفلسطينيون بارتباطهم الوثيق بمحلية المكان، بدليل زياراتهم المتكررة إلى ديارهم الأصلية كلما سمحت لهم الظروف، فقد ظلت هذه الارتباطات متراصة بين سكان المخيمات بشكل خاص، ويعود ذلك إلى إعادة توحيد العائلات المشتتة جزئيا ضمن حدود هذه المخيمات حينما تأسست.وإضافة إلى دواعي مواجهة حالة التهميش التي يعيشها لاجئو المخيمات في المجتمعات المضيفة على الصعيدين الوطني والطبقي في ذات الوقت، فإن الارتباط الوثيق للاجئين بالمخيم كمكان، هو ما تنامي على مدار أربعة - خمسة أجيال في حقبة المنفى.

ويجب أن نشير الى نقطة مهمة كما ذكرها غسان الحاج[125] وهي صورة الوطن عند اللاجئين؛ لأن معظم النظريات الخاصة بالموطن تؤكد أن الوطن هو الملجأ الآمن، لذا يجب أن يكون أرضية انطلاق وجودية للذات وينبغي أن يدفع للحركة وبالتالي يجب أن يكون مفتوحا بحيث يتمكن الفرد من إدراك فرص لحياة أفضل (فرصة تطوير إمكانياته ومهاراته وفرصة ونموه الشخصي)، وتعتبر فكرة الإمكانية حاسمة في فهم جميع مشاعر الألفة، والإحساس بالغربة ليس إلا وليد فقدان الإمكانيات المستقبلية في المزيد من الأمن والأمل. والمميز هنا هو ميل الفلسطينيين في الشتات الفلسطيني مترامي الأطراف إلى النيئ عن النزعة المحلية، مكتفين بصبغ أنفسهم بأشكال مختلفة من- الفلسطنة-، بينما يميل لاجئو المخيمات إلى تعريف أنفسهم ببساطة كفلسطينيين.

وأوضّحت دراسة لعباس شبلاق [29] أن عناصر الاتفاق حول هوية مشتركة للفلسطينيين تبدأ من حيث يتجدد الجرح الفلسطيني، حيث تنبعث الذكريات من جديد من داخل شوراع المخيم ومن بين الأزقة، ومن قلب المعاناة والفقر والحرمان، إذ يتوحد أبناء الشعب الفلسطيني في الشتات والوطن أمام الذكرى رغم التباعد في المكان، ذلك أنهم يتنسمون رائحة القرية، البلد، المدينة، من عطر الشهداء وجراح المناضلين ومعاناة الأسرى والمعتقلين في المسيرة المتصلة، حيث تتجدد الآمال التي لطالما حملها الأجداد والآباء لكي تبقى الذكرى ويبقى الأمل حافزاً للصمود والمقاومة. فبالرغم من مرور ستين عاماً على النكبة ظلت الذاكرة الفلسطينية الشعبية حافظة للوعي الوطني لكل محطات النضال منذ ما قبل النكبة إلى يومنا هذا، وهي أيضاً ذاكرة التشرد والغربة والمعاناة التي تعرَّض لها الفلسطينيون في الشتات، وعززت لديهم روح المقاومة والتمسك بالحقوق والثوابت، لذلك لم يكن غريباً أن تنصهر فيهم الذاكرتين معاً، ذاكرة الوطن المحتل وذاكرة الغربة والشتات واللجوء، فلكل منها آلامها وآمالها الكبيرة.

ونفس هذه الأفكار نلتمسها فيما ذهب إليه عبد الرحمان بسيسو[126] كون الهوية الفلسطينية المعاصرة المؤسَّسة على ثقافة إنسانية عريقة، والطالعة من معاناة القهر ومساعي التهميش والطمس والإلغاء، والتي أعادت إنتاج نفسها عبر مسيرة نضالٍ وطنيٍّ تحرُّريٍّ شاق وعنيد، قد حصَّنت نفسها باستنهاض ما اختزنته جذورها الثقافية العريقة، من السقوط فيما نهضت لحماية نفسها منه ومقاومته، ولذلك فهي تتأسس على عمق ثقافيٍّ منفتح على ثلاث جهات هي: التاريخ الفلسطيني الموغل في القدم؛ معطيات الحاضر الموسوم بالنضال التَّحرُّري؛ وممكنات المستقبل المفتوح على استعادة القدرة على المشاركة في صنع الحضارة الإنسانية، وذلك في تواشج متصل مع نهوض هذه الهوية، أولاً وقبل كلِّ شيء على رؤى مستنيرة وعلى مبادئ إنسانية متفتحة وعلى قيمٍ ومعايير تحترم الإنسان وتحمي حقوقه وحرياته جميعاً .

ولكنَّ القدرة الذ ّاتية التي امتلكتها الثقافة الفلسطينية على نحوٍ أهَلها لبناء هويةٍ تخلُص من العنصرية وضيق الأفق والانغلاق وعدم التسامح، لم تكن لتكفل لهذه الثقافة، بعد أنْ تعرَّض أصحابها للاقتلاع من وطنهم أو العيش في محيطٍ غريب عليهم، أنْ تخلو من عناصر ومكونات سلبية أثقلتها، أو حالت دونها والانطلاق الحرِّ في مسار سيرورة تُجدِّدها، وتجعلها قادرة على خلق هُوية فلسطينية لا تحمل آثار الحروق والجراح الناجمة عن استهداف فلسطين: وطناً وإنساناً وثقافة، بخطر الاغتصاب والإلغاء والانتهاك والطمس من قبل الغزوة الصهيونية المحكومة بثقافة عنصرية مغلقة على نفسها، ومفتوحة على إلغاء الآخر، ورغم هذا فقد عانت كثيرا الهوية الفلسطينية نتيجة لظروف ولادتها مع تزامن ظهور القوميات العربية التي رأت أن قبول الهوية الفلسطينية يعني قبول التصميم الذي وضعه الاستعمار.

وقد أوضح شريف كنعانة [127] أن الفلسطينيين اعتبروا أنفسهم عربا حتى 1948 إلا أنه مع بداية1967 اعتبروا أنفسهم كفلسطينيين في الدول المضيفة بسبب ترسخ قناعة مفادها أن العرب غير قادرين على الدفاع حتى على أنفسهم، واقتنعوا بأنهم مضطرين الى الدفاع على أنفسهم وتولي أمورهم. ومع مجيء الانتفاضة برغم من الدعم الذي تحصلوا عليه

إلا أن لذلك جانبا سلبيا تمثل في تقسيم الضفة والقطاع وكذا فلسطيني الداخل والخارج، وقد زاد من تعقيد الأمور مفاوضات السلام التي بدأت في سنة 1991 في مدريد مرورا الى واشنطن سنة1993، وكانت هذه المراحل جد حاسمة بالنسبة للفلسطينيين في تحديد كيانهم المستقل إلا أنها لم ترقى لذلك بسب الاختلاف في الاديولوجيات بين أطراف الاتفاقيات.

وبما أن الهوية الوطنية مدينة للثقافة التي أوجدتها، فانه من الضروري أن نشير الى دور الهوية الوطنية في بناء الهوية الشخصية، حيث يؤكد ذلك اندسون [128] فهو يرى أن لها تأثير ايجابي على الاحترام الذاتي للأفراد، لأنها تعتبر الميزان الذي ينظم فيه هوية أعضائه، كما أن تحديد الهوية والترابط يبنى في البداية على الشعور الفردي نحو الذات ثم يتسع نحو الأمة ويقوم على التمثيل الاجتماعي (representation Sociale) الذي هو عملية تسمح للأفراد بتطوير تصوراتهم عن وطنهم بفضل التمثيل والتخيل، بحيث ينتج عنها صورة خيالية للوطن تستقر في الأذهان.
ومن جهة أخرى تسمح الرموز الوطنية بتقوية وتغذية الهوية، وينوه ساري حنفي[33] في هذا المجال بأنه يجب أن لا تقتصر الهوية الثقافية على الرموز الاجتماعية والروحية؛ بل تتعدى إلى أخرى ملموسة تتمثل في اختيار أو اختراع رموز فلكلورية واضحة المعالم يجب أن يكون محتوى الرمز وطنيا أو إيديولوجيا أو عاطفيا، وأنه من المهم توفر هذا الرمز حتى تتمكن الشعوب من الالتفاف حوله.

ويضيف علاء أبو طه [122] أن الفلسطينيين سعوا دائما كالكثير من المجتمعات في سبيل البحث عن هوية جامعة مانعة، تكون بمثابة الأرضية المشتركة التي تجمعهم دون سواهم في مختلف شؤونهم لفرادة التجربة الفلسطيني.

وتأكيدا لما ذكرناه، جاءت الدراسة التي أنجزها أسيل صوالحة (1996) على مجموعة من اللاجئين الفلسطينيين في الأردن، حيث أكدت على أن الشعور الموحد والإصرار على العودة أصبح قوة وسلطة ضد كل القوى التي تهدد الهوية الفلسطينية، وهو الاتفاق الذي نجده في دراسة رندة قديح -نقلا عن أرادا فريج[130] وقد عزت ذلك الى دور الذاكرة الجماعية في المحافظة على الهوية الفلسطينية.

ومن هذا المنطلق، نستنتج أن للهوية الفلسطينية خصوصية تقوم في الأساس على الوضع الذي ولدت منه وعن المسار الذي قطعته جاعلة من ذلك محركا لديمومتها وثباتها رغم تباعدها في الزمان والمكان.

خلاصة الفصل:

بعد أن كان يُنظر للهوية ككيان مستقل وسياق آلي لإستدخال عناصر جديدة، أصبحت تعتبر الآن نظاما نشطا وتفاعليا ومعقدا وبنية متعددة الأشكال، حيث أجمع الباحثون على اختلاف توجهاتهم على أن الهوية يجب دراستها في شكلها الدينامكي؛ فهي نتاج سياق يدمج مختلف التجارب ولا يتوقف في سن أو أزمة معينة وهو ما أشرنا إليه من خلال مختلف التناولات النظرية التي أدرجت في الفصل.

ومن المعلوم أن الفرد يتفاعل مع الجماعة لتكوين هويته مثلما تتفاعل الجماعات للحفاظ على هويتها كما في حالة اللجوء مثالا، حيث يضطر المقيمون الى التفاعل القصري أحيانا مع هذا الظرف، وقد تُحدث هذه الوضعية تأثيرا على مستوى الهُويّة والتي بدورها تفرز حالة من عدم التناظر في العلاقات بين جماعتين أو أكثر و ما يترتب عن ذلك من آثار على إدراك الأفراد لنظرة الغير لهم وللقيمة التي تسند إليهم. وهو ما بينته أعمال إركسون وأيدته العديد من الدراسات الأمبيريقية مثل دراسات كل من تاجفل (Tajfel) وديشان ودويز(Deschamps et Doise) حول دينامية العلاقات بين الجماعات.

ومفاد هذه البحوث أن الانتماء إلى جماعات تتواجد في وضع اجتماعي خاص وتخضع لعلاقات غير متناظرة، تجعل الفرد يتعرض لأحكام نمطية تصنيفية تسهم بشكل حاسم في تكوين تصوره عن ذاته و في بناء هويته. وبذلك، فان الهوية تعتبر الوظيفة الدينامية للفرد لأنها جوهر وجوده في الحياة فهي التي تمكَنه من التوازن والبقاء والاستمرارية داخل المحيط الذي يتواجد فيه، كما أن قدرتها على التغير تساعد على إيجاد التوازن في المحيط الجديد.

الفـصـل 3

منهجـية الـدراســـة

تمهيد:

ستتناول في منهجية الدراسة الخطوات العملية التي تّم من خلالها هذا البحث بدءا من تحديد الإشكالية، فصياغة الفرضيات، ثم توضيح المنهج المتبع في البحث، وصولا إلى الدراسة الاستطلاعية، ثم الوقوف عند أدوات البحث ومجموعة البحث ومكان إجراء البحث، ونختم هذا الفصل بتوضيح الإجراءات العملية للتطبيق مع ذكر نوع المعالجة الإحصائية التي اعتمدناها في هذا البحث.

1.3. الإشكالية الخاصة بالبحث:

يعد مفهوم الهوية من المفاهيم ذات الطابع المعقد في علم النفس لأنه مفهوم يشير الى ماهية الشخص بتفرده وتفاعله مع الأخر في إطار زماني ومكاني محددين، بحيث إضافة الى تشّكل الهوية في قالب جسمي نفسي واجتماعي لشخص ما فإنها تتأثر باستمرار وبشكل متبادل مع ما يحمله الآخرون من انطباعات وتصورات حول هذا الفرد.

كما أن تشّكلها يحتاج إلى أرضية ملائمة يستمد منها الفرد مشاعر الأمان والراحة والطمأنينة وخاصة الاستقرار الذي يعتبر لبنة الأساس في بناء الهوية عبر مختلف مراحلها النمائية.إلا أنه في بعض الحالات يعيش المرء وضعيات صعبة قد تمس بكامل كيانه، ولعل اللجوء الفلسطيني يعد صورة لذلك؛ فهو من أبرز ما أفرزه التحرك البشري نتيجة الحروب والعنصرية؛ فهذه الوضعية تفرض على من يعيشها تبني استراتيجيات بهدف التعاطي معها للحفاظ على هويته.

وأشار نبيل الطويل [20] بالاعتماد على بعض الإحصائيات الرسمية- إلى أنه يوجد أكثر من 20 مليون شخص لاجئ في غضون السنين الأخيرة وعلى رأسهم اللاجئين الفلسطينيين، حيث يُشّكلون أعلى نسبة لجوء في العالم، إذ بلغ عددهم سنة 2009 حوالي ستة ملايين لاجئ؛ أي ما يُمثل ثلث الشعب الفلسطيني، يقيم أكثر من 50% منهم في الدول المجاورة، إضافة الى دول شمال أفريقيا أين يتركز حوالي 7000 في الجزائر.

وبخصوص الوضع في الجزائر، فان المجتمع الجزائري يعتبر مجتمعا متعدد اللغات والثقافات بفضل ثراء تركيبته الاجتماعية. ويعرف على غرار المجتمعات الحديثة العهد بالاستقلال وضعية تثاقف حادة بسبب التواجد في حقل الممارسة الاجتماعية الثقافية لأنظمة قيم متباينة ومختلفة؛ وأمام هذا الزخم من الخيارات، يجد اللاجئ الفلسطيني نفسه في المجتمع الجزائري مرغما على القيام باختيارات وبناء نظامه الشخصي للقيم والمعايير في مطابقة مع ما ينتظره المجتمع، بحيث عليه أن يبذل جهدا معتبرا لإدماج وتركيب مختلف المعطيات، وهي استراتيجيات تقع في نطاق بناء هويته، وتزداد هذه الوضعية حدة بالنسبة للاجئ إذا علمنا أنه يُسيّر في آن واحد صراعات مرتبطة بخصائص هذه المرحلة ذاتها وأنه يعالج التناقضات الثقافية الاجتماعية التي يزخر بها الوسط الذي يعيش فيه.

هذه الوضعية رغم التعقيدات الأمنية والقانونية التي تلازمها تعتبر منظما جديدا لشخصية اللاجئين، فهي تعاش ضمن الإبعاد والعجز وعدم إمكانية الرجوع وفي إطار زماني ومكاني يختلف عن الأطر المرجعية المليئة بالقيم والعادات والطقوس الخاصة بالبلد الأم، والأدبيات التي تناولت ذلك تؤكد هذه الأفكار(منها[42] Andersson [128] Camilleri (C) et al[131] (Samara(A)[32]Safran(W) [36](A) (Shiblak [30]).

وعلى هذا الأساس، تُشَكّل هوية اللاجئين نواة تكون على درجة عالية من التعقيد والتنوع بحيث لا يستطيع الباحث دراستها بسهولة، ويتوقف عمله على إبراز محاورها الأساسية التي تكشف عن سماتها العميقة في تشكيل وحفظ الهوية الفلسطينية من الزوال عبر مراحل التهجير الطويلة.

ومن ثمة، فإذا كانت الهوية عملية جدلية دينامية بين المحددات النفسية والأسرية والاجتماعية والثقافية والسياسية، فأي محدد ضمن هذه المحددات يكون الأكثر بروزا لدى اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الجزائر؟، وأي محدد من بين هذه المحددات المذكورة يتأثر بكل من متغير الجنس وأصل الأم ومكان الإقامة في الطفولة؟.

2.3. صياغة الفرضيات:

للإجابة عن هذه التساؤلات، قمنا بصياغة الفرضيات التالية:

- يعتبر البعد الثقافي هو البعد الأكثر بروزا لدى اللاجئين الفلسطينيين بالجزائر.
- يتأثر المحدد النفسي باختلاف الجنس.
- يتأثر المحدد الثقافي باختلاف مكان الإقامة في الطفولة.

- يتأثر المحدد الثقافي بالاختلاف أصل الأم.

3.3. التعريف الإجرائي لمفاهيم الدراسة:

تم تحديد المفاهيم الخاصة بالدراسة حسب التعاريف الإجرائية التي صاغتها الباحثة بعد قراءة متأنية لما كُتب عن الهوية واللجوء، وقد تم صياغة هذه التعاريف بما يلاءم الدراسة الحالية.

1.3.3. الهوية:

نقصد بها مجموعة المحددات النفسية والأسرية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي يستطيع الشخص من خلالها أن يعّرف نفسه ويتصور ذاته ويُعرّف غيره بها، أو التي يستطيع غيره أن يعرّفه بها.

وهي تشمل مجموعة من المحددات التي تسمح بأن يحدد اللاجئ الفلسطيني في الجزائر موقعه ويحس بأنه موجود ومعترف به من طرف الآخر بفضل ما يقوم به من أدوار.

ويتم توضيح ذلك من خلال المحددات المذكورة في مقياس "محددات الهوية للاجئين الفلسطينيين" الذي تم انجازه من طرف الباحثة. وهذه المحددات على النحو التالي:

- المحدد النفسي: يُعّبر عن أبعاد سيكولوجية خاصة بذات الشخص، وذلك مثل ما حدد في بنود المقياس: اسم اللاجئ، الصورة الجسدية، التقمصات، الشعور بالرضا والاختلاف والاغتراب، التفضيلات، استراتيجيات الهوية (السكوت والعدوانية)، مشاعر الافتخار.

- المحدد الأسري: يعكس نوع التنشئة التي خضع لها اللاجئ الفلسطيني داخل أسرته. وقد حددت في هذه الدراسة على أساس المعاملة الوالدية والانتماء التربوي (جزائري أو فلسطيني) ومدى تأثير الوالدين أو أحدهما في ذلك (الجماعة المرجعية)، نوع المناقشات، مدى وجود الاختلاف عن الأسر الجزائرية، التفضيلات عند اختيار الشريك.

- المحدد الاجتماعي: وهو يمثل مجموع التفاعلات التي يعيشها اللاجئ سواء مع الأفراد الفلسطينيين أو الجزائريين وتفضيلاته لها، مصحوبة بنظرته للآخر ونظرة الآخر إليه (الصداقات، أراء الآخرين، مشاعر القبول من طرف الآخر).

- المحدد الثقافي: هو الإطلاع وممارسة الثقافة المادية في الحيز الخاص باللاجئ.ويعكس ذلك مدى اعتزاز اللاجئ بثقافته وممارسته اليومية لها من خلال اللهجة، الحكاية الشعبية، الطعام، الزي والأشياء المادية (مثل المجسمات والصور).

- المحدد السياسي: ويظهر ذلك من خلال المشاركة الروحية أو الفعلية للاجئ الفلسطيني في الحقل السياسي مثل ذلك: انتماءه لحزب ما واتجاهه نحو مشاريع التسوية والرجوع، مدى التفافه حول الرموز الفلسطينية ورغبته في التصويت.

2.3.3. اللاجئون الفلسطينيون في الجزائر:

هم كل الفلسطينيين أو نسلهم الذين غادروا الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى الجزائر بغرض الدراسة أو العمل أو الزيارة ومنعتهم ظروف معينة -كالتجاوزات والنزاعات أو انتهاء تصاريح العبور والتجنس في ظل ما يسمى مشاريع التوطين- من حق خيار العودة أو الرجوع إلى أرض الوطن. وهو ما ينطبق في هذه الدراسة على اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الجزائر.

4.3. الدراسة الاستطلاعية:

تعتبر الدراسة الاستطلاعية بالنسبة للبحوث العلمية بمثابة البوصلة التي يهتدي بها الباحث قصد ضبط متغيرات دراسته ومعرفة معالمها واتجاهها.

ويمكن أن نبلور مجمل الإجراءات العملية التي تمت على مستوى الدراسة الاستطلاعية وفق التسلسل المرحلي التالي:

- المرحلة الأولى: امتدت من اختيارنا لموضوع المذكرة إلى غاية بداية شهر جانفي من سنة 2011، حيث تم الإطلاع على الأدبيات الخاصة بالهّوية سواء المتعلقة بالدراسات الأولى حول أنماط الهوية ورتبها وأنواعها وغيرها، أو ما تعلق بهُوية المهاجرين والأقليات واللاجئين إضافة إلى بعض الدراسات الخاصة باللجوء الفلسطيني والوضع القانوني والنفسي المترتب عنه.

ومن أجل توضيح الصورة بخصوص وضع اللاجئين الفلسطينيين في الجزائر تم إجراء مجموعة من المقابلات الحرة، حيث انتقلنا إلى ولاية المسيلة بعدما حددنا موعدا مع بعض الشخصيات الفلسطينية المقيمة في الجزائر والتي تتوفر على الخبرة والأقدمية منها، وهي:

- لواء سابق في حركة التحرير الفلسطينية ومندوب سفارة فلسطين،

- مسئول الجبهة الشعبية في الجزائر.

وقد تمخض عن هذه المقابلات جلاء الصورة الخاصة بهاته الفئة من الفلسطينيين، حيث دامت مقابلاتنا مع هؤلاء من ساعة إلى ساعتين على تعداد مجموعة من حصص، واستطعنا من خلال هذه المقابلات أيضا الحصول على بعض الوثائق المهمة (انظر الملحق رقم01، 05، 06).

- المرحلة الثانية: هي تتمة للمرحلة الأولى، بدأت في أواسط شهر جانفي من سنة 2011 ورسمنا فيها الخطوط العريضة للدراسة قصد بناء أداة البحث المتمثلة في مقياس نهدف من خلاله إلى توضيح معالم ومحددات الهوية عند فئة اللاجئين الفلسطينيين المقيمين بالجزائر.

وقد اعتمدنا في عملية بناء وتصميم هذا المقياس على بعض ما جاء في الأدبيات الخاصة بالموضوع، إلا أنه في غياب مقياس يتناول بالتحديد مجموعة بحثنا كان لزاما علينا إن نُظهر خصوصية المقياس وذلك من خلال مجموعة من المحاور تشمل الأبعاد المتعددة لبناء الهوية.

- المرحلة الثالثة: الهدف الأساسي الذي حددناه على مستوى هذه المرحلة كان يتمثل في التطبيق التجريبي للمقياس والتأكد من خصائصه السيكومترية، بعد تطبيقه على مجموعة من اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الجزائر، حيث بدأنا العمل في شهر فيفري وامتدت إلى نهاية شهر مارس، بالاعتماد على خمسة وسطاء (تم اختبارهم من الطلبة) وعملنا على تدريبهم على كيفية التعامل مع مجموعة البحث وفق حصص شرحنا لهم من خلالها ما يلي:

- الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة،
- تبيان الخصوصية التي تطرحها مسألة اللجوء سواء على المستوى القانوني أو النفسي وذلك تفاديا للوقوع في أي التباس،
- تزويد الوسطاء بتعليمات واضحة فيما يخص تطبيق المقياس، حيث طبق في البداية في إطار مقابلات مفتوحة من أجل جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات،
- توفير العناوين الخاصة بأفراد مجموعة البحث على مستوى الدراسة الاستطلاعية والتي تم الحصول عليها بناء على المقابلات التي أجريت مع رئيس مكتب الجبهة الشعبية في الجزائر، وكذا لواء سابق في حركة التحرير الفلسطينية.
- إجراء الاتصالات مع أفراد مجموعة البحث من أجل ضبط مواعيد مع الوسطاء للبدء في المقابلات، وتم ذلك خلال نهاية شهر فيفري.

- المرحلة الرابعة: بعد الانتهاء من الإجراء التجريبي للمقياس، التقينا مجددا مع الوسطاء من أجل جمع كل المقاييس التي طُبقت مع كل لاجئ فلسطيني.

وفيما يلي نقدم نتائج الدراسة الاستطلاعية وفق المحاور المُدرجة، مع العلم أننا مهدنا للمقياس بأسئلة خاصة ببعض المتغيرات الأساسية المتعلقة بمجموعة البحث (السن، المستوى التعليمي، مكان الميلاد، الجنسية وغيرها).

- مواصفات مجموعة البحث الاستكشافية: نقدم من خلال الجدول رقم (11) والجدول رقم (12) خصائص مجموعة الدراسة الاستكشافية من ناحية الأصل والمولد وبعض البيانات العامة:

جدول(11): يبن الخصائص العامة لمجموعة البحث الاستكشافية.

الحالة	السن	الجنس	المستوى التعليمي	الحالة المدنية	الديانة	المهنة
1	24	أنثى	جامعي	متزوج	الإسلام	مهندس
2	74	أنثى	نهائي	أرمل	الإسلام	ربة بيت
3	55	أنثى	نهائي	أرمل	الإسلام	أستاذ متقاعد
4	31	أنثى	جامعي	أعزب	الإسلام	صيدلانية
5	23	ذكر	جامعي	أعزب	الإسلام	مهندس
6	28	أنثى	جامعي	أعزب	الإسلام	طبيبة
7	34	أنثى	جامعي	أعزب	الإسلام	ربة بيت
8	22	ذكر	نهائي	متزوج	الإسلام	طالب
9	62	ذكر	جامعي	أعزب	الإسلام	معلم

نستشف من خلال الجدول رقم(11) أن العدد الإجمالي للدراسة الاستطلاعية بلغ عشرة أفراد بمتوسط عمر قدر بستة وثلاثين سنة، توزعت مجموعة البحث بين سبعة إناث (70%) وثلاث ذكور(30%)، ومستوى تعليمي يمتد من الجامعي (70%) إلى النهائي(30%). أما فيما يخص مكان الميلاد وعدد الزيارات ومدة الإقامة في الطفولة الخاصة بالمبحوثين، فنُوضحها في الجدول رقم(12):

جدول رقم(12): يُبّين أصول مجموعة البحث الاستكشافية.

الحالات	مكان الميلاد	الجنسية	أصل الأم	عدد زيارة فلسطين	نوع الوثائق	مدة الإقامة	الإقامة في الطفولة
1	الجزائر	أردنية	فلسطينية	00	جواز أردني	24 سنة	الجزائر
2	فلسطين	أردنية	فلسطينية	4 مرات	جواز أردني	47 سنة	فلسطين
3	فلسطين	جزائرية	فلسطينية	مرتان	ج جزائري	35سنة	فلسطين
4	الجزائر	جزائرية	فلسطينية	مرتان	جزائري	31سنة	الجزائر
5	الجزائر	مزدوجة ف/ج	فلسطينية	مرتان	وثيقة مصرية	23سنة	الجزائر
6	الجزائر	جزائرية	فلسطينية	مرة	وثيقة مصرية	28سنة	الجزائر
7	ليبيا	فلسطينية	فلسطينية	00	وثيقة مصرية	28سنة	ليبيا
8	الجزائر	فلسطينية	أردنية	00	جزائري	22سنة	الجزائر
9	فلسطين	جزائرية	فلسطينية	مرة	جزائري	40سنة	فلسطين
10	الجزائر	جزائرية	فلسطينية	مرة	جزائري	34سنة	الجزائر

نلاحظ من خلال الجدول رقم(12) أن مكان ميلاد مجموعة البحث كان بالجزائر وذلك بنسبة 60%، في حين أن نسبة مواليد فلسطين قدرت بنسبة 30% وواحد فقط في ليبيا. وفيما يخص أصل الأم، فكانت كل أمهات أفراد مجموعة البحث من أصل فلسطيني إلا واحدة فقط من أصل أردني؛ وهو الأمر الذي نسعى للاستفادة منه على اعتبار أن الأم هي المصدر الأول للهوية ومنتجها.

وفيما يخص عدد الزيارات لفلسطين فإنها انعدمت بنسبة 50%، في حين أن نسبة 40% قامت بزيارة فلسطين من مرة واحدة الى ثلاثة مرات، بينما النسبة المتبقية (أي 10%) فقد زارت فلسطين أربعة مرات.

وباعتبار الخصوصية التي تمنح للجوء هي خصوصية قانونية بالدرجة الأولى فقد سعينا إلى معرفة نوع الوثائق والجنسيات التي يمتلكها أفراد مجموعة البحث، إذ تحصل 50%منهم على الجنسية الجزائرية وهم يحملون جواز جوازات جزائرية، و20% من أفراد المجموعة لديهم جنسية أردنية، بينما 30% لديهم جنسية فلسطينية ووثائق مصرية.

أما مدة الإقامة في الجزائر فقد تراوحت من 22 سنة إلى 47 سنة، حيث كانت اقامة30% منهم في فلسطين خلال مرحلة طفولتهم، و70% منهم في الجزائر وواحد فقط في ليبيا.

بعد أن عرضنا المعلومات العامة الخاصة بمجموعة البحث، نقدم أسئلة المقياس التي وزعت على خمسة محاور، وهي:

- المحور النفسي: احتوى على إحدى عشر سؤال يدور حول المحددات النفسية كالاسم والصورة الجسدية والرضا عن النفس والتقمصات ومشاعر الاغتراب واستراتيجيات التعامل وتحقيق الذات وتقدير الذات.

- **المحور الأسري:** ضم هذا المحور ستة أسئلة شملت التنشئة الأسرية وأساليب التعامل داخل الأسرة وكذا النماذج الوالدية ومدى تأثيرها على تشكيل الهوية وتحديدها فيما بعد.

- المحور الاجتماعي: يتكون هذا المحور من إحدى عشر سؤال ركزنا فيها على النشاطات والتفاعلات الاجتماعية خارج البيت واعتقادات الآخرين حول مجموعة البحث وكذا الصورة التي يعطيها الفلسطيني عنه والعلاقات مع الجزائريين والفلسطينيين وتفضيلاته لتلك العلاقة.

- المحور الثقافي: سعينا من خلال أربعة عشر سؤال في هذا المحور إلى التعرف على المحددات الثقافية لهوية مجموعة البحث الاستطلاعية. ولعل أغلب الأسئلة تمركزت في هذا الجانب لمعرفة قوة الثقافة ونفوذها في تشكيل شخصية المهاجرين واللاجئين باعتبارها العنصر الوحيد الذي يُمارس ومصدره البلد الأم، فقد تنوعت الأسئلة من البداية حول مدى معرفة وإدراك الفلسطينيين لثقافتهم ومدى اختلافها وكيف يتم فعليا ممارستها وتعاطيها على المستوى الشخصي والأسري.

- المحور السياسي: شُكل المحور السياسي أخر محدد أردنا التعرف عليه، وقد احتوى على إحدى عشر سؤال تتعلق أولا بمعرفة وجهة نظر مجموعة البحث لتوجهاتهم السياسية ومتابعتهم للأخبار والإطلاع عليها، كما حاولنا التماس توجهاتهم وانتماءاتهم الحزبية ومدى قدرتهم على التعبير على تطلعاتهم وأيضا رأيهم في المشاريع المختلفة وفي التصويت في حال استلزم الأمر.

- التطلعات: إضافة الى مجموعة المحاور التي ذكرناها، فقد اختتم المقياس التجريبي بمحور خاص بالتطلعات المستقبلية لمجموعة البحث، على اعتبار أن معرفة ذلك يساهم إلى حد كبير في عملية توازنهم النفسي والاجتماعي.

وقد طرأت على المقياس بعد تصحيحه من طرف المحكمين بعض التغيرات التي نوضّحها في مجموع العناصر التالية:

أ- من حيث الصياغة اللغوية: فيما يخص الصياغة اللغوية فقد تم استبدال العبارات من مفتوحة الى عبارات مغلقة ببدائل ليكارتية تسهيلا للتفريغ لاحقا.كما تَم تغيير صياغة مجموعة من البنود بصياغة أكثر سهولة ووضوح كما في البند الرابع الذي تغير من: "هل عرفت نماذج مثالية في طفولتك؟" إلى: هل النماذج التي عرفتها في طفولتك فلسطينية؟. أما البند السابع عشر فتغيّر من: "كيف ترى حديث والديك عن فلسطين؟" إلى: "يُعبّر والدي بفخر حينما يتحدثون عن فلسطين؟" .

ب- من حيث الملائمة للبنود: تم الاستغناء عن مجموعة من البنود لعدم موائمتها للمحاور وذلك بناء على ملاحظات الأساتذة المحكمين، ومن بينها الديانة التي حذفت على اعتبارها أنها لا تُشّكل فارقا في هذه الحالة. والبند الخاص باختيار الأصدقاء في المحور الاجتماعي، وبند "هل تعتقد أنك مصدر للمشاكل" في البند السياسي، وبند "من هم الفنانون المفضلون" في البند الثقافي. أما التطلعات، فقد اقتصرت على سؤال "ما هي تطلعاتك المستقبلية؟"، وتم تحويل كل من الأسئلة التالية:"هل ترغب في الرجوع الى الوطن" و"في حالة الزواج هل تختار فلسطيني" و"هل تحس أنك مغلوب على أمرك" الى كل من المحور السياسي والأسري والنفسي على التوالي.

وبعد كل هذه التصحيحات التي قمنا بها على مستوى الدراسة الاستطلاعية، عملنا على تغيير طريقة التصحيح تسهيلا لتفريغ النتائج فيما بعد. ومن ثمة، ارتأينا بإجماع الأساتذة المحكمين أن أداة البحث يمكن الاعتماد عليها في الدراسة الأساسية.

5.3. المنهج المتبع:

تصب هذه الدراسة في سياق الدراسات النفسية الاجتماعية ذات البعد العيادي. وبما أن المنهج يتحدد تبعا لطبيعة الموضوع، فإن المنهج الوصفي يتناسب مع طبيعة الموضوع وأهداف هذه الدراسة.

ويعتبر هذا المنهج تشخيص علمي قائم في أساسه على وصف الظاهرة بمختلف جوانبها بحيث يعمل على تفسيرها وتقويمها، لذلك اعتبرته روبرت [132] منهجا قادرا على إعطاء صورة واضحة عن

الظاهرة أو الوضعية المراد دراستها والكشف عن عناصرها وأحيانا وصف العلاقات الموجودة بين تلك العناصر.

وتسعى هذه الدراسة إلى معرفة مختلف محددات الهوية للاجئين الفلسطينيين المقيمين في الجزائر، وذلك من خلال تحليل ووصف بعض أبعاد الهوية (نفسية وأسرية واجتماعية وغيرها) وإبراز أهمية متغيرات أساسية أخرى (مثل أصل الأم ومكان الإقامة والمولد) لمعرفة الهوية عند هذه الفئة.

6.3. مكان إجراء البحث:

تم إجراء البحث على مستوى 7 ولايات من الوطن، وذلك قصد الوصول الى أكبر شريحة من اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الجزائر والذين يتوزعون في كامل الولايات بلا استثناء. ويتركز تواجدهم بصفة أكبر في منطقة الجزائر العاصمة والبليدة وتيبازة.

والجدول رقم(13) يبيّن توزيع مجموعة البحث حسب مناطق تواجدهم وفق الترتيب التالي:

جدول رقم(13): يبيّن توزيع مجموعة البحث حسب مناطق تواجدهم.

المكان	التكرار	النسبة المئوية
الجزائر	15	30
البليدة	10	20
تيبازة	10	20
تيارت	07	14
تيزي وزو	03	06
الأغواط	03	06
ورقلة	02	04
المجموع	50	100

7.3. مجموعة البحث:

يشير إحسان محمد حسن[133] الى أن عينة البحث هي مجموعة الأشخاص الذين يكونون العينة والتي يهتم الباحث بدراستها وهي ذلك الجزء من المجتمع الذي يجرى اختياره وفق قواعد علمية بحيث تمثل المجتمع تمثيلا صحيحا.

وفي موضوعنا هذا تم اختيار مجموعة بحث على اعتبار أننا نجهل العدد الإجمالي لمجتمع الدراسة. ومن ثمة، تكونت مجموعة البحث من 50 لاجئي فلسطيني ذكور متوسط سنهم 45 سنة، حيث تم انتقاؤهم بطريقة قصدية، إذ أوضّح عبد الحفيظ مقدم [134] أنه في هذه الحالة يختار الباحث الأفراد الذين يتعامل معهم حسب معايير معينة وفق احتياجات البحث والغرض منه.

وبخصوص موضوعنا، فقد كانت معايير الاختيار حسب توفر الشروط التالية:

- السن: شخص راشد حتى لا تدخل عوامل أخرى تتعلق بفترة سن معينة،
- الجنس: ذكور وإناث،
- الانتماء: لفلسطين بالأصل أو بالمولد،
- نوع الوثائق: وثائق مصرية أو جزائرية مكتسبة أو غيرها من الوثائق التي تمنح للفلسطيني بحكم الانتماء الإداري،
- إمكانية العودة إلى أرض الوطن: غير متوفرة إما لأسباب عدوان خارجي أو خرق عام لحقوق الإنسان أو التجنس وفقدان حق العودة أو انتهاء تصاريح العبور.

وقد تم الحصول على معلومات وعناوين المبحوثين بفضل مساعدة مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبعض المقيمين القدماء في الجزائر تم ذكرهم في الدراسة الاستطلاعية.

ولمزيد من التّوضيح بخصوص المواصفات الإحصائية لمجموعة البحث، فان الجدول (14) يبيّن ذلك:

جدول (14): يمثل الخصائص الإحصائية لمجموعة البحث.

مجموعة البحث	المتوسط الحسابي	أكبر قيمة	أصغر قيمة	الانحراف المعياري
50	45	75	26	13.28

ويظهر في الجدول (14) أن سن أفراد مجموعة البحث يمتد من 26 سنة كأصغر قيمة الى 75 سنة كأكبر قيمة، وقدّر المتوسط الحسابي بـ 45 سنة مع انحراف معياري بلغ 13.28.

ويُوضّح الجدول (15) خصائص مجموعة البحث من حيث الجنس.

جدول(15): يوضح خصائص مجموعة البحث من حيث الجنس.

الجنس	التكرار	النسبة المؤوية
الإناث	20	40
الذكور	30	60
المجموع	50	100

يظهر في الجدول رقم (15) أن عدد الذكور الذي قُدر بـ 30 ذكر يفوق عدد الإناث الذي قُدر بـ20 أنثى، حيث جاءت نسبة الذكور بـ60% ونسبة الإناث بـ40%.وقد يعود ذلك في الأغلب لكون الرجال أكثر تنقلا وقدرة على الهجرة والاستقرار بعيدا عن الوطن مقارنة بالإناث. أما فيما يخص المستوى التعليمي لمجموعة البحث، فقد بيّناه في الجدول رقم(16).

جدول (16): يمثل توزيع مجموعة البحث حسب المستوى التعليمي.

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة المئوية
ثانوي	06	12
جامعي	32	64
ما بعد التدرج	12	24
المجموع	50	100

يبدو جليا من خلال الجدول رقم(16) ارتفاع المستوى التعليمي لمجموعة البحث، حيث وصل عدد الجامعيين إلى 32 بنسبة قدرت بـ64%. أما ذوي المستوى الثانوي (باكالوريا)، فقد كان عددهم06 بنسبة 12% وهي نسبة ضئيلة مقارنة بذوي الدراسات ما بعد التدرج التي بلغ عددها 12 وهي ما تمثل نسبة 24%؛ وهي نسبة جد عالية إذا ما قورنت بالعدد الكلي لمجموعة البحث. وهذا الارتفاع في المستوى التعليمي عند اللاجئين الفلسطينيين يتفق ما بعض الإحصائيات التي تُصنّف الشعب الفلسطيني ضمن الشعوب الأوفر تعليما.

وكنا قد أشرنا في الجانب النظري الى أن ذلك يعود الى الرغبة في إثبات الذات والحصول على الدعم من خلال التمسك بالتعليم.

وفيما يخص الحالة المدنية، فارتأينا توضيحها من خلال الجدول رقم(17).

جدول رقم(17): يوضح الحالة المدنية لمجموعة البحث.

الحالة المدنية	التكرار	النسبة المئوية
متزوج	38	78
أعزب	12	22
المجموع	50	100

يُظهر الجدول رقم(17) الحالة المدنية لمجموعة البحث بحيث وصل عدد المتزوجين الى 38 من المجموع الكلي وذلك بنسبة قدرت بـ78% مقارنة بـ12 أعزب أي بنسبة22% وهي نسبة الأفراد الأقل من 30 عاما المنتمين لمجموعة البحث. وارتفاع نسبة المتزوجين الذي فاق النصف قد يعود أولا لوضعية الغربة التي تفرض وجود جو عائلي يحتمي إليه الأفراد وهو ما يتلاءم والثقافة العربية، وثانيا الى الخاصية الاجتماعية للزواج والتي تحتل شأنا رفيعا في الثقافة الفلسطينية.

وبالنسبة إلى الحالة الاقتصادية لمجموعة البحث والتي عبّرنا عليها بـمدى ممارسة الفرد لمهنة ما، فان الجدول (18)يُوضّح ذلك.

جدول رقم(18): يوضح الحالة الاقتصادية لمجموعة البحث.

الحالة الاقتصادية	التكرار	النسبة المئوية
يعمل	34	68
لا يعمل	16	32
المجموع	50	100

يُظهر الجدول رقم (18) عدد أفراد مجموعة البحث العاملين والمقدر عددهم بـ 34 فرد عامل أي بنسبة 68% مقابل 16 فرد لا يعمل (32%). وقد آخذنا بعين الاعتبار في حالة الأفراد الذين لا يعملون النسبة التي أحيلت على التقاعد باعتبار أغلب المبحوثين يشتغلون في سلك التعليم وسنهم يفوق45 سنة.

كما أدرجنا جنسية أفراد مجموعة البحث بهدف الإطلاع على وضعيتهم القانونية على اعتبار وضعهم الحالي يعتبر وضعا قانونيا وإنسانيا أيضا.والجدول الجدول(19)يعطينا صورة تُوضّح ذلك.

جدول رقم(19): يبين جنسية مجموعة البحث.

الجنسية	التكرار	النسبة المئوية
جزائرية	23	46
فلسطينية	24	48
أخرى	03	06
المجموع	50	100

يُبيّن الجدول رقم(19) الجنسية الخاصة بأفراد مجموعة البحث، حيث وصل عدد الحاصلين على الجنسية الفلسطينية الى 24 فرد أي بنسبة48%. أما الجنسية الجزائرية، فقدر عدد المتحصلين عليها 23 فرد أي نسبة46% أغلبها جنسيات مكتسبة استطاع البعض الحصول عليها بعد قرار التجنس الأخير الصادر سنة2000 والقاضي بإمكانية الحصول على الجنسية عن طريق الأم أو عن طريق الجنسية المكتسبة. أما فيما يخص الجنسيات الثلاث المتبقية، فتعود لجنسيات للدول المجاورة كلبنان والأردن وسوريا. ومع ذلك، فان جنسيات أفراد مجموعة البحث لا تمنع من كونهم لاجئين.

بعد عرضنا لهذه الخصائص العامة لمجموعة البحث، سنعمل على وصف الخصائص الخاصة بمتغيرات الدراسة والتي تتمثل في **أصل الأم** وهو متغير على قدر من الأهمية في تحديد معالم الهوية، خاصة في المراحل الأولى من الطفولة على اعتبار الأم الوعاء الأول الذي يتشرب منه الطفل كل تعلماته ومكتسباته. ثم انتقلنا الى تبيان **مكان الإقامة** في الطفولة وعدد الزيارات؛ وهي متغيرات تندرج في خانة عوامل التنشئة الاجتماعية ذات البعد القوي في تحديد الهوية.

والجدول رقم(20) يُبيّن بالتفصيل أصل أمهات أفراد مجموعة البحث.

جدول(20): يبيّن أصل أمهات مجموعة البحث.

أصل الأم	التكرار	النسبة المئوية
فلسطينية	39	78
جزائرية	08	16
أخرى	03	06
المجموع	50	100

يتضح لنا من خلال الجدول(20) أن 39 من أمهات مجموعة البحث فلسطينيات وذلك بنسبة قدرت بـ78%، والبقية 11 منهن08 جزائريات بنسبة16%، و03 من جنسيات أخرى(أردنية وسورية ولبنانية)، وهو ما يعكس اندماج الثقافتين نوعا ما من خلال الرغبة في إقامة رباط من هذا النوع.
وفيما يتعلق بالإقامة في الطفولة، فيظهر الجدول رقم(21) ذلك.

جدول رقم(21): يُبيّن أماكن إقامة مجموعة البحث في الطفولة.

الإقامة في الطفولة	التكرار	النسبة المئوية
فلسطين	31	62
الجزائر	14	28
أخرى	05	10

يتضح من خلال الجدول رقم(21) أن عدد أفراد مجموعة البحث المقيمين خلال الخمس سنوات على الأقل الأولى من الطفولة في فلسطين كان عددهم31 فرد(نسبة 62%). أما 19 من مجموعة البحث، فقد أقاموا خارج فلسطين؛ منهم 14 في الجزائر بما يعادل 28% و05 في دول الجوار(لبنان والأردن وسوريا) ما يمثل نسبة 10%؛ وهو ما يعنى أن نسبة معتبرة تربت في فلسطين واكتسبت ثقافة بلدها بشكل مباشر.

وسعينا لمعرفة عدد الزيارات الى أرض فلسطين لأننا نعتقد أنه حتى لو لم تتح الفرصة في الإقامة خلال مراحل الطفولة الأولى في فلسطين، فان مجرد الزيارة سيكون له وقع على مجموعة البحث. وهذا ما نظهره في الجدول رقم(22).

جدول (22): يبيّن تكرار الزيارات إلى فلسطين بالنسبة لمجموعة البحث.

عدد الزيارات	التكرار	النسبة المئوية
انعدام الزيارة	20	40
زيارة واحدة	08	16
زيارتان	02	04
ثلاث زيارات فما فوق	20	40

يظهر من خلال الجدول رقم(22) أن الزيارات إلى أرض فلسطين كانت منعدمة بنسبة40% وهذه النسبة تخص الأفراد المولودون في الجزائر ولم يتمكنوا من دخول فلسطين. وهي نفس نسبة الذين زاروا فلسطين من ثلاث مرات فما فوق بنسبة40%؛ وهم يمثلون الأفراد المولودين في فلسطين وتمكنوا من زيارات خاطفة لأرض فلسطين كلما سمحت الفرصة بذلك؛ وهو ما يخفي حنين العودة والارتباط بالمكان.في حين أن نسبة الذين قاموا بزيارة أو زيارتين، فقد بلغت نسبة 20 %؛ وهي نسبة ضئيلة قد تعكس صعوبة دخول فلسطين.

8.3. أدوات البحث:

استعملنا في هذه الدراسة أداتين بهدف جمع معطيات مناسبة والأهداف المتوخاة من البحث، وهما:

1.8.3.مقياس "محددات الهوية للاجئين الفلسطينيين":

اعتمدنا على مقياستم بناءه من طرف الباحثة وهذا لندرة مقاييس الهوّ ية من جهة، وخصوصية وضعية مجموعة البحث من جهة أخرى.ويكمن الهدف من بناء المقياس في تبيان مختلف المحددات

الخاصة بالهوية لدى اللاجئين الفلسطينيين المقيمين بالجزائر، حيث تضمن في مجموعه أربعة وخمسين سؤالا يقيس المحدد الدال على مجموع متغيرات هذه الدراسة (أنظر الملحق رقم (08)).

وتُعّرف أداة القياس عادة على أنها التمثيل الرقمي لأحداث أو ظواهر إمبريقية معينة. ويُفهم من هذا التعريف أن الهدف من بناء أداة للقياس ليست الأداة في حد ذاتها، ولكن الهدف من ذلك هو تسهيل الفهم للظواهر المعقدة، والتمكن من تأويلها، لذلك فإن أهمية الأداة تزداد مع قدرتها على تمثيل المفهوم الذي تقيسه.

وبالنسبة للأداة التي تم بناؤها في هذا البحث فإن تصميمها مر بمرحلتين، مرحلة البناء ومرحلة التقنين للمقاييس التي تحتوي عليها هذه الأداة.

1.1.8. مرحلة بناء المقياس:

تم الاعتماد على الخطوات والإجراءات التالية في بناء مقياس محددات الهوية للاجئين الفلسطينيين بالجزائر:

- الإطلاع على ما هو متوفر من مراجع ودراسات حول مفهوم الهوية، بقصد تحديده وضبطه ثم تقديم تعريف عام له.

- الإطلاع على ما توفر من اختبارات ومقاييس خاصة بمفهوم الهوية، والتي من بينها مقاييس اسقاطية كاختبار من أنا؟" (Que suis-je) الذي وضع من طرف كوهن وبارتلاند (Kuhn et Partland,) (1954) الذي طورته فيما بعد زافالوني(Zavalloni) بالاعتماد على الاستبطان البؤري (introspection focalisée) باستعمال تقنية (Investigateur multi-stades de l'identité sociale) (1986)، أو مقابلات شبه تركيبية (Semi- Structurel) كالذي وضعه مارسيا(1966)، ومقاييس نوعية كالنسخة "أ" المعدلة لآدمز وتشي وفيتش(1997) والنسخة "ب" لجروتيفاتت وآدمز (1984) والنسخة "ج" لبينون وآدمز(1986)؛ ومن ثمة وضع المحاور(الأبعاد) التي سيتم من خلالها صياغة بنود المقاييس الفرعية المكونة للاختبار، وذلك بالاعتماد على أبعاد المفهوم المتبنى في هذا البحث والذي سبقت الإشارة إليه.

وقد وزعت هذه الأسئلة على خمسة محاور، وهي كالتالي: المحور النفسي والمحور الأسري والمحور الاجتماعي والمحور الثقافي والمحور السياسي والتطلعات، وقد تم تحويل العبارات من عبارات مفتوحة الى أخرى مغلقة ببدائل ليكارتية مع حذف وتعديل بعض البنود التي ارتئ المحكمون عدم وضوح صياغتها أو عدم ملاءمتها للمحاور.

ويحتوي المقياس في صورته النهائية على أربعة وخمسين بندا موزعين على خمسة محاور مُوضّحة في الجدول(23).

جدول (23): يبّين البنود السالبة والموجبة لمقياس "محددات الهوية عند اللاجئين الفلسطينيين".

المحدد	عدد البنود	البنود الايجابية	البنود السلبية
المحدد النفسي	12	06	06
المحدد الأسري	07	07	00
المحدد الاجتماعي	10	09	01
المحدد الثقافي	13	13	00
المحدد السياسي	12	08	04
المجموع	54	43	11

إضافة إلى ما حدد في المقياس، ارتأينا أن نختمه بمحور خاص بالتطلعات؛ وهو عبارة عن سؤال عام مفتوح "ما هي تطلعاتك المستقبلية؟". بالرغم من أنه ليس من ضمن المحاور الأساسية المحددة للهوية، إلا أننا ارتأينا –كما سبق وأن ذكرنا- وضعه قصد معرفة آفاق هؤلاء اللاجئين.

2.1.8.3. مرحلة تقنين المقياس: أجريت عملية تقنين المقياس وفق الخطوات التالية:

- عينة التقنين: تم التطبيق التجريبي للمقياس على عينة مكونة من (10) أفراد من الجنسين من مستويات عمرية مختلفة، وقد تم الإشارة الى الخصائص المتعلقة بعينة التقنين باستفاضة في الدراسة الاستطلاعية، وبعد استرجاع النسخ الموزعة على أفراد عينة التقنين تم إجراء عملية تقنين الأبعاد الفرعية التي يحتويها المقياس وفقا للخطوات التالية:

- اختبار الخصائص السيكومترية للمقياس:

تم في هذه المرحلة حساب معاملات الصدق والثبات بالنسبة للأبعاد الفرعية المكونة للمقياس. فبعد تصحيح نسخ المقياس المسترجعة، تم تفريغها في الحاسوب بهدف معالجتها إحصائيا عن طريق البرنامج الإحصائي لمعالجة البيانات في العلوم الاجتماعية (SPSS) ، وذلك لحساب الصدق والثبات.

- صدق الأداة: بعد أن تم بناء هذه الأداة وتوزيعها على مجموعة البحث الاستطلاعية عملت الباحثة على التأكد من صدقه الظاهري، بعرضه على 7 أساتذة موزّعين ما بين كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة البليدة وكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الجزائر2 وكلية العلوم الإنسانية بباتنة وكلية العلوم الإنسانية بقسنطينة من تخصصات علم النفس وعلم الاجتماع طلبا لاثراءه وتوضيحه.والجدول (24) يُظهر ذلك بوضوح.

جدول(24): يمثل العدد الإجمالي للأساتذة المحكمين لأداة البحث.

الأساتذة المحكمون	التخصص	الجامعة
ناصر جابي	علم الاجتماع السياسي	جامعة الجزائر2
الطيب بالعربي	علم النفس التربوي	جامعة الجزائر2
نادية شرادي	علم النفس العيادي	جامعة البليدة
فوزية باركو	علم النفس العيادي	جامعة باتنة
نوال حمدوش	علم النفس عمل وتنظيم	جامعة قسنطينة
جوهر عبلاش	علم النفس الاجتماعي	جامعة البليدة
فتيحة كركوش	علم النفس الاجتماعي	جامعة البليدة
المجموع	**07**	

وأقر جميع الأساتذة المحكمين أن هذه الأداة تقيس المحددات التي وُضعت لقياسها بعد أن أوضحنا لهم في جداول خاصة بكل العبارات المستعملة وما يقابلها من متغيرات الدراسة، وقد اتفقوا بنسبة 80% على ملائمة كل بند للمحور الخاص المنتمي له، وبنسبة 80% من سلامة الصياغة اللغوية، إضافة الى إدراجهم لبعض الملاحظات التي أخذناها بعين الاعتبار أثناء تعديل أداة البحث. وبذلك اعتمدت الباحثة على حكم هؤلاء في البناء النهائي للأداة.

تم الاعتماد أيضا على الصدق الذاتي والذي هو الجذر التربيعي لمعامل الثبات حيث قدر الصدق الذاتي للمقياس ككل بـ 0.89، أما الصدق لكل محدد على حدة فيبرزها الجدول رقم (25).

جدول رقم(25): معاملات الصدق الذاتي لمقياس محددات الهوية

محددات الهوية	معامل الصدق الذاتي
المحدد النفسي	0.54
المحدد الأسري	0.72
المحدد الاجتماعي	0.83
المحدد الثقافي	0.89
المحدد السياسي	0.63

يبين الجدول رقم(25) إن معاملات الصدق الذاتي مقبولة وبالتالي فالمقياس صادق ويمكن اعتماده في الدراسة.

- الثبات: من أجل التأكد من ثبات المقياس المكون من54 بندا تم حساب معامل التناسق بطريقة معامل ألفا-كرونباخ(Alpha-Gronbach) لكل محدد على حدة ثم لكامل المقياس والجدول رقم (26) يُبيّن ذلك.

جدول(26): يُبيّن معامل ثبات المقياس ومحدداته.

المحددات	معامل الثبات
المحدد النفسي	0.30
المحدد الأسري	0.53
المحدد الاجتماعي	0.70
المحدد الثقافي	0.80
المحدد السياسي	0.40
معامل المقياس	0.80

يظهر الجدول (26) أن معظم المحددات في المقياس تتمتع بمعامل ثبات مقبول ومع ذلك فإنه يمكن قبول معاملات الثبات التي تنخفض عن (0.70) وتزيد عن (0.50) ما دامت طبيعة اختبارات الشخصية وطبيعة ما تقيسه تقتضي شيئا من التنازل عن معاملات الثبات العالية؛ وهو ما أوضّحه أحمد عبد الخالق [122] كما أنه من الأهمية ألا يسعى مؤلف الاختبار إلى الحصول على معامل

اتساق داخلي مرتفع بالنسبة لمقاييس الشخصية. وعليه، فإن المقياس على درجة من الثبات ويمكن الوثوق بنتائجه.

-تعليمة التطبيق:

نصت تعليمة المقياس على أن العبارات الموجودة فيه هي عبارات تصف السلوك اليومي، ويمكن الإجابة عليها باختيار واحدة منها فقط وفق سلم ثلاثي يضع فيه المبحوث علامة(×) أمام واحدة من هذه الاختيارات (نعم، لا أدري، لا). مع التأكيد أنه ليست هناك إجابات صحيحة وأخرى خاطئة، وأنه ليس هناك وقت محدد للإجابة على الإختبار والمطلوب فقط هو الإجابة على كل العبارات.

-تصحيح المقياس وتفسير نتائجه:

فيما يتعلق بتصحيح المقياس، فإن تقدير الدرجات يكون من (0-2) بالشكل التالي:

في حالة العبارات الموجبة تقدر الدرجات بـ (2) بالنسبة لنعم، (1) بالنسبة لـ لا أدري، (0)بالنسبة لـ لا، وفي العبارات السالبة فإن التقدير يتم بشكل عكسي من(2) بالنسبة إلى لا، (0) بالنسبة إلى نعم. وتُقدر الدرجات الدنيا والقصوى بالنسبة للمقياس ككل بـ (22) و (108) على التوالي. بينما تقدر الدرجات القصوى والدنيا بالنسبة للمحددات الخمسة كما في الجدول رقم (27):

جدول رقم(27): يُبيّن الدرجات القصوى والدنيا لمقياس محددات الهوية.

المحدد	الدرجة القصوى	قيمة المتوسط المفترضة	الدرجة الدنيا
المحدد النفسي	24	12	06
المحدد الأسري	14	07	00
المحدد الاجتماعي	20	10	02
المحدد الثقافي	26	13	00
المحدد السياسي	24	12	08
الدرجة الكلية للمقياس	108		

تُفسر النتائج في المحددات الخمسة المذكورة في الجدول (27) حسب قربها أو ابتعادها عن المتوسط النظري للدرجات في كل بعد.حيث قسمت الدرجات المتحصل عليها في كل بعد في المقياس إلى

ثلاث مستويات (مستوى ضعيف، ومستوى متوسط، ومستوى مرتفع). وقد اكتفينا بحساب متوسطات إجابات المفحوصين ومقارنتها ببعض بدل تقديم درجات للإجابات.

2.8.3. اختبار "من أنا؟" (Que suis- je ?):

إن الهدف من تطبيق اختبار "من أنا؟" هو تفادي الانطلاق من معطيات نظرية لهوية اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الجزائر والوقوف على الصورة التي يعطيها المبحوث عن نفسه دون قيود.

وقد أوضّح محمد مسلم[109] أن كل من زلن وبرجلتن (Zelen et Burgenthal) يعتبران أول من صمما اختبار من أنا؟ وذلك سنة 1950، حيث كان الهدف منه في البداية السماح للفرد بأن يصف نفسه وكانت الكيفية تنحصر في أن يُطلب من الفرد أن يعطي ثلاث إجابات عن السؤال "من أنت؟" (Who are you ?). وفي سنة 1954 عمل كل من كوهن ومارك بارتلند (J Kuhn et Mac Partland) على تعديل وتطوير هذا الاختبار وذلك بطلب الإجابة عشرين مرة وفي ظرف 12 دقيقة على سؤال "من أنا؟"، حيث يجب أن تكون الإجابة تختلف في كل مرة عن الإجابات السابقة، وقد دلت النتائج أن الأفراد يُعرّفون أنفسهم من خلال الفئات الاجتماعية (Catégorisation sociale) مثال ذلك: "أنا رجل" أو "أنا عامل"، ثم يفصح بعدها فقط عن سماته الشخصية التي تُميّزه عن الآخرين بنوع من التحفظ.

وفيما يخص تفريغ النتائج وتحليل المحتوى فهناك أنماط مختلفة نذكر منها على سبيل المثال أنماط تُصنف الإجابات الى فئات تنحصر في اتجاهين أو قطبين: القطب الاجتماعي والقطب الشخصي، بحيث ينظر الى الهوية الشخصية على أنها مفهوم شامل يتعلق بمجموع العواطف والبيانات المعرفية المرتبطة بالذات، وهذه المجموعة يمكن دراستها من خلال تحليل إجابات سؤال من أنا؟.

لقد جاء اعتمادنا على هذه الأداة على أساس أن هذا الاختبار كثيرا ما استعمل في دراسات الأفراد المهاجرين أو من يقيمون في وسط ثقافي يختلف عن وسطهم الثقافي الأصلي كما هو الحال عند اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الجزائري.

وعلى مستوى هذه الدراسة، فقد لجأنا الى الإجابات الحرة التلقائية وطلبنا من الأفراد الإدلاء بخمسة إجابات عن سؤال "من أنا؟" من أجل تحليل الكيفية التي طرحت بها الذات (Ego) وبعض خصائص تشكيل المدلول اللفظي للنص(Morphosémantiques).يكمن الهدف من وراء ذلك في الكيفية التي يُعرّف بها الفرد نفسه وكيفية تقديمه لصورته عن نفسه وذلك من خلال المحددات التالية: الفئة الاجتماعية للانتماء والسمات الشخصية والجماعة المرجعية، إضافة الى أنه يعطي

فرصة لأن يبرز المبحوثون محدداتهم كما يرونها دون تدخل الباحث الذي حددها سابقا في المقياس، وهي فرصة تعطي مجالا أرحب في التحليل.(انظر الملحق رقم 09).

9.3. الإجراءات العملية للتطبيق:

تم تطبيق مقياس "محددات الهوية عند اللاجئين الفلسطينيين" واختبار "من أنا؟" بشكل نهائي في الفترة الممتدة من 15 أفريل الى 15 ماي 2011، وذلك بالاعتماد على خمسة وسطاء من طلبة علم النفس وعلوم التربية من جامعة البليدة والذين زودناهم بالتعليمة الخاصة بأدوات البحث وعناوين المبحوثين، حيث تم إجراء كل المقابلات في بيوت هؤلاء (مع العلم أننا احتفظنا بنفس الوسطاء الذين تعاملنا معهم سابقا على مستوى الدراسة الاستطلاعية وأبدوا معنا تعاونا كبيرا)، بينما اكتفت الباحثة بإجراء بعض المقابلات والتطبيق مع عشرة أفراد من مجموعة البحث هذا لكسب الوقت من جهة، وصعوبة الاتصال بالمبحوثين من جهة أخرى.

وقد تم تطبيق أدوات البحث بدءا بالمقياس المرفق بتعليمته في إطار مقابلة وذلك بشكل فردي، وقد استغرقت مدة تطبيقه حوالي ساعة من الزمن لكل مبحوث. ثم بعدها اختبار "من أنا؟"الذي طُلب من المبحوثين ملئ الفراغات بمفردهم.

10.3. المعالجة الإحصائية:

تتعدد التقنيات الإحصائية المستعملة بتعدد أغراض الدراسات وذلك من أجل معالجة الدراسة بطريقة موضوعية وعلمية.وعلى هذا الأساس، فقد تّم استعمال الطرق الإحصائية التالية:

- الإحصاء الوصفي المتمثل في التوزيعات التكرارية والنسب المئوية لتبويب المعطيات، إضافة الى اعتمادنا على مقاييس النزعة المركزية في تحديد الخصائص الإحصائية لبعض متغيرات الدراسة.

- استعمال معاملات الاتساق الداخلي الفا كرومباخ لتأكد من ثبات محاور المقياس، واستعمال اختبار "ت" لقياس دلالة فروق المتوسطات.

مع العلم أن البيانات تّم ترميزها وإدخالها في الحاسوب قصد استخراج النتائج ومعالجتها باستخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).

الفـصـل 4
نـتائج الـــدراســـة

تمهيد:

نستهل عرض نتائج هذه الدراسة وتحليلها وفق الطرح المقدم على مستوى الإشكالية، حيث ستتم عملية التحليل محترمين التسلسل الذي وضعناه من خلال الفرضيات المصاغة.إلا أننا قولبنا ذلك على مستويين من التحليل، حيث أننا في المستوى الأول منه، ركزنا على المؤشرات التي تطبع هوية اللاجئين.بينما في المستوى الثاني من التحليل، فإننا تركنا المجال للمبحوثين للتعبير عن محددات هويتهم بحسب رؤيتهم.

1.4.عرض وتحليل النتائج:

I.المستوى الأول من التحليل:

نحاول من خلال تحليل نتائج المقياس معرفة المحددات الأكثر بروزا وذلك بالاعتماد على ما صغناه بناء على الأدبيات والأطر النظرية التي تناولت إشكالية الهوية بصفة عامة.

1.1.4. عرض وتحليل نتائج الفرضية الأولى:

صيغت الفرضية الأولى على أساس أن المحدد الثقافي يعد الأكثر بروزا عند اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الجزائر في تحديد هويتهم، مع العلم أنه توجد أربعة محددات أخرى وهي: المحدد النفسي والمحدد الاجتماعي والمحدد الأسري والمحدد السياسي.

ومن المفيد أن نبدأ معالجة هذه الفرضية بعرض عام لدرجات أفراد المجموعة المتحصل عليها في المقياس إضافة الى المتوسطات الحسابية لهذه الدرجات حتى نتمكن من معرفة المتوسط الحسابي الأكبر عند مجموعة البحث، والجدول رقم (28) يُبيّن ذلك.

جدول رقم(28): الدرجات والمتوسطات الحسابية لإجابات مجموعة البحث على المقياس.

المحددات / المواصفات	المحدد النفسي	المحدد الأسري	المحدد الاجتماعي	المحدد الثقافي	المحدد السياسي
مجموع الدرجات	68.83	82.43	83.80	84.92	54.46
المتوسط الحسابي	16.52	11.54	16.76	20.38	14.16

يبدو من خلال الجدول(28) أن المحدد الثقافي هو الأكثر بروزا باعتبار الدرجات المتحصل عليها من قبل مجموعة البحث كانت الغالبة، حيث قُدرّت درجات المحدد الثقافي بـ84.92 درجة، مع العلم أن المتوسط الحسابي بالنسبة لهذا المحدد هو 1.70 ، تلاه المحدد الاجتماعي بـ 83.80 ثم المحدد النفسي بمجموع درجات قدر ب 68.83 أما المحدد السياسي فكان 54.46 بينما درجات المحدد الأسري فقدرت بـ82.43 ، وبقيت الغلبة للمحدد الثقافي بمتوسط حسابي بلغ 20.38 .

وبالرغم من هذه النتائج إلا أن المتوسطات الحسابات لمعالجة مثل هذه الفرضية يبقى غير كافيا، لذلك لجأنا الى مستوى آخر من المعالجة الإحصائية للتحقق من المحدد الأكثر بروزا من خلال حساب معامل فريدمان والجدول رقم(29)يُوضّح ذلك:

جدول رقم(29): يُبّين المحدد الأكثر بروزا لهوية اللاجئين الفلسطينيين باستعمال معامل الرتب لفريدمان.

المحدد	المتوسط الحسابي	معامل فريدمان	الرتبة
المحدد النفسي	16,52	3.33	03
المحدد الأسري	11,54	1.45	05
المحدد الاجتماعي	16,76	3.35	02
المحدد الثقافي	20,38	4.47	01
المحدد السياسي	14,16	2.40	04

من خلال قراءتنا للجدول(29) الذي اعتمدنا فيه على المعالجة الإحصائية القائمة على معامل الرتب لفريدمان، فان المحدد الثقافي هو المحدد الأكثر بروزا عند اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الجزائر.وهذا لا يعني الاستغناء عن المحددات الأخرى في وضع معالم الهوية عند فئة اللاجئين الفلسطينيين؛ وإنما يبرز الاستراتيجيات النفسية والاجتماعية المتاحة للمجموعة البحث في الظروف المعاشة والزمان والمكان الحاليين.

2.1.4.عرض وتحليل نتائج الفرضية الثانية:

صيغت الفرضية الثانية على النحو التالي: يتأثر المحدد النفسي باختلاف الجنس، ومن اجل التأكد إحصائيا من صدق الفرضية تم تطبيق اختبار "ت" للفروق بين الجنسين على كل المحددات والجدول رقم (30) يُبيّن بوضوح النتائج المتحصل عليها بعد تطبيق اختبار "ت".

جدول رقم(30): يمثل الدلالة الإحصائية لاختبار"ت" لدلالة الفروق بين محددات الهوية باختلاف الجنس.

الخصائص / المحددات	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	الدلالة الإحصائية
النفسي	ذكور	16,93	3,403	1.15	غير دال
	إناث	15,90	2,900		
الأسري	ذكور	11,30	2,602	0.85-	غير دال
	إناث	11,90	2,337		
الاجتماعي	ذكور	17,50	3,235	1.94	* دال
	إناث	15,65	3,345		
الثقافي	ذكور	20,50	5,488	1.19	غير دال
	إناث	20,20	5,043		
السياسي	ذكور	16,70	3,515	1.91	غير دال
	إناث	14,70	3,672		

*=الدلالة الإحصائية عند مستوى 0.05

حسب ما هو مُوضّح في الجدول (30)، فقد قدرت قيمة "ت" بالنسبة للذكور والإناث في المحدد النفسي بـ -1.15 وفي المحدد الاسري0.85 وفي المحدد الاجتماعي 1.94 وفي المحدد السياسي 1.91 وهي غير دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.05؛ أما المحدد الثقافي فقد كانت قيمة"ت" بالنسبة للجنس 1.19 وهي دالة عند مستوى دلالة 0.05 ومعنى ذلك أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين فيما يخص المحدد الثقافي.

3.1.4. عرض وتحليل نتائج الفرضية الثالثة:

ضبطت الفرضية الثالثة على أساس أن المحدد الثقافي يتأثر باختلاف مكان الميلاد، وقد تمت المعالجة الإحصائية باستعمال اختبار"ت" لمعرفة الفروق في مكان الميلاد سواء في فلسطين أو خارجها على المحدد الثقافي، والجدول رقم(31) يبين ذلك:

جدول رقم(31): يمثل الدلالة الإحصائية لاختبار"ت" لدلالة الفروق بين محددات الهوية باختلاف مكان الميلاد.

الخصائص / المحددات	مكان الميلاد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	الدلالة الإحصائية
النفسي	فلسطين	15,58	3,355	1.60-	غير دال
	أخرى	17,10	3,048		
الأسري	فلسطين	11,21	2,936	0.68-	غير دال
	أخرى	11,74	2,206		
الاجتماعي	فلسطين	15,68	3,945	1.67-	غير دال
	أخرى	17,42	2,838		
الثقافي	فلسطين	17,05	6,629	3.35-	*دال
	أخرى	22,42	2,754		
السياسي	فلسطين	14,00	3,636	3.01-	*دال
	أخرى	17,06	3,235		

*=الدلالة الإحصائية عند مستوى 0.05

يظهر من خلال الجدول رقم (31) أن قيم "ت" في كل من المحدد النفسي والأسري والاجتماعي كانت على التوالي تساوي -1.60 و0.68 و1.67، وهي قيم غير دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.05، أما قيم "ت" للمحدد الثقافي والسياسي فكانت تساوي -3.35 و-3.01 تباعا وهي قيم ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05. وعليه هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مكان الميلاد تؤثر في المحدد الثقافي والسياسي.

4.1.4. عرض وتحليل نتائج الفرضية الرابعة:

صيغت الفرضية الرابعة على النحو التالي: يتأثر المحدد الاجتماعي باختلاف أصل الأم، وتم الاعتماد على اختبار "ت" للتأكد من دلالة الفروق كما هو موضح في الجدول رقم(32):

جدول رقم (32): يمثل نتائج اختبار"ت" لدلالة الفروق بين محددات الهوية باختلاف أصل الأم.

الخصائص / المحددات	أصل الأم	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	الدلالة الإحصائية
النفسي	فلسطينية	15,45	3,357	1.20-	غير دال
	أخرى	16,82	3,161		
الأسري	فلسطينية	10,36	3,355	1.41-	غير دال
	أخرى	11,87	2,130		
الاجتماعي	فلسطينية	14,45	4,634	2.02-	*دال
	أخرى	17,41	2,653		
الثقافي	فلسطيني	13,91	6,877	3.91-	دال
	أخرى	22,21	2,783		
السياسي	فلسطينية	14,00	3,493	2.03-	غير دال
	أخرى	16,44	3,589		

*=الدلالة الإحصائية عند مستوى 0.05

يُظهر الجدول رقم(32) نتائج تطبيق اختبار "ت" لدلالة الفروق بين اصل الأم(فلسطينية/ أخرى) والمحددات الخمسة، وقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في كل من المحدد الاجتماعي والثقافي عند مستوى دلالة 0.05 بحيث جاءت قيم "ت" كما يلي-2.02 خاصة بالمحدد الاجتماعي و-3.91 خاصة بالمحدد الثقافي، بينما كانت نتائج اختبار "ت" في المحدد النفسي

والأسري والسياسي -1.20 و-1.41 و-2.03 على التوالي وهي قيم غير دالة عند مستوى دلالة 0.05.

كما أن معرفة **الأفاق المستقبلية** للمبحوثين مفيدة جدا من حيث أنها تعطينا صورة عن مشاربعها وطموحاتهم، حيث يمكن الجزم أن أغلب إجابات المبحوثين حول أفاقهم وأمالهم المستقبلية كانت متناقضة كليا، باعتبار وضعية المهاجر عادة تتسم بمواجهة خيار بين نماذج قيمية متناقضة، فإن وضعية اللاجئ تضيف إلى هذا الوضع العام عنصر العجز، وهو ما يظهر من خلال التذبذب بين الرغبة والواقع، فالشق الكبير منهم صرّح بالرغبة في الرجوع أو على الأقل بزيارة له ولأبنائه لفلسطين. بينما الشق المتبقي، فكانت أماله لا تتعدى نجاحه ونجاح أبنائه واستقرارهم في الجزائر مما يعنى أن طموحات ومستقبل المبحوثين تعلقت أولا بمدى إمكانية بقائهم أو رجوعهم، وثانيا على الوضع الذي اعتبروه مفصليا في حياتهم إذ لا مجال للتفكير في أدنى طموحات ما لم يفصلوا على الأقل مع أنفسهم مصير بقاءهم هنا في بلد أصبح بالنسبة لهم جزء من هويتهم واكتسبوا من خلاله عادات وتقاليد وأسلوب عيش ونمط حياة يومية، وأن في هذا الطموح غايات تساهم في تنظيم واقع إقامتهم وتدعيم نفوذهم في بلد الاغتراب الذي أصبح واقعيا وحياتيا؛ فهو بلد إقامتهم والبلد الذي يحمل هم وأبنائهم هويته، والجزائر -وحسب ما كما أشار الى ذلك أحد المبحوثين- هي" البيت "ومستقبل أولادي وأحفادي"؛ أي أنها الوطن الجديد، والذي يحدد بهذه الصفةوموضوعياً كافة الجوانب الرئيسية لهوية هؤلاء اللاجئين.

II. المستوى الثاني من التحليل:

نحاول من خلال تحليل نتائج اختبار"من أنا" معرفة الكيفية التي طرحت بها الذات(Ego) من طرف مجموعة البحث، وذلك من خلال الإجابة على خمسة أسئلة.

5.1.4. عرض وتحليل نتائج اختبار "من أنا؟":

من أجل جمع وتفريغ إجابات المبحوثين ارتأينا وضع خمسة محاور كبرى مستلهمين ذلك من فكرة غوردن التي عمل من خلالها على تصنيف الهوية الى ثمانية محاور كبرى.

وفي هذه الدراسة حددنا هذه المحاور الخمس عن طريق تحليل محتوى كل إجابات المبحوثين، وهي كالتالي:

- الانتماء والجماعة المرجعية،
- السمات الشخصية،

- العلاقة مع الأخر(الجزائر)،
- الأدوار والمكانة الاجتماعية،
- المرجعية الروحية والقيم والأخلاق.

تم عملنا على تنظيم إجابات المبحوثين على المحاور السابقة بعد أن لاحظنا بروزها في معظم الإجابات، ثم قمنا بحساب تكرارات هاته المحاور في كل سؤال لمعرفة أيهم الأكثر تواترا، وأين صنف المبحوثون أنفسهم في بداية كل الأسئلة ثم في نهايتها.وسنقدم ذلك بالتفصيل.

- السؤال الأول:

تعد الإجابة على السؤال الأول أكثر أهمية عن باقي الإجابات باعتبارها تبّين الصفة الأولى التي يعزوها الشخص لنفسه. وقد جمعنا كل الإجابات وصنفناها وفق محاور محددة. وتم تجميعها وحساب تكراراتها في السؤال الأول حسب الجدول رقم(33):

جدول رقم(33): يُبيّن إجابات مجموعة البحث عن السؤال الأول من اختبار "من أنا؟".

المحور	نماذج عن الإجابات	التكرار
الانتماء والجماعة المرجعية	فلسطين(فخور،عاجز...)	**30**
السمات الشخصية	عصامي، متفوق	**03**
العلاقة مع الأخر(الجزائر)	أعتز بالجزائر، كأني في بلدي، كأني في فلسطين	**05**
الأدوار والمكانة الاجتماعية	الاسم، امرأة، رجل أستاذ	**09**
المرجعية الروحية القيم والاتجاهات	مسلم، عربي، غيور على وطني، لا أؤمن بحل السلام	**03**
مجموع الإجابات	**50**	

يظهر لنا من خلال الجدول رقم(33) بروز المحور الأول المتمثل في **الانتماء والجماعة المرجعية** والتي وصلت إجابات المبحوثين فيها الى 30 إجابة، كلها تركزت حول الانتماء لفلسطين أو الى مناطق مولدهم فيها. كما أنه غالبا ما أضيف للانتماء صفات ومشاعر متعلقة بهذا الانتماء (كالفخر والعجز).

بينما تراوح عدد الإجابات ما بين 03 الى09 إجابات توزعت بين: الأدوار والسمات الشخصية والقيم بحيث كان عدد الإجابات متقاربا جدا، وعليه فقد عرّفت مجموعة البحث نفسها من خلال **الانتماء والجماعة المرجعية** التي تنتمي إليها.

- السؤال الثاني:

نحاول من خلال الجدول رقم (34) إعطاء نظرة شاملة على إجابات المبحوثين بخصوص السؤال الثاني ومعرفة تمركز مختلف إجاباتهم.

جدول رقم(34): إجابات مجموعة البحث عن السؤال الثاني في اختبار "من أنا؟".

المحور	نماذج عن الإجابات	التكرار
الانتماء والجماعة المرجعية	فلسطيني	**06**
السمات الشخصية	مناضل، لا أشعر بالإحباط، أشعر بالثقة، متفائل، مقاوم، مناضل، طموح، فخور بأصلي، راضي، سعيد، أتمنى أن يكون والدي فخورين بي، محظوظ.	**18**
العلاقة مع الآخر(الجزائر)	أعتز أو أفتخر بالجزائر، أشعر بالثقة في الجزائر، أحب الجزائر.	**08**
الأدوار والمكانة الاجتماعية	أب، رجل، تاجر، طالب.	**06**
المرجعية الروحية والقيم والاتجاهات	راجع، مغترب، مجتهد في إعطاء صورة مميزة عن فلسطين، أريد تحرير فلسطين، اليهود ضد السلام	**12**
مجموع الإجابات	**50**	

يظهر من خلال الجدول رقم(34) غلبة الأجوبة المتعلقة **بالسمات الشخصية**، حيث بلغ عددها 18 إجابة، إضافة الى التركيز على وصف المشاعر والانفعالات، وقد تلتها مباشرة الإجابات الخاصة بالاتجاهات والقيم التي يتبناها المبحوثون (12 إجابة). ولم يخلو السؤال الثاني من وجود مرجعية الأدوار والمكانة الاجتماعية وكذا العلاقة مع الأخر(الجزائر) حيث قدُّر ذلك بـ06 و08 إجابات على

التوالي. وبالتالي فقد جاءت السمات الشخصية والمشاعر والانفعالات في الرتبة الثانية من الخصائص التي عرّفت بها مجموعة البحث نفسها.

- السؤال الثالث:

سنعمل على تقديم إجابات المبحوثين بخصوص السؤال الثالث من اختبار "من أنا؟"؛ وهو ما نُظهره في الجدول (35).

جدول رقم(35): إجابات مجموعة البحث عن السؤال الثالث في اختبار من أنا؟.

المحور	نماذج عن الإجابات	التكرار
الانتماء والجماعة المرجعية	لاجئ، أسير حرب، أنتمي لفلسطين، من حركة فتح، بعيد عن أهلي، أرغب في تكوين دولة فلسطين.	17
السمات الشخصية	أشعر بالأمن، لست غريبا، طموح، فخور ببلدي، حالم بغد أفضل.	11
العلاقة مع الأخر(الجزائر)	أريد تربية أولادي بالجزائر، سعيد لكوني في الجزائر، محظوظ لأني في الجزائر.	03
الأدوار والمكانة الاجتماعية	أب، إنسان، ربة بيت، طالب، تاجر.	06
المرجعية الروحية والقيم والاتجاهات	أحب وطني، عائد، أحمل قضيتي، أتمنى العودة، أحب لنفسي ما أحب لغيري، أريد خدمة بلدي، أنتظر الاستقلال، فخور بهواري بومدين.	12
مجموع الإجابات	**49**	

بالاعتماد على الجدول رقم (35)، نلاحظ من خلال الإجابات عن السؤال الثالث من اختبار "من أنا؟" **ظهور الجماعة المرجعية** من جديد بشكل مختلف عن السابق كأحد الصفات الأكثر بروزا بحيث قدرت بـ17 إجابة من مجموع 49 مبحوث، ثم تليها الإجابات المركزة على المشاعر والاتجاهات المتعلقة بتلك الجماعات المرجعية، إذ قدرّت بـ12وهي تُعّبر في مجملها عن وضع اللجوء وما يعتري اللاجئ من عجز وبعد عن الأهل ومشاعر الغربة.

إضافة الى ذلك، ظهرت أيضا عند مجموعة البحث بعض الاتجاهات المتعلقة بوضعها الخاص (وضعية اللجوء)، حيث تبنت أرائها وقيمها لتعريف نفسها من خلال هذه الوضعية؛ وهو الأمر الذي يعني احتفاظها بقدر عالي من الروابط مع وطنها وقضيتها.

وبالرغم من ذلك، فان إجابات المبحوثين كانت مدعمة أيضا بالإجابات المتعلقة بالأدوار والمكانة الاجتماعية التي يحتلها الفرد في الوقت الراهن، وذلك من خلال عددها المقدر بـ 06 إجابات مقابل 03 إجابات خاصة بالعلاقة مع الأخر.

نستشف من خلال الأجوبة على مستوى هذا السؤال بروز **وضع اللجوء** بشكل مباشر كمحك رجعت إليه مجموعة البحث لتعريف نفسها بشكل مباشر مثل (أنا لاجئ) أو غير مباشر في إجابات مثل (بعيد عن أهلي، ويجب أن أعود، وأنتظر استقلال فلسطين).

- السؤال الرابع:

سنوضح من خلال الجدول رقم(36) إجابات المبحوثين على السؤال الرابع من اختبار "من أنا؟":

جدول رقم(36): إجابات مجموعة البحث عن السؤال الرابع في اختبار "من أنا؟".

المحور	نماذج عن الإجابات	التكرار
الانتماء والجماعة المرجعة	-	00
السمات الشخصية	مناضل، أشعر بالاستقرار، أنا من صنعت نفسي، أحس بالغربة، راضي عن نفسي مغامر، مجتهد، ناجح راضي عن حياتي، أحن الى أهلي.	10
العلاقة مع الأخر	أحس بالأخوة مع الجزائريين، أحصل على الدعم من الجزائريين.	03
الأدوار والمكانة الاجتماعية	أب، أستاذ ناجح، رجل، أم مثالية، زوج.	08
المرجعية الروحية والقيم والاتجاهات	أتمنى تحرير فلسطين، أعتز بهويتي، مع المقاومة، أتمنى أن يكون الشعب مسلح بالعلم،	14
مجموع الإجابات	**35**	

من خلال الجدول رقم(36) نلاحظ عند مجموعة البحث بروز الإجابات المتعلقة **بالمرجعية الروحية والقيم والاتجاهات**، وذلك من خلال 14 إجابة من مجموع 35، تلتها الإجابات المرتبطة بالسمات الشخصية والمشاعر والاعتقادات المطبوعة في ذهنها وذلك في 10 إجابات. أما باقي الإجابات، فكانت تتمحور بين الأدوار والمكانة الاجتماعية والعلاقة مع الأخر.

والجديد الذي نلاحظه على مستوى السؤال الرابع هو اختفاء الحديث عن الانتماء نهائيا، وعليه يمكن وصف الإجابات في السؤال الرابع بالطابع القيمي الذي يسوده تبني مواقف واتجاهات ثابتة عن قضية اللاجئين وموقعهم فيها.

- السؤال الخامس:

سنعمل على تقديم الإجابات الأخيرة من اختبار" من أنا؟"؛ وهي إجابات تحمل أيضا نوعا من الخصوصية باعتبارها أخر ما يختم به المبحوث وصفه لنفسه، وهي مُرتبة كما يُظهرها الجدول رقم(37).

جدول (37): إجابات مجموعة البحث عن السؤال الخامس في اختبار "من أنا؟".

المحور	نماذج من الإجابات	التكرار
الانتماء والجماعة المرجعة	فلسطيني، من سيبقى فلسطيني، مثل حسن للفلسطينيين، أصحاب الحق، لو لم أكن فلسطيني لتمنيت أن أكون فلسطين.	09
السمات الشخصية	راضي، أصدق بمعاملتي، أنا موجود، لا أملك شيء، طموح، أتمنى الحرية، مثقف.	07
العلاقة مع الأخر(الجزائر)	اعتز بالجزائر، أحب الجزائر، أرغب في البقاء في الجزائر، الجزائر بلدي الثاني.	05
الأدوار والمكانة الاجتماعية	زوج جيد، إنسان، زوجة.	04
المرجعية الروحية والقيم والاتجاهات	مع الاستقلال، لا أحب العنصرية، أريد إيصال صورة فلسطين لأولادي، أتمنى زيارة فلسطين، أحب وطني، أطلب فتح الحدود	06
مجموع الإجابات	**31**	

من خلال قراءة الجدول رقم (37) تُبين إجابات المبحوثين ظهور الإجابات المتعلقة **بالانتماء والجماعة المرجعية** بـ 10 إجابات من مجموع 31، ولكن بشكل غير صريح مثل "أنا من سيبقى فلسطيني". أما باقي المحاور فكانت متقاربة بشكل كبير نوعا ما، حيث جاءت المرجعية الروحية والقيم والاتجاهات والسمات الشخصية في الرتبة الثانية بتعداد 07 و06 إجابات على التوالي، تلتها الأدوار بـ04، أما العلاقة مع الأخر بـ05 إجابات؛ وهو ما يشير الى أن مجموعة البحث عادت لتُعّرف نفسها مرة أخرى من خلال الانتماء والاتجاهات المتعلقة بهذا الانتماء. علما أننا تحصلنا فقط على 31 من أصل 50 إجابة مفترضة.

ما يمكن أن نلمسه من خلال نتائج اختبار "من أنا؟" بروز خمسة مكونات أو محددات أساسية لهوية اللاجئين الفلسطينيين تم تبويبها وفق خمسة محاور قمنا بحساب نسبها المئوية التي تركزت فيها إجابات مجموعة البحث. وهو ما يوضّحه الجدول رقم(38).

جدول (38): يمثل ترتيب لحصيلة إجابات مجموعة البحث على اختبار "من أنا؟".

المحاور	النسبة المئوية
الانتماء والجماعة المرجعة	30
السمات الشخصية	23
المرجعية الروحية والقيم والاتجاهات	21
الأدوار والمكانة الاجتماعية	15
العلاقة مع الأخر(الجزائر)	11

تُظهر الإجابات في الجدول (38) بروز محور الانتماء بشكل واضح من خلال نسبة الإجابات الخاصة بهذا المحور بحيث وصلت نسبتها الى30%. كما نلاحظ ميل المبحوثين الى ذكر المشاعر والسمات الشخصية كالصبر والطموح والنجاح بنسبة قدرت بـ23%، إضافة الى مشاعر الغربة والرغبة في الحرية واتجاهات وقيم تتعلق بالمواطنة وبمواقف واتجاهات هؤلاء نحو قضية فلسطين بنسبة وصلت الى21%.

ولم تخلو الإجابات على العموم من الأدوار والمكانات الاجتماعية باعتبارها تمثل تصور الذات المنبثق من المكانة التي يشغلها الفرد داخل البنية الاجتماعية بنسبة إجابات قدرت بـ 15%. أما

العلاقة مع الأخر(الجزائر)، فقدرت نسبة الإجابات بـ 11% وهي في مجملها مواقف عرفان وتقدير، ويمكن تلخيص نتائج اختبار "من أنا؟" في الشكل رقم(01).

شكل رقم(01): شكل توضيحي لنتائج اختبار "من أنا؟" عند مجموعة البحث.

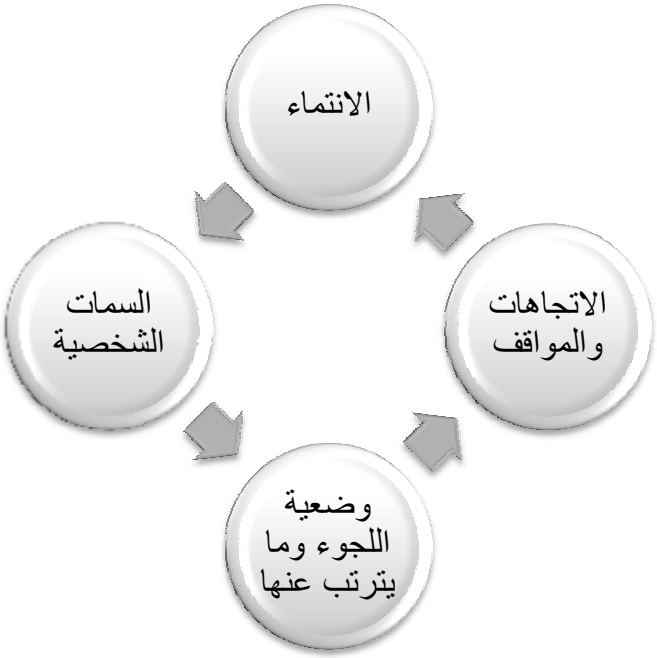

يُبيّن الشكل رقم (01) الحلقة الدائرية التي تنطبق على التعاريف التي قدمها المبحوثون بخصوص أنفسهم في اختبار "من أنا؟"، فقد تركزت الإجابات في البداية حول **الانتماء والجماعة المرجعية**. أما الأجوبة الأخرى التي كانت انعكاس لمشاعر المبحوثين وسماتهم الشخصية. وفي السؤال الثالث ظهرت وضعية اللجوء بشكل مباشر أحيانا ومُقنَع أحيانا أخرى بحيث ركز فيها المجيبون على وضعهم أو عدم القدرة في التحكم في الأمور أو الرغبة في العودة.ثم نلاحظ أنهم أشاروا إلى اتجاهاتهم حول الوضع في بلدهم. والمثير للانتباه هو عودتهم من جديد لتعريف أنفسهم بشكل يشابه إجاباتهم في البداية حول كونهم فلسطينيين ولكن بشكل غير مباشر مشحون نوعا ما بالانفعالات.

2.4. مناقشة عامة للنتائج:

بعد الانتهاء من عملية عرض وتحليل النتائج، تأتي مرحلة المناقشة التي نسعى من خلالها إلى التّحقق من مدى صحة فرضيات البحث وإبراز موقع نتائج هذه الدراسة من نتائج الدراسات السابقة التي

عالجت الموضوع وكذا إدراج الإضافات الممكن تقديمها بناء على نتائج هذه الدراسة من معطيات جديدة. وستتم مناقشة هذه النتائج وفق التسلسل الذي انتهجناه على مستوى تقديم النتائج وتحليلها.

1.2.4. مناقشة نتائج الفرضية الأولى: جاءت نتائج الفرضية الأولى المتعلقة بالمحدد الأكثر بروزا من بين المحددات الخمسة للهوية (المحدد النفسي والمحدد الأسري والمحدد الاجتماعي والمحدد الثقافي والمحدد السياسي)، وبعد ترتيب المحددات وفقا لمعامل الرتب لفريدمان وكان الترتيب كالتالي:

- المحدد الثقافي،
- المحدد الاجتماعي،
- المحدد النفسي،
- المحدد السياسي.
- المحدد الأسري

إن بروز **المحدد الثقافي** كمحدد أولي لهوية اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الجزائر ينسجم مع ما قاله اريكسون -نقلا عن محمد مسلم [109] ص113 "لا تتموضع عملية تشكل الهوية على مستوى الفرد فحسب، وإنما تتشكل أيضا من عمق ثقافة مجتمعه".

''Le processus de l'identité ne se situe non seulement au cœur de l'individué, mais aussi au cœur de la culture de sa communauté'

كما أن تمسك اللاجئ بالثقافة الأم حسب ما جاءت به مها كيال[81] غالبا ما يبرز نتيجة تفاعله مع الثقافة الوافدة، وخصوصا إذا كانت هذه الثقافة تضعه في صراع داخلي عقائدي يمس تكوينه الشخصي؛ وهي ما يُعبّر عنها بـ"الحاجة الدفاعية لحماية الذات"، وان كان ذلك بعيدا على المرتكزات الأساسية لثقافته الأم باعتبار أن اللاجئين الفلسطينيين يعيشون في بلد لا يختلف عنهم بشكل قطعي إلا فيما يخص التثاقف المادي مع البيئة الاجتماعية الجديدة التي يعيشون ضمنها ويتعاطون يوميا مع مستجداتها ويشهدون تحولاتها ويطبقون نظامها ويخضعون لقوانينها وينضبطون بثقافتها ويتذوقون فنها، وهي كلها أمور يجب أن لا نقلل من شأنها. فالأخر(الجزائر) في مثل هذه الحالة ليس البعيد جغرافيا أو صاحب العداء التاريخي أو المنافس إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها ويحارب بعضها البعض، وقد ظهر ذلك جليا في اختبار "من أنا؟" من خلال المشاعر الايجابية والمتوافقة التي أبداها المبحوثون نحو الجزائر. إضافة الى ذلك، فان التمسك الذي أظهره المبحوثون بثقافتهم المادية، هو

بمثابة الحقل الذي سمحوا فيه لأنفسهم أن يعيشوا ماضيهم وحاضرهم من خلال ممارساتهم اليومية لمختلف عاداتهم وأعرافهم.

وهو ما أظهرته أعمال دوفرو [104] بتبيان أن الثقافة والشخصية تظهران معا وأنهما متطابقتان، إذ تساهم الثقافة في التوظيف النفسي الداخلي للفرد، وتميل البيئة الاجتماعية ممثلة بالثقافة الى التأثير على الجزء النووي من نفسية الإنسانوالمتمثل في معنى ذاته المكوّن من صورته الجسدية من جهة، ومن جهة أخرى من شخصيته العرقية (ethnique) "القاعدية" التي تتكون خلال المرحلة الأوديبية ومرحلة "المواضيع" الكلية التي تعمل كوسائط (médiateurs) للبيئة الاجتماعية والثقافية.

وعلى الرغم من اعتبار الثقافة ليست كمجموعة من المضامين الفلكلورية؛ بل كتنظيم واسع متداخل ومعقد لفكر حقيقي يشمل التصورات الخاصة بالعالم، إلا أننا ركزنا على الثقافة المادية التي تعتبر صورة فعلية للمنتوج التاريخي القادم من البلد الأصلي.

إن البعد الثقافي في الهوية يستدعي بدوره الحديث عن الهوية الجماعية أو العرقية، حيث تتحدد الهوية بانتماء الفرد لجماعة ما؛ وهو ما ظهر من خلال اختبار "من أنا؟" الذي أبرز بوضوح مدى تمسك اللاجئين الفلسطينيين المقيمين بالجزائر بجماعتهم المرجعية، إذ فاقت نسبة الإجابات المتعلقة بالانتماء نسبة 30% سواء كانت هذه الجماعة بيولوجية أو سياسية أو روحية.

ومن خلال هذا التأطير الذي أوضّحه الاختبار نلاحظ مدى قدرة الثقافة على ترجمة هذه الاتجاهات والانتماءات الى واقع يومي معاش؛ وهو الأمر الذي أكده مسكوفيسي[111]292 p , بقوله أن"هوية الفرد ترتبط بمعرفة انتمائه لجماعة اجتماعية معينة وبالمعنى العاطفي والتقمصي الناتج عن هذا الانتماء".

وتأكيدا لما سبق، أكد برنارد [112] أن الهوية العرقية تسمح بالرجوع إلى تاريخ وأصل واحد في شكل تعبير ثقافي مشترك، والذي لا يمثل إلا جزءا من الثقافة التي تعد بمثابة معايير تؤدي الى الالتفاف حول موضوع جماعي خاص يُشكّل نواة الهوية الجماعية، والذي قد يكون اللغة والدين أو العادات المرتبطة تاريخيا بهذا العرق؛ فهي ترسي الشعور بالهوية من خلال الشعور بالانتماء أو الشعور بالقيمة المرجعية.

ومثل هذه المعطيات تنسجم الى حد كبير مع النتائج التي ظهرت في المقياس إذ أجاب أكثر من 60% من مجموعة البحث على أسئلة المقياس المتعلقة بمعرفتهم وإطلاعهم على الثقافة الفلسطينية بشقيها

المادي والمعنوي وكذا ممارستهم اليومية والمناسباتية لهذه العادات والطقوس وكذا احتفاظهم باللهجة داخل البيت كترجمة لتفرد هويتهم.

ومن ثمة فان الفرضية المصاغة على اعتبار أن المحدد الثقافي هو المحدد الأكثر بروزا قد تم قبولها.

وفيما يتعلق بالمحدد الثاني الذي تلا المحدد الثقافي والمعبر عنه **بالمحدد الاجتماعي**، وهي رتبة متوقعة باعتبار الهوية تتشكل من إدخال العناصر الاجتماعية الثقافية للمحيط، ودمجها في شخصية تحت تأثير تجارب مع المتعاملين الاجتماعيين وهو ما ظهر من خلال نظرة الأخر (الجزائريين) ذوي الدلالة للمبحوثين باعتبارهم فلسطينيين أكثر من اعتبارهم جزائرين، فقد كانت إجابات المبحوثين تفوق 70% من مجموع الإجابات حول سؤال"هل تعتقد أن أراء الآخرين حولك ايجابية باعتبارك فلسطيني"، علما أن نظرة الأخر تشكل عنصرا فعلا في تكوين الهوية، وهو بالفعل ما أكده ميد [99] من أهمية تبني الشخص لآراء الآخرين حول نفسه، باعتبار الفرد يتصرف وفقا لما يعزوه إلى حالات مختلفة، هاته الحالات ناتجة عن تفاعل بينه وبين الآخرين، كما يتم بناء الهوية نتيجة هذا التفاعل، حيث يكون الفرد مشارك نشط وبقدر من المرونة، وتاتي المحددات الاجتماعية في الرتبة الثانية من خلال أراء الأخر التي تصنف الفلسطينيين باستمرار بأنهم "فلسطينيون" وهذه التصنيفات في مجملها من العناصر الهامة التي يستدخلها المبحوثون لتصبح جزءا من جهازهم النفسي. اذ تنبثق الهوية حسب اريكسون[67] عن الهجر الانتقائي والتشابه المتبادل للتقمصات واستيعاب الأشكال التي يقدمها المجتمع- في مثل هذه الحالة قدم المجتمع نظرة التميز باعتبارهم فلسطينيين-، وتحتوي الهوية على مجموعة من المشاعر والخبرات والخطط المستقبلية المتعلقة بالفرد، حيث تعمل هذه التجارب في سياق ثقافي وتتأثر بالتفاعل القائم بين الفرد والبيئة.

وفي المقابل قدم كودول [100] السياقات التجريبية للسيرورة المعرفية الخاصة ببناء الهوية وتحديد ميكانيزمات الاستيعاب والتمايز التي بفضلها يبني الأفراد هويتهم في السياق الاجتماعي، وأظهرت هاته الآليات أنها تستجيب لاستراتيجيات تقييم الذات والاعتراف الاجتماعي من خلال نظرة الآخرين؛ وهو الأمر الذي لاحظناه من خلال نظرة التقدير والعرفان التي تميز موقف اللاجئين الفلسطينيين من الجزائريين بصفة عامة.

وعلى الرغم من تموضع **المحدد النفسي** في الترتيب الثالث على كثرة أهميته وثقل وزنه باعتبار الهوية النفسية حسب ما أشار له تاب [77] " نظام من تصورات الذات" و كذلك على أنها " نظام مشاعر إزاء الذات"، و لا يمكن اعتبارها كنتيجة سياق عقلاني محض، ولا كمجموعة إسنادات ذات دلالة تدرك بصفة موضوعية، فصورة الذات هي بناء ذاتي متجدد باستمرار، يتناوب بين المشاعر والانفعالات التي تختلف في اتجاهها وطبيعتها.

فالهوية النفسية هي توليفة من المحددات الأسرية والاجتماعية والثقافية، ولن تستطيع أن تكون غير بناء من مجموع هذه المدخلات، إضافة الى أن المقاييس الموضوعية تعتبر عاجزة أمام وصف الشخص لمحدداته النفسية لذلك ساد في الدراسات المتعلقة بالهوية استعمال تقنيات متعددة قائمة في اغلبها على المقابلات المطولة والاستبصار المعمق كما جاءت به الدراسات الرائدة لزافالوني، وبذلك يمكن آن نرجع هذا الغياب غير مباشر للمحدد النفسي لهذه الأسباب ولأسباب تعود للمبحوثين أنفسهم بحيث شكلت أسئلة المقياس المباشرة تهديدا تم تفاديه بمجموعة من الآليات الدفاعية.

وعلى الرغم من غياب المحدد النفسي كمحدد محوري كما ظهر في نتائج المقياس، إلا انه ظهر وبشكل جلي في اختبار من أنا؟ من خلال بروز السمات الشخصية بنسبة وصلت الى 23%من مجموعة إجابات المبحوثين وهي في مجملها مشاعر وانفعالات وصفات شخصية مرتبطة بالانتماء لفلسطين وما ترتب عن هذا الانتماء وهو الامر الذي يؤد على عجز المقاييس النوعية في مثل هذا الحالات عن الكشف عن المحددات النفسية الكامنة.

وفيما يخص الأسباب الموضوعية التي أدت الى غياب **المحدد السياسي** فيرجع بداية الى الأوضاع المحلية في الساحة الفلسطينية حيث تشهد الساحة الوطنية حالة من التهلهل وغياب المرجعيات وتراجع دور الأحزاب السياسية بشكل عام بحيث هناك ضعف في تعبئة المقيمين وتراجع دور المؤسسات المجتمعية في تعزيز الوعي السياسي.وبشكل عام تترك الافتراضات باستقرار الهوية الفلسطينية مجالا محدودا للوقوف على التشعبات الناجمة عن التشتت طويل الأمد، سواء كانت تلك الناشئة بفعل التغيرات الطارئة على المناخات العربية أو الدولية المحيطة بحركة المقاومة أو شلل المؤسسات التمثيلية الوطنية الأصلية، كما أن لمصطلح هوية- كما هو مستخدم على لسان النشطاء والباحثين - يطرح مشاكل عدة على الصعيدين النظري والسياسي فسياسيا يمنح هذا المصطلح تأكيدا مغلوطا بوجود وحدة وطنية حقيقية مما يساهم بدوره في تفاقم الأزمة الحالية التي تعاني منها الحركة الوطنية .إن شطب هكذا تأكيد، سيدفع النشطاء ببذل الجهود والتخطيط لبرامج ترمي إلى إعادة بناء التعبير عن التعريف بالذات كفلسطينيين، والأهم من ذلك، انه سيمنح الهوية الفلسطينيةجوهراً ديمقراطياً اجتماعياً .في الوقت الذي كان لمنظمة التحرير الفلسطينية (التي تأسست في العام) 1964 أثرا توحيديا وتعبويا ضخما على الفلسطينيين جميعا، بمختلف الطبقات وألوان الطيف، فإن قيادة ما بعد أوسلو قد ساهمت في إضعاف ربط تجسيد الذات بمنظمة التحرير الفلسطينية، وعززت من التمايزات ما بين مناطق الشتات؛ لقد ظل القطاع الأكبر من الشعب حسب ما اشارت له روز ماري صايغ[136] ومن ضمنهم اللاجئون في الشتات، خارج صيغة السلطة الوطنية الفلسطينية؛ أي محرومين منها ورغم أن فكرة الهوية الوطنية المشتركة لا تزال تمتلك قوة توحيدية، إلا أنها كفت عن

لعب دور تعبوي باتجاه أهداف مشتركة أو نضال مشترك في تقرير كيفيتاس، تظهر الرغبة الشعبية في التمثيل الأصيل من خلال الانتخابات بشكل بارز .لقد عبر المتحدثون عن سخطهم واستيائهم من السفراء المعينين من قبل رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، متهمين إياهم بعدم فعل أي شيء لتمثيلهم أو مساعدتهم .كما تم التعبير عن استياء أكبر على صعيد المستويات العليا في السلطة الوطنية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية واللجان الشعبية المحلية، متهمين إياهم بالمحسوبية والفساد بيد أن أكثر المطالب تكرارا، كان ضرورة انتخاب المجلس الوطني الفلسطيني والمؤسسات الوطنية المختلفة، وإنهاء التعيينات لقد طالب المتحدثون أساسا بتنظيم الانتخابات كوسيلة وحيدة لإعادة تفعيل منظمة التحرير واقترح بعض المتحدثين بأن يكون التصويت على قاعدة جغرافية أكثر منها فصائلية كما هو حال اليوم .وتعكس اقتراحات أخرى الرغبة الشعبية في توزيع مركز الثقل السياسي الفلسطيني من مناطق نفوذ السلطة الوطنية الفلسطينية إلى كامل مناطق الشتات، وذلك من خلال طرح فكرة إقامة مكاتب تسجيل للفلسطينيين في مختلف أنحاء العالم، لها الحق في البت بمنحهم بطاقات هوية، بالإضافة إلى تأسيس لجان محلية منتخبة يمكنها التواصل مع القيادة الوطنية.

من خلال غياب مرجعية سياسية واحدة تظهر أهمية باقي المحددات التي تشكل الحقل الأكثر أمنا والأكثر حرية في ممارسة وعيش الهوية الفلسطينية بحيث فضل المبحوثون الارتماء في أحظان الثقافة ليعيشوا في فلسطين إذ أصبحت الثقافة الوعاء الذي يضم كل التصورات وكذا نماذج الهوية المختلفة. فإذا كان التغير في الثقافة يمكن أن يأخذ مظهر أزمة على المستوى النفسي، فذلك لكون الهُويّة الثقافية تشكل ركيزة للهُويّة الفردية، بحيث أن الاستقرار و الوحدة الثقافية تسهل اندماج الشخصية و هو عامل أساسي في توازنها.

وجاء **المحدد الأسري** في الترتيب الأخير للاعتبارات عديدة تعود للتنشئة الاجتماعية داخل الأسر الفلسطينية التي أصبحت جزءا نوويا لا يمكن وصفه فقط من خلال أسئلة المقياس بل ممارسته من خلال الطقوس الثقافية، وبذلك فضل المبحوثون التطرق الى الجزء المادي المتمثل في الثقافة على الحديث عن أساليب التنشئة والمناقشات الحادثة داخل الأسرة، ومن المفيد التذكير أن هذه التنشئة الحادثة داخل اسر المبحوثين عبارة عن عملية مستمرة **من التمايز والتقمص؛** تحمل هذه العملية في طياتها نوعا من الصراع بين **التشابه والتفرد،** وهو الامر الذي سعينا لتوضيحه من خلال الأسئلة التالية"هل تعتقد أن لأحد والديك تأثير مباشر عليك"و"هل تعتقد أن عائلتك تختلف عن العائلات الجزائرية"، وقد تركزت إجابات المبحوثين حول إحساسهم بعمق التأثير والتأثر الحاصل بينهم وبين إبائهم على الرغم من أن فان فعل الهجرة قائم على فعل اختيار التفكيك في وحدة الأسرة الذي يعرض دورها الجوهري في إعادة التكوين الاجتماعي الذي أنتجها، إلا أن الأسر الفلسطينية المقيمة

في الجزائر استطاعت مقاومة هذا التغير باستنهاض ما اختزنته من أساليب وروايات ومعاملات تمس قيمهم وسلوكياتهم وأشكالها التنظيمية وأنماط أفعالهم الآتية من هناك من البلد الأم وقد عبر المبحوثين فعليا عن ذلك من خلال اتفاق كل الإجابات على تميز عائلاتهم وعلى احتفاظهم بنسق معين من التعامل يستقي جوهره من الثقافة والتربية الفلسطينية.

2.2. مناقشة نتائج الفرضية الثانية: سنعمل على مناقشة الفرضية التي انطلقت من أن المحدد النفسي يتأثر باختلاف الجنس، وقد أظهرت دراسات عديدة أن الجنس من العناصر المهمة في تحديد الهوية على غرار ما أثبتته دراسات زافالوني[93]

وتُوضح الدراسة التي قدمها سافران[36] حول المواصفات الاجتماعية وتحديات التكيف انه يوجد تباين واضح بين الفلسطينيين في أوربا خاصة على مستوى الجنس والأجيال، بحيث يميل الذكور الي تعريف حالهم والتعامل على أساس إنهم فلسطينيون مقابل الإناث اللاتي لا تبدين رغبة كبيرة في الكشف عن أصلهن ومرد ذلك الى احتكاك الذكور أكثر بالمجتمع وبالتالي إمكانية تناول هكذا مواضيع، على عكس الإناث اللاتي يكون استثمارهن للعلاقات الأسرية على حساب العلاقات خارج إطار الأسرة.

وهو ما يتفق مع دراسة تورتن[38] التي أشارت الى مدى اختلاف القائم بين الجيلين والجنس والذي عزته الى فارق السن بين الجيلين الذي أدى الى القدرة على التكيف بسبب الخبرة وكذا التجارب المأخوذة من البلد الأم، وكذا الاحتكاك المباشر مع المجتمع على عكس الإناث التي تجدن عادة وكيل ينوب عنهن.

أما في الدراسة الحالية فقد اظهر اختبار "ت" عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الإناث والذكور فيما يخص المحدد النفسي على عكس المحدد الاجتماعي الذي كان التأثير فيه لصالح الذكور مقارنة بالإناث، باعتبار المحيط الاجتماعي هو من يعمل على التفاعل بين عمليات الاستيعاب لدى الفرد وعمليات التكيف الموجهة بالسياقات المادية والاجتماعية التي يعيش بها الفرد. وهو ما يتفق مع الدراسات السابقة بحيث يلعب المحيط الاجتماعي حيزا للمختلف التفاعلات التي تصبغ الأفراد بافرازاتها وعلى رأسه الدور الجنسي.

فالمحدد النفسي لم يخضع لمتغير الجنس كما خضع المحدد الاجتماعي له، فالوضعيات المتمثلة في الهجرة واللجوء تخضع لردود فعلا الآخرين أكثر مما تخضع لاعتقادات الأشخاص أنفسهم وهو ما يعطي ثقلا لدور الأخر على حساب الشخص في تحديد الهوية في مثل هاته الحالات.

و تتماشى الهوية الجسمية والتطور الجنسي والاجتماعي بكل مراحل الحياة من البلوغ إلى الأمومة والنضج والشيخوخة وتدفع كل مرحلة من هذه المراحل إلى إعادة النظر في الهوية الجسمية القائمة على الشعور الكلي للهوية، وعلى مستوى البناء الجسدي، تتكون الهوية في سياق جدلي بين الداخل والخارج، أي تقمص مزدوج وتقمص مثلي الاستمرارية والتغير، نظرة نحو الذات ونظرة نحو الأخر، وعلى هذا الأساس تظهر هذ ه الجدلية في تفاعل عاطفي معرفي واجتماعي بين الفرد ومحيطه. وبذلك تم رفض الفرضية الثانية التي ترى أن المحدد النفس يتأثر باختلاف الجنس، و هذا يتماشى مع نتائج دراسة رودريقاز طومي [105] التي أثبتت ميل الذكور إلى المكانة و الإناث إلى الخصائص الشخصية أي ما أسماه " الهُويّة العامة" (publique) و " الهُويّة الخاصة " (privée) فإن الاتجاهات العامة للجنسين تتميز بالسلبيـة لدى الإناث، ومواقف أكثر حسما وتحديدا للنماذج لـدى الذكور. أما تأثير عامل الجنس حسب نفس الدراسة فيظهر في لجوء الذكور بالترتيب للمرجعية إلى النشاطات والترفيه والمكانة والمستقبل والمدرسة والعالم والسياسة البلد الثقافة اللغة والدين والإناث إلى صورة الذات الحاجات الأقران، وه ما يتناسب مع الدراسة الحالية والتي ظهرت فها تأثير المحدد الاجتماعي بالجنس. إذ تبين أن الذكور يميلون أكثر إلى المكانة والأدوار والعلاقات الاجتماعية بينما تميل الإناث إلى الحاجات؛ و هذا يعود ربما إلى وضع الإناث في مجتمع عربي يمنح لهن هامشا ضيقا للتصرف.

3.2.4. مناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

جاءت الفرضية الثانية بالصياغة التالية : يتأثر المحدد الثقافي باختلاف مكان الإقامة في الطفولة وقد أظهرت نتائج اختبار "ت" وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مكان الإقامة في الطفولة لصالح فلسطين في التأثير على المحدد الثقافي، إذ أن ما اكتسبه المهاجر من مدخلات ثقافية عند تركه موطنه هي التي تتثبت عادة في ذهن اللاجئ وتتحول الى مرتكز أساسي في حياته بسبب البعد والحنين أولا بسبب ضعف رفد هذه الثقافة بمدخلات جديدة تعدل في ظروف وعيه إياها، ويضيف اندرسون[128] أن الذكريات بالنسبة للاجئ هي جزء من عملية بناء المستقبل ولا تتحول الى شكل من أشكال ترسيخ الذات في الماضي إلا في حالات مرضية معينة.

وفي هذا السياق يبين عباس شبلاق[30] أنه إذا كان الجيل الأول من اللاجئين الفلسطينيين يرجع إلى ثقافته(لغته ودينه وعاداته وتقاليده ووطنيته...)ليحدد موقفه وموقعه من وفي المجتمع الأوربي فإن الجيل الثاني يحاول الحفاظ على نفس المستوى لكن بكيفية مجزأة وغير ثابتة كان قد اكتسب مضمونها من عائلته دون أن يعايش فعليا المراجع الثقافية الأصلية التي عايشها آباءه وهذا ما يطرح

إمكانية عدم الانسجام مع وضعيات مختلفة؛ أي بين متطلبات (الأنا والنحن) وبين متطلبات (هم) باعتبار الفرد عاجز عن تحديد هويته إلا من خلال التكامل في الشعور الداخلي بالهوية

كما أشار تورتن[38] الى أن الاختلاف القائم بين الجيلين في تحديد الهوية يكمن في الفرق في التأقلم والتشابه في الصفات(Homogeneous)، وكذا اختلافهم في السن والتجربة و الجنس و التربية والحالة الاقتصادية والاجتماعية، بحيث يرتفع تفاعل اللاجئين من الجيل الأول مع هويتهم بشكل أكثر مما هو عليه عند الجيل الثاني ومرد ذلك الى أن الجيل الأول ولد في فلسطين وتشرب منها هويته وهي بذلك جزء منه على عكس الجيل الثاني الذي لم يولد في فلسطين ولم يسمع عنها إلا من خلال ما روي له وهو بذلك يحمل صورة خيالية غير قادرة على تجسيد صورة فلسطين بالشكل الكافي، ومن المهم التذكير حسب ما أوضحه غسان الحاج [125] كيف تميّز اللاجئون الفلسطينيون بارتباطهم الوثيق بمحلية المكان، بدليل زياراتهم المتكررة إلى ديارهم الأصلية كلما سمحت لهم الظروف وهو ما لمسناه من خلال عدد الزيارات الخاصة بمجموعة البحث التي وصل فيها 40% منهم إلى زيارات متكررة فاقت الثلاث مرات.مع الإشارة إلى المكان لا يمثل فقط مجرد فضاء من جدران وأقبية وغيرها؛ ولا يقتصر المكان على توفير القاعدة للممارسة الأليفة ضمن الحيز الخاص والتي تحمل الرضا والطمأنينة بل يتعداها الى توفير القاعدة لإنشاء موطن ضمن الحيز العام لا سيما في مجال تعزيز الذات والانتماء، ففكرة تمفصل ذكريات المهاجر التي تتمحور هناك في الموطن الجديد. وذكريات اللاجئ لا تختلف عن أي ذاكرة أخرى وذلك بالقدر الذي نوظف فيه جميعا ذكرياتنا عن ماضي بهيج متخيل بهدف إنتاج إحساس غامر بالفرح في الحاضر والمستقبل، ولكن خصوصية ذكريات اللاجئ هنا تكمن في محاولة تركيب الحاضر في فضاء منفصل جذريا عن الماضي الذي يتم تذكره، وهو ما يعني ان الماضي ما يزال موجودا في الحاضر بل مصدر قوة.
فذاكرة الشتات تبدو هنا مرافقا مكانيا دائما لجميع تجارب الحاضر، بدل أن تكون ذكريات يجري انتاجها في عملية التذكر تحديدا، وعليه فان الفرضية التي تشير إلى أن المحدد الثقافي يتأثر باختلاف مكان الإقامة في الطفولة قد تحققت.

4.2.4. مناقشة نتائج الفرضية الرابعة:

سنحاول مناقشة الفرضية التي صيغت كالتالي: يتأثر المحدد الثقافي باختلاف اصل الأم، وقد اظهر اختبار "ت" وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الأمهات الفلسطينيات مقابل أمهات من جنسيات أخرى فيما يخص المحدد الثقافي، وهو ما يتفق مع دراسات عديدة أشارت الى دور الأم في نقل وتوزيع الهوية، ويلعب المحيط الاجتماعي على رأسه الأم دورا أساسيا في نشأة الهوية " La genèse de l’identité" لان الطفل يبني الهوية من خلال تصوره عن الأشخاص والعالم الذي

يحيط به وهو الامر الذي تؤكده دراسة زافالوني[93] باعتمادها على الكاشف متعدد المراحل للهوية الاجتماعية « L'investigateur multi stade de l'identité sociale » بحيث توصلت الى أن مشروع الفرد يعد ويتحقق من خلال تصور الأم للعالم، وتؤكد أن تصور العالم يرتبط بتأثير الآباء على الأبناء ومن هنا ترى أن نقطة الانطلاق ترتكز أساسا على التفاعل بين الأم والابن.

ومن المفيد التذكير في هذا السياق الى ما أشار له افريست بن زائييف[137] بان الأمهات الفلسطينيات تحملن خارطة داخلية لفلسطين تظم النكهات والروائح التي ترسم مخططا إجماليا للروح الوطنية المحلية. ويتجسد ذلك فعليا من خلال رواياتهم الشفوية التي انتقلت من جيل الى جيل، حيث أن هذا التناقل ما بين الأجيال للهوية عن طريق اللغة والحكاية الشفوية بطريقة واعية يستعمل في تعزيز هوية اللجوء وتكوين ثقافة واعية تجاه قضية اللجوء، وقد عبر المبحوثون بشكل كلي على توارد الحكايات والتراث المنقول على لسان أمهاتهم داخل أسرهم.

وفي هذا المقام تظهر أصالة أعمال وينيكوت[138]من حيث انه أكد على الأهمية القصوى للمحيط وتحديدا نوعية الرعاية الأمومة في تطوير ونمو الهوية معتبرا أن الرضيع بمفرده لا وجود له (Un nourrisson ça n'existe pas) بمعنى انه لا وجود للرضيع بدون علاقة مع أمه. كما أن الشعور بالهوية ينتج عن الانشطار (Clivage) بين الذات الحقيقة(Vrai self) والذات غير الحقيقية (Faux self) حيث تسمح الرعاية الأمومية بتكامل منسجم بين الجسد والنفس. وعلى العكس، تتشكل الذات غير الحقيقية حينما تعجز الأم عن الإحساس بحاجات الرضيع وتعجز عن الاستجابة لهذه الرغبات والحاجات، وبالتالي يخضع لحاجات الأم مهمشا بذلك شخصيته. ففي هذه الحالة يطور طفل هوية هشة وغير مكتملة، وقد حملت الرعاية التي تلقاها أفراد مجموعة البحث لمسة فلسطينية، وعليه فقد تم قبول الفرضية التي ترى بان المحدد الثقافي يتأثر باختلاف اصل الأم.

5.2.4. مناقشة عامة لنتائج اختبار "من أنا؟":

إن اختبار "من أنا؟" يعكس غموضا عن الذات حيث أن الفرد لا يعرف إذا كان ما يطلب منه هو إعطاء صورة عن ذاته لنفسه أم إعطاء صورة لذاته أمام الأخريين لان الفرد لا يسأل عند مواجهة الباحث فقط عن من أنا؟ ولكن يتساءل أيضا عن من يجب أن أكون في نظر الأخر؟.

كما أن هُويّة الأنا تعتبر كحالة افتراضية لبنية تدريجية للشخصية، وتكون هذه البنية متطورة كلما كان الفرد واعيا بتفرده وتشابهه مع الغير واختلافه عنه بحدوده وإمكانياته أمام الخيارات التي يقوم بها في الحياة.وتكون هذه البنية هشّـة كلما عانى الفرد من نقص في التمييز بين الذات والغير، أو لجأ إلى الغير لتحديد خياراته الأساسية، وهو الامر الذي لمسناه من خلال إجابات المفحوصين عن اختبار من

أنا؟ إذ ظهر هذا التميز بشكل جلي من خلال التصنيفات المشتركة والقائمة على جماعة مرجعية واحدة. ويتمثل الاختبار الحاسم لتقييم نضج السياقات القاعدية في قياس مستوى تنظيم مختلف العناصر المكوّ نة للهُويّة ضمن وحدة مرنة. فحسب مارسيا، إن الحد الأدنى لبنية الهُويّة يتضمن تبني توجّه جنسي وموقف إيديولوجي واختيار اتجاه مهني. وهو ما شاهدناه عند مجموعة البحث إذ عرف نفسها من خلال الوضع الحالي وبالتحديد انتمائها الذي يفسر احتفاظهم بنظرة ثابتة حول ذواتهم تتعلق بكونهم فلسطينيون أولا ثم من خلال الأدوار والمكانة الاجتماعية التي يحتلونها، ولكن بمجرد الانتقال الى وضع اللجوء تظهر الذاكرة الجماعية والانفعالات المرتبطة بهذه الوضعية مثال العجز الرغبة في الرجوع والعودة، كما تميز الحديث عن الأخر -الذي يحتل مكانة مهمة في تحديد الهوية- بتصنيفه من قبل المبحوثين في مواقف وقلما ربطت معها علاقة إلا في حالة إجابتين "أريد البقاء في الجزائر" "وأريد تربية أولادي في الجزائر"، وقد تم وضع الجزائر في وضع "الأخر" لأنها كانت الإجابات الوحيدة التي تشير لوجد انتماء أخر غير فلسطين وتم تحديد موقفهم في كل مرة تم الإشارة فيها الى الجزائر.

ووصف السمات الشخصية الظاهر بنسبة 23% من مجموع الإجابات، لا يعني فقط أن المبحوثين أعطوا لأنفسهم مجموعة من الصفات أو المزايا التي تعتبر ايجابية أو سلبية من طرف الفرد نفسه أو من طرف المجتمع كإشارتهم لأنهم طموحين ومتفائلين ولكن تعني على وجه التحديد أنهم أعطوا لأنفسهم نوعا من السلطة على المحيط المادي والاجتماعي، إذ إن تصور الإنسان لنفسه على أنه مصدر التأثيرات الخاصة، وأنه قادر على التأثير في الأشياء والمحيطين وأنه قادر على التسيير والتحكم ولو جزئيا في الأحداث كلها مرتبط بالصورة الايجابية للذات.

كذلك فالدور كمظهر دينامي للمكانة يعطي بعدا قيميا للفرد ولهويته لأنه ينطلق من الوضعية التي يحتلها الفرد أي من نمط سلوكي يتشكل على ضوء التوقعات والمتطلبات المرتبطة بالدور من خلال المكانة التي يحتلها الفرد ثم تقيمه للأنشطة المرتبطة بهذه المكانة ثم تبني الفرد لهذا الدور وعليه تلعب الأدوار كمتغيرات مستقلة دورا أساسيا في تحديد الهوية، وقد لاحظنا كيف ظهرت هذه الأدوار بشكل واضح في كل الإجابات.

وإذا ذهبنا الى ما وراء الإجابات وكيف تتجلى صورة الأخر وصورة فلسطين، نجد هذه الأخيرة تتعزز في كل مرة بشعور المبحوثين بالحنين والاستعداد للنضال من اجلها وتبقى الصورة الجميلة للبلد الأصلي حاضرة في أذهانهم، كما يعبر هؤلاء عن هذا الأمل بشكل دائم وسط فهم عميق للواقع الذي يعيشون فيه وتُظهر الإجابات أن إمكانية التنازل عن حق العودة مستحيل.

3.4. الاستنتاج العام:

بعد عرض وتحليل نتائج الدراسة ومناقشتها، يمكننا أن نستنتج مجموعة من العناصر المتعلقة بمحددات الهوية عند اللاجئين الفلسطينيين المقيمين بالجزائر، وذلك على ضوء المنظور التفاعلي الذي يزاوج بين المحددات النفسية والاجتماعية في سياق شبكي لا يمكن استغناء عنصر عن الأخر، لأن أي تجزئة ستضعنا في تحليل مبتور باعتبار الهوية نظام من المشاعر والادراكات والتقمصات المتراوحة بين التشابه والتفرد.

ومن ثمة، فانه من المهم أن نشير الى الأهمية المتقاربة لكل من المحدد الثقافي والاجتماعي والأسري والنفسي والسياسي في تشكيل وتحديد معالم اللاجئين الفلسطينيين المقيمين بالجزائر، إلا أن التفاوت الحاصل في نتائج هذه الدراسة قد يعود -فيما يخص المحددات المذكورة- الى حدودها المكانية والبشرية والزمانية.

أسفرت نتائج هذه الدراسة أن سياق بلورة الهُويّة لدى اللاجئين الفلسطينيين بالجزائر يحمل بصمات الانتماء الثقافي المزدوج (الفلسطيني من خلال الأم ومكان النشأة في الطفولة ومن خلال النظرة التي تميّز المحيط الذي يعيشون فيه حاليا).

كما لوحظ استثمار مفرط لقيم البلد الأم مقارنة بالقيم الجديدة؛ وهو ما ظهر عند الأفراد المقيمين في طفولتهم في فلسطين مقارنة بالجزائر، وهذا يهدف إلى الحماية من التوترات والصراعات، ومن القطيعة التي يمكن أن ينتجها التغيير سواء على المستوى الداخلي للفرد أو على المستوى الخارجي، أي في العلاقات مع الغير.

ومما لا شك فيه أن الثقافة هي ذلك الوعاء الذي يضم مختلف المحددات المتبقية سواء كانت النفسية التي يتم معايشتها وتشربها من خلال ما تقدمه النماذج الاجتماعية ذات الدلالة (اللاجئون الفلسطينيون في الجزائر) أو الأسرية التي تستقي من ذاكرتها الجماعية قيمها التربوية المليئة بمشاعر اللجوء، أو من خلال الجانب الاجتماعي الموسُوم بنظرة الأخر المميزة، وكذا المحدد السياسي المطبوع بالجانب التحرري النضالي.

وبجب الإشارة الى أنه حتى وان كانت التجارب التي تحيط باللاجئين مشتركة إلا أنها في نفس الوقت فريدة بالنسبة لكل فرد. ومن هنا يجب الإمعان في الظروف والمتغيرات الأساسية ذات الصلة التي تسهم في بناء وترسيخ الهوية في إطارها الجديد كأصل الأم والجنس ومكان الإقامة في الطفولة والبيئة والمناخ والمناظر الطبيعية والعوامل العرقية والاجتماعية والسياسية، والكيفية التي تم المرور

عبرها الى المرحلة الانتقالية في الوطن الجديد بفضل الأفكار المترسخة كتمجيد الوطن الأم والتناقض مع مشاعر البلد الجديد وخيار العودة.

وهوية اللاجئ الفلسطيني في الجزائر تتكون من مستويات واعية وغير واعية مصدرها الأم الفلسطينية، وذلك نتاج متغيرات كبيرة وقيم عديدة صقلها من تجاربه الماضية على أرض بلده، وهو بعد ذلك صورة لما نسج له من طرف الأخر بأنه فلسطيني وسيبقى فلسطينيا.

ويمكن في الأخير بلورة ما تم استنتاجه في هذه الدراسة وذلك من خلال النموذج المقترح والخاص بمحددات الهوية عند اللاجئين الفلسطينيين المقيمين بالجزائر.

شكل (02): نموذج خاص بمحددات الهوية عند اللاجئين الفلسطينيين بالجزائر.

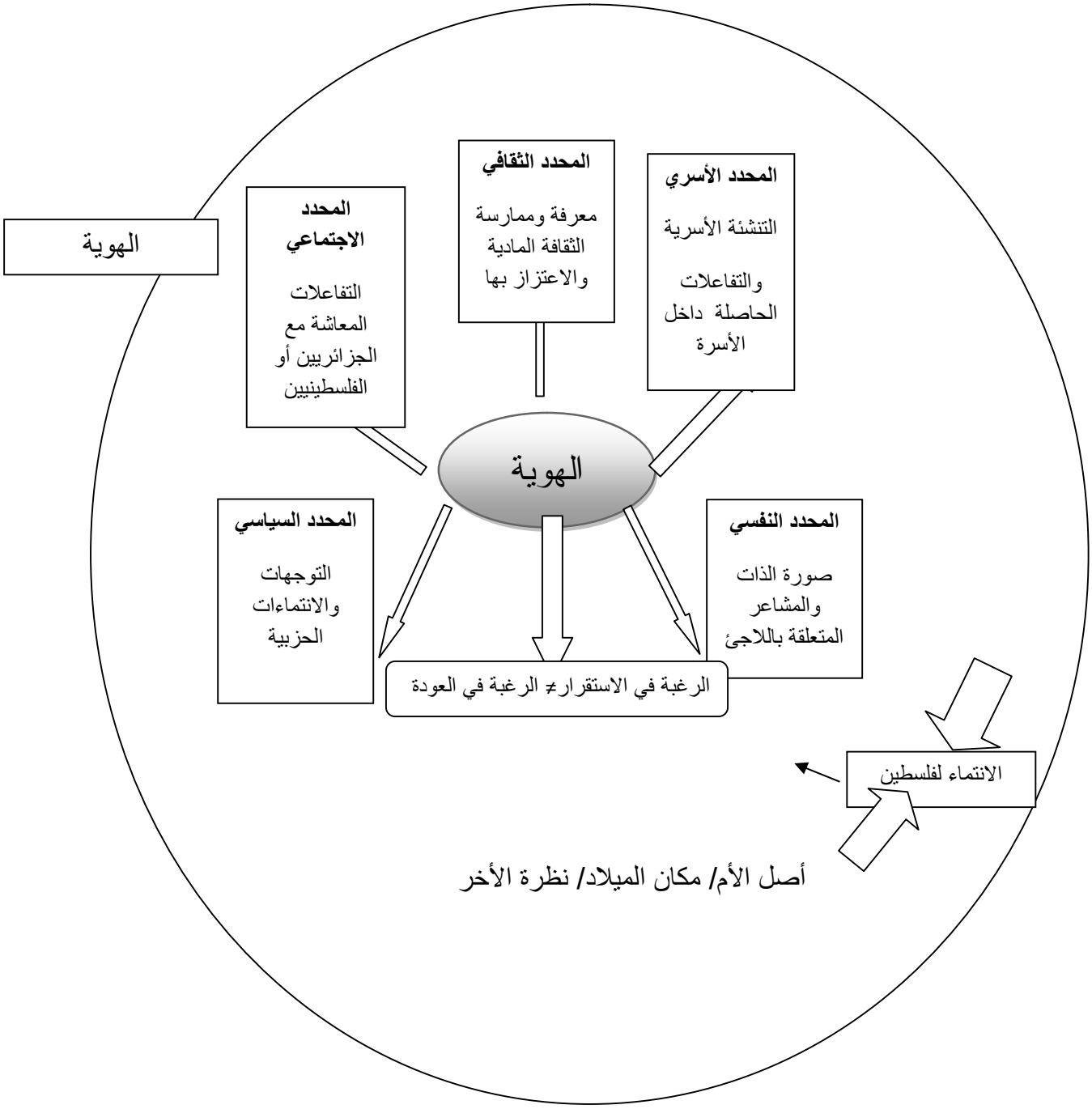

خـاتمة:

انطلقت هذه الدراسة من البحث عن مختلف المحددات النفسية والأسرية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي تسهم في تشكيل الهوية لدى اللاجئين الفلسطينيين في الجزائر عند50 لاجئ مقيمين في كل من المناطق التالية: الجزائر العاصمة والبليدة وتيزي وزو وتيبازة وتيارت والاغواط وورقلة.

وعلى هذا الأساس، صيغت فرضيات الدراسة التي جاءت وصفية وأخرى تبحث في الفوارق الممكنة بين مختلف المتغيرات.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب وأهداف الدراسة من حيث أنه يسمح بالكشف عن محددات الهوية قصد فهمها بطريقة موضوعية.

ولتحقيق هذه الأهداف، تّم الاعتماد على كل من مقياس شمل خمسة محاور تتماشى والأغراض التي بني من أجلها، إضافة إلى اختبار "من أنا؟"طُبقت هذه الأدوات على أفراد مجموعة بحث بمتوسط عمري 45 سنة بحيث روعي أن يكون أفرادها إناث بنسبة20% وذكور بنسبة40%، إضافة لفقدانهم لحق الرجوع لفلسطين.

ولتجسيد فرضيات الدراسة تمّ الاعتماد على مختلف التقنيات الإحصائية منها الوصفية ومنها الاستدلالية في تحليل البيانات، وتمثلت في: الاعتماد على مقاييس النزعة المركزية والمتوسط وعلى مقاييس التشتت خاصة منها الانحراف المعياري، وذلك في تحديد مختلف الخصائص الإحصائية لمتغيرات الدراسة، والاعتماد على مقاييس الاستدلال مثل اختبار "ت".

بعد تبويب النتائج وتحليل المعطيات، توصلت الدراسة الى أن المحدد الثقافي هو المحدد الأكثر بروزا عند اللاجئين الفلسطينيين في الجزائر تلاه المحدد الاجتماعي ثم ثم النفسي ثم السياسي وأخيرا الأسري.

إضافة إلى هذه النتائج، فقد ظهر أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين فيما يخص المحدد النفسي، وبخصوص المقارنات بين مكان الإقامة في الطفولة (فلسطين أو دول أخرى)، فقد توصلت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائيا بين اللاجئين المقيمين في طفولتهم الأولى في فلسطين مقابل المقيين خارج فلسطين، كما وُجدت فروق ذات دلالة إحصائية بين اصل الأم (فلسطيني أو أخرى) والمحدد الثقافي.

ومن ثمة، فإن تلَمس اختلاف المعيش بين البلد الأم والجزائر يحتاج الى تقنيات تتخطى حدود ما استخدمناه في الدراسة، ليتم تحسس ما يمكن تسميته بفروقات دينامية التغيير الثقافي بين الجزائر وفلسطين فهنالك الكثير مما لم يقل من طرف المبحوثين، كما أن حالة التشابك في محددات الهوية لدى اللاجئين الفلسطينيين بالجزائر يعكس واقعيا مدى تأثير الثقافة الجديدة التي أصبحت هي أيضا جزء من هوية الفلسطينيين واكتسبوا من خلالها عادات وتقاليد وأسلوب عيش ونمط حياة يومية غالبا ما تأرجح كفة بقائهم في الجزائر رغم علاقة القرابة مع الوطن الأم، وهو أن يطمح الى الإبقاء على علاقة القرابة وعلى نظام الزواج التبادلي(الزواج بينه وبين الوطن الأم) فان في هذا الطموح غايات تساهم في تنظيم واقع إقامته وتدعيم نفوذهم في بلد الاغتراب الذي أصبح واقعيا وحياتيا فهو بلد إقامتهم والبلد الذي يحمل هم وأبنائهم هويته، كما أن هجرة الفلسطينيين تختلف جوهرياً عن الهجرة لفترة زمنية محددة الى بلد آخر، قد تطول أو تقصر، والعودة بعدها الى الوطن الأم. ولكن القضية هنا تتمثل في كيفية فهمنا للعلاقة التي تربطهم من موقعهم النوعي التاريخي الجديد، كمواطنين إن صح التعبير بوطنهم الأم؛ بمعنى أن طبيعة علاقاتهم الاجتماعية العامة، بكل مكوناتها الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، التي كانت سائدة خلال حياتهم في الأوطان الأم من المنطقي والضروري أن يعاد إنتاجها بشكل يعكس متطلبات الوجود النوعي الجديد لحياتهم في هذه البلاد .

قائمة المراجع :

1. أنا فاسكيس(1985). **سيكولوجية العمال المهاجرين**، رسالة اليونسكو، المهاجرون بين ثقافتين.

2.United Nations (2008). High Commissioner for Refugees (UNHCR), Refugee figures, Feb.

3.Alayarian ,A (2007). The Refugee Therapy Centre's Response to the Torture (Damages) Bill [HL] Call for, Evidence, London

4. عبد العزيز محمد السرحان(1979). **الدولة الفلسطينية**، دار النهضة العربية، مصرع.

5.جواد الحمد(1995). **الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح اليهودية**، دار البشير للنشر والتوزيع، السعودية.

6. موقع قناة الجزيرة: www. Eldjazira.com. بتاريخ:02 افريل 2009، على الساعة: 14:00.

7.روجي غارودي (1996). الخرافات المؤسسة للسياسة الصهيونية، ترجمة: محمد علي الكيلاني، ط ، دار هومة للنشر، سوريا.

8.كليوفورد رايت(1992). حقائق وأباطيل الصراع العربي الإسرائيلي، ترجمة: عريقات عبد الله عباد، عمان.

9.بيان الحوت(1991). فلسطين القضية الشعب الحضارة، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت.

10. نزار عبد الله الأخرس(2005). قضية اللاجئين الفلسطينيين بين إشكالية العودة ومعطيات الواقع، رسالة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة العالم الأمريكية، لبنان.

11.سلمان أبو ستة(2000). **قضية اللاجئين الفلسطينيين**، ط1، آفاق أعمال العودة، القاهرة للدراسات حقوق الإنسان، القاهرة.

12.نصري صالح (2000): **اللاجئون الفلسطينيون في لبنان...الى متى؟**، شمايل مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني، القدس.

13.سعيد سلامة(2008). **قرارات ومعاهدات واتفاقيات**، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة شؤون اللاجئين، رام الله فلسطين.

14.إبراهيم الجندي(2001). **اللاجئون الفلسطينيون بين العودة والتوطين**، ط1، دار الشروق، عمان

15.ميشال فارسوسكي(2001). **إسرائيل فلسطين وتحدي ازدواج الوطنية**، دار الاسكندرون العربية، ط1، دمشق.

16.ماجد العراوري(2000). **اللاجئون الفلسطينيون بين القوانين الدولية والمفاوضات السياسية**، دار الشروق، عمان.

17. محسن محمد صالح(2004)، **فلسطين (دراسة منهجية في القضية الفلسطينية)**، مركز الإعلام العربي، مصر.

18. وزارة الخارجية الإسرائيلية www.altawasul.netبتاريخ: 15 جانفي 2009 ، على الساعة:16:00.

19 .موقع الأونروا : www.un.org . بتاريخ: 20 ماي 2010، على الساعة:15:00

20.نبيل صبحي الطويل(2004). المشردون في الأرض غالبية مسلمة، دار لبنان للطباعة والنشر، لبنان.

21.علي هويدي (2008). **اللاجئون الفلسطينيون وحق العودة في ظل الاحتلال**، الأمين العام لمنظمة "ثابت" لحق العودة، المؤتمر الإنساني الدولي لمساندة ضحايا الاحتلال الصهيوني بفلسطين "أنهوا الاحتلال لحياة أفضل"، جاكرتا.

22. جورش حبش(2002). **الواقع الفلسطيني الراهن وآفاقه المستقبلية في إطار البعدين العربي والدولي**، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق.

23. محمد عبد الهادي(1996). خرائط التوزيع الجغرافي لمخيمات اللاجئين والنازحين الفلسطينيين صامدا الاقتصاد ، العدد 105 جويلية، عمان.

24. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار رقم 319 لعام 1962

25. محمد أحمد مصطفى(2008). **الواقع التعليمي للاجئين الفلسطينيين في لبنان"عوامل تتهدد... ونكبة تتجدد"**، المنظمة الفلسطينية لحق العودة "ثابت"، لبنان.

26. مركز سهيل الناطور ودلال ياسين(2007). الوضع القانوني للاجئين الفلسطينيين في لبنان وسبل التعايش معه، مركز التنمية الإنسانية بدعم وتمويل من مركز البحوث للتنمية الدولية، كندا (IDRC)، لبنان.

27.دافيد جيلمور(1980)، **المطرودون محنة فلسطين**، مكتبة مدبولي، القاهرة.

28. شفيق الحوت (1977). **الفلسطيني بين التيه والدولة**، بدون ناشر، بيروت.

29.Shiblak, A (1996). Residency Status and Civil Rights of Palestinian Refugees in Arab Countries, **Journal of Palestine Studies,** Volume XXV/3-Number3, Washington.

30.Shiblak, A (2005). **The Palestinian Diaspora in Europe: challenge of dual identity and adaptation,** Institute of Jerusalem studies, Palestinian refugee and Diaspora center. Ramallah.

31.Sari, H (2001). **Here and There: Towards an Analysis of the Relationship Between the Palestinian Diaspora and the Centre**, **The Palestinian Institute for the Study of Democracy,** Muwatin, Ramallah.

32.Samara, A (1998).**The Palestinian Refugees Must Restore Their Self-Representation, in Imprisoned Ideas: A Discussion of Palestinian, Arab, Israeli, and International Issues**, al-Mashriq al-A'amil for Cultural and Development Studies, Ramallah.

33. Sari, H (2005). **Physical Return, Virtual Return: The Palestinian Diaspora and the Homeland, Institute of Jerusalem studies**, Palestinian refugee and Diaspora center. Ramallah.

34.Kodmani, B (1997). **La Diaspora Palestinien**, RUF, Paris.

35.Conner,W (1986). **The Impact of Homelands upon the Diaspora, in Shaffer Gabriel**, Ed Modern Diaspora in International Politics. St Martin's. New York.

36.Safran, W (1991). Diasporas in Modern Societies: Myths of Homeland and Return Diaspora, **a special issue of the Journal of Transnational Studies**, vol. 1, N°1, spring, Oxford University Press.

37.Schulz, H (2003). **Palestinian Diaspora: Politics of Homeland and Formation of Identities,** forthcoming, Routledge in cooperation with University of Washington Press.

38.Turton, D Gonzalez, J (1999). **Cultural Identities and Ethnic Minorities in Europe**, University of Deusto Bilbao.

39.ناصر جابي(2008). **الجزائر: الدولة والنخب،** دراسات في النخب، والأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية، منشورات الشهاب، الجزائر

40.Taleb Ibrahimi, Kh (1997). L'arabisation, lieu de conflits multiples, **Réflexions : Elites et questions identitaires**, Alger, Ed Casbah, pp.39-63

41.Lardjane, O (1997). Identité collective et identité individuelle ; **Réflexions : Elites et questions identitaires**, Alger, Ed Casbah, pp.13-42. Camilleri, C et al(1989**). Chocs de cultures : concepts et enjeux pratiques de l'interculturel**, L'Harmattan, Paris

43. موقع الجالية الفلسطينية في الجزائر: www.aljalia.org. بتاريخ: 10سبتمبر2009 ، على الساعة:12:00.

44. دافيد جيلمور(1980)، **المطرودون محنة فلسطين،** مكتبة مدبولي، القاهرة.

45. أحمد صدقي الديجاني(1978). **الفلسطينيون في الوطن العربي،** مركز البحوث والدراسات العربية، القاهرة.

46.معتصم حمادة(2007). اللاجئون الفلسطينيون وحق العودة، المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات، العدد الخامس مارس، فلسطين.

47. خالد عطا(2003). **قراءة في مالية وكالة الأونروا.** فصلية المجموعة 194، العدد السادس ربيع وصيف ، ص76

48. أحمد الرشيدي(1996)، **الحماية الدولية للاجئين،** ط1، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة.

49. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم أ/648 الصادر بتاريخ سبتمبر 1948

50.موقع السلطة الفلسطينية : w.w.w.pna.net. بتاريخ: 15 جانفي2009، على الساعة:20:00.

51. قرار الأمم المتحدة: الجمعية العامة، الرقم 194، البند رقم 11، بتاريخ 1948/12/11.

52. وليد سالم(1997). **حق العودة والبدائل الفلسطينية،** المركز الفلسطيني لتدعيم الديمقراطية وتنمية المجتمع الفلسطيني، فلسطين.

53. رمضان باباجي ومونيل شميلية وجاندرو لابراديل(2001). **حق العودة للشعب الفلسطيني،** ط 10، دار كاظم للتشر، الكويت.

54. محسن محمد صالح(2003). الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية، المركز الفلسطيني للإعلام، فلسطين.

55. علي الزغل، السيد عبد الباسط عثامنة(2000). **الجانب الإنساني للصراعات:حالة اللاجئين الفلسطينيين في الأردن،** مركز دراسات اللاجئين والنازحين والهجرة القسرية، جامعة اليرموك، الأردن.

56. The Open University (1982). **Patterns and Process of Internal Migration**, The Open University Press, London.

57. **Organisation mondial de la santé** (24 avril 2008). Soixante et unième assemble mondiale de la sante A 61/ INF. DOC2, Point 13 de l'ordre du jour provisoire Situation sanitaire dans le territoire palestinien en occupé, y compris Jérusalem-Est, et dans le Golan syrien occupé

58. Mosselson, J (2006). **Roots & Routes: A re-imagining of refugee identity constructions and the implications for schooling**, Center for International Education, University of Massachusetts Amherst, Teachers College, Columbia University, Current Issues in Comparative Education, Vol. 9(1).

59. Kaprielian-Churchill, I & Churchill, S (1994). **The pulse of the world: Refugees in our schools**. Toronto: OISE Press.

60.Oravecz, R & Lajtai, L (1994). **Inter-ethnic communication, Solidarity, Refugee identity transformation (In the mirror of Slovene refuge politics during the Balkan war)**, Inter-ethnic communication, Solidarity.

61.Morton, B et Feng, H (2006). Ethnic identity, resettlement stress and depressive affect among Southeast Asian refugees in Canada, **Social Science & Medicine**, N°63, pp.137–150.

62.Mosselson, J (2005). **Roots & routes: Bosnian adolescent refugees in New York City**, Peter Lang, New York.
Appadurai, A (1996). **Modernity at large. Minneapolis**, MN: University of Minnesota Press.

63. Appadurai, A (1996). **Modernity at large. Minneapolis**, MN: University of Minnesota Press

64. Rutter, J (1994). **Refugee children in the classroom**. Staffordshire, Trentham, UK.

65. Anderson, B (1986). **Imagined communities:** Reflection on the origin and nationalism, Verso, London.

66. Edmond, M (2005). **Psychologie de l'identité soi et le groupe,** Dunod, Paris.

67.Erikson, E (1968) . Identity : youth and crisis**, Norton, new Yourk.**

68. محمد السيد عبد الرحمن(1998). **مقياس موضوعي لرتب الهوية، الاديولوجية والاجتماعية في مرحلتي المراهقة والرشد المبكر**، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.

69.Marcia, J (1966). Development and validation of ego identité status, **Journal of personality and social psychology**, N° 3, pp.551-558.

70. Cheek, J & Briggs, S (1982). Self consciousness and aspect of identity. **Journal of research in personality**, N°16, pp 401-408.

71. Berzonsky, M (1989). Identity style: Conceptualization and measurement**, Journal of adolescent research**, N°4,p p268, 282.

72. Whitbourne, S et al (1996). Age differences in and correlates of identity status from college through middle adulthood, **Journal of adult development**, N° 3, pp. 59-70.

73. Poche(2010). **Larousse**, Paris, France.

74. Bloch, H et all(1992). **Grand Dictionnaire de la Psychologie**, Larousse, Paris.

75. Sartre, P (1943). **L'Être et le Néant,** Gallimard, Paris.

76. Tap, P et al (1986). **Identité et changements sociaux**, Privat, Toulouse.

77. Tap, P (1985). **Masculin et féminin chez l'enfant**, Privat, Toulouse.

78. محمد عبد الجابري (1976). **الموسوعة الفلسفية العربية**، مركز الإنماء العربي، بيروت.

79. Garfield, j et College (S) (2000). **Reductionism and Factionalism Comments on Siderits' Personal Identity and Buddhist Philosophy**, University of Melbourne Central Institute of Higher Tibetan Studies.

80. إبراهيم أبراش(2004). الهوية في مشروع الدستور الفلسطيني، **مجلة رؤية**، العدد25، تشرين الثاني

81. مها كيال(2008). جذور وهجرة: مقاربة انتروبولوجية لواقع الهجرة في مدينة المنية، **مجلة إضافات**، العدد 2، ص 84-102.

82. Oriol, M (1983). **La crise de l'état comme forme culturelle**, un peuple méditerranéen. Paris.

83. Schilder, P (1968). **L'image du corps**, Gallimard, Paris.

84. Anzieu, D (1985). **Le Moi-peau**, Dunod, Paris.

85.Piaget, J (1964). **La Formation du symbole chez l'enfant,** Neuchâtel, Delachaux & Niestlé.

86.Zazzo, R (1986). **Les dialectiques originelles de l'identité, In. Identité individuelle et personnalisation**, TAP (P.) et al, Privat, 1986, pp.207-217, Toulouse.

87. Spitz, R (1968). **De la naissance à la parole**, Paris, PUF.

88.Edmon, M(2005). Psychologie de l'identité soi et le groupe, Dunod,

Paris.

89. Laplanche, J et Pantalis, J (J.P.)(1968). **Vocabulaire de psychanalyse**, PUF, Paris.

90. Bosma, H and Kunnen, S (2001). Determinants and mechanism in Ego identity development: A review and synthesis**, Development review**, N° 27, pp39-66.

91. Lipiansky, M (1992). **Identité et communication**, PUF, Paris.

92. جوهر عبلاش(2001)، الهوية في مواجهة التكيف عند الشباب القبائلي: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير علم النفس الاجتماعي، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر

93. Zavalloni, M (1986). **Identité sociale et éco-égologie, vers une science empirique de la subjectivité**, In. TAP(P.) ; Identité et changements sociaux, Privat, pp.195-209, Toulouse.

94. L'ecuyer, R (1978). **Le Concept de soi**, Paris, PUF.

95. Mucchielli , A (1992). **L'identité**, Paris, P.U.F., Q.S.J, 3ème Ed.

96. Claes, M (1983). **L'expérience adolescente**, Bruxelles, Pierre Mardaga.

97. Marcia, J (1993). Ego identity, **A handbook for psychosocial research,** USA.

98. Ariéti, S (1967). **The Intrapsychic Self**, Basic Books, New York.

99. Jousselme, C (2008). Souffrance dans la construction identitaire de l'enfant atteint de maladie chronique : place du regard parental Pain in the identity construction of sick children: Parental look, **Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence**, N° 56, pp. 233–236.

99.Mead, G. H (1934). **L'Esprit, le soi et la société**, Paris, PUF, trad. fr. 1963.

100. Codol, J (1979). **Semblables et différents, Recherches sur la quête de la similitude et de la différenciation sociale**, thèse de doctorat d'État, université de Provence.

101. Emanuel, C et al (2008). Social identification processes: Group behavior of combatants, **International review of red cross**, volume 90,N° 870 Jun .pp.259-271

102. Erikson, E (1972). **Adolescence et crise,** La quête de l'identité, Flammarion. Paris.

103. Gordon, C et Gergen, K (1968). **The Self in Social Interaction**, Wiley, New York.

104. Devreeux , G(1967). La renonciation à l'identité : Défense contre l'anéantissement, In. **Revue française de Psychanalyse**, janv.-févr, Tome XXXI, N°.1, pp.101-142.

105. Rodriguez-Tomé, H (1965). Les rôles des adultes significatifs privilégiés dans l'adolescence, **Enfance**, N° 5, pp. 603 – 612.

106. علاء الدين كفافي (1999): **الإرشاد والعلاج النفسي من المنظور النفسي الأسري**، دار الفكر العربي، مصر.

106. Goffman, E (1975). **Stigmate. Les usages sociaux des handicaps**, Éd de Minuit, trad. Fr, Paris.

107.Adams, G (1998). **The objective measure of ego identity status: Arefrence manual**, Department of family relation and applied nutrition, University of guelph, Canada.

108. Waterman, A (1982). Identity development from adolescence to adulthood: An extension of theory and a review of research, **Developmental psychology**, N°3, pp.341-358.

109. محمد مسلم(2009). **الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا**، دار قرطبة، الجزائر

110. محمد نور الدين جباب (2006). **إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر**، أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة في الفلسفة، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.

111. Moscovici, S (1972). **Introduction à la Psychologie Sociale**, 2 vol, Larousse, Paris.

112. Bernard, W (1970). The Self and the Future, **The Philosophical Review,** N° 79; pp.161-180.

113. Lazarus, R & Folkman, **Stress Appraisal and Coping** ,New York, Springer Publishing Company. 1984.

114.Greimas, A (1970)**. Du sens**, Le Seuil, Paris.

115. كوسة فاطمة الزهراء(2005). **أزمة الهوية عند الشباب الجزائري: دراسة استكشافية،** رسالة ماجستير علم النفس العيادي، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.

116. علي حمدان(2005). **إشكالية الهوية والانتماء،** المركز الاسترالي العربي للدراسات السياسية، سلسلة الاستراليون العرب، الجزء الأول، سيدني.

117. Krishan, A (2007). Exploring identity, culture, and suffering with a Kashmiri Sikh refugee, **Social Science & Medicine**, N° 65, pp.1654–166.

118. Berzonsky, M (1989). Identity style: Conceptualization and measurement**, Journal of adolescent research**, N°4,p p268, 282.

119. Georges, L (1996). **A quoi sert l'identité**? , Colloque de Bruxelles, 15-27Avril.

120.Guillaumin, J (1986). **l'identité et l'agressivité in identité individuelle et personnalisation**, Privat. Paris.

121. Katja, M et Kirchler E (2002). Attitudes towards the Euro by national identity and relative national status, **Journal of Economic Psychology,** N°24, pp.255-367.

122. Gregg, A (2006**). Identity Crisis Multiculturalism**: A twentieth-century dream becomes a twenty-first-century conundrum, The Walrus, London.

123. Gilgen, D (2005). Impact of migration on illness experience and help-seeking strategies of patients from Turkey and Bosnia in primary health care in Basel , **Health & Place,** N° 11 ,pp. 261–273

124. صابرين الزبن(2007). **هوية اللاجئين في ثقافتهم ولغتهم المحلية،** بحث مقارن بين الجيل الثاني والثالث للنكبة، مركز بديل للبحوث، فلسطين.

125. غسان الحاج (2008). الهجرة ودور الذاكرة والطعام في عملية إنشاء موطن، ترجمة: نها بحبوح، **مجلة إضافات**، العدد 2، ص9-22.

126.عبد الرحمان بسيسو(2005). الثقافة وحركة الدفاع عن الهوية، **مشروع الخطة الإستراتيجية للثقافة الوطنية الفلسطينية، وزارة الثقافة، فلسطين.**

127. Sharif, K (2005). **Towards the Preservation of Palestinian National Identity**, Institute of Jerusalem studies, Palestinian refugee and Diaspora center, Ramallah.

128. Anderson, B (2000). **Psychology of refugee, the immigrant and their children, development of a conceptual frame work and application to psychotherapeutic and related support work**; Department of Psychology University of Lund Sweden.

129. علاء أبو طه (2006) **القدس العربي**، العدد 5817.

130. آرادا فريج(2004)، **الهوية والاندماج للأرمن في الأردن**، رسالة ماجستير مقدمة في علم الاجتماع، الجامعة الأردنية، الأردن.

131. Camilleri, C et al. (1990). **Stratégies identitaires**, PUF, Paris

132. Robert, M (1982). **Fondements et étapes de la recherche scientifique en psychologie.** Maloine Editeur.

133. إحسان محمد حسن(1998). **الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

134. عبد الحفيظ مقدم (1993). **الإحصاء والقياس النفسي والتربوي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

135. أحمد محمد عبد الخالق(1993)، **استخبارات الشخصية**، ط 2، دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.

136. روز ماري صايغ(2009). **تجسيدات الهوية لدى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين رؤية جديدة لمحلي والوطني**، المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين بديل، فلسطين.

137. افرست بن زئيف(2002). **النكهة والرائحة في طقوس العودة الفلسطينية**، دراسات معهد ترومان، اسرائيل .

138. Winnicott, D (1978). **Le Processus de maturation chez l'enfant**, Payot, coll.Trad. Fr, Paris.

المـــلاحـــق

ملحق (07)

الأشكال البيانية الخاصة بتوزيع الشعب الفلسطيني كما في 2008/01/01

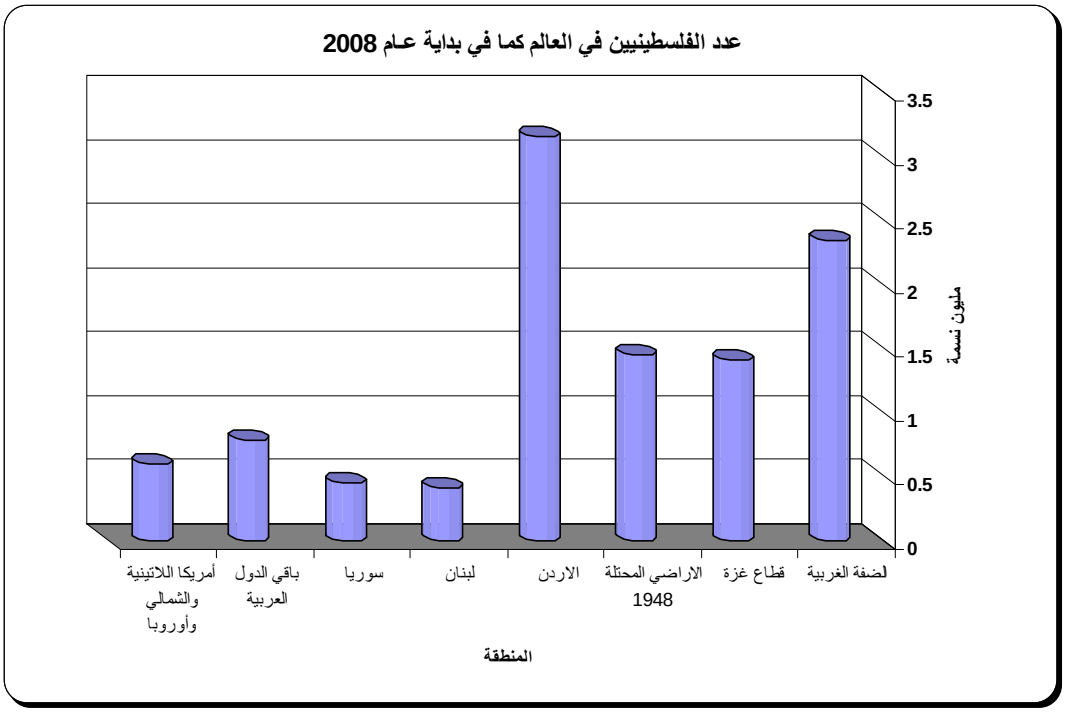

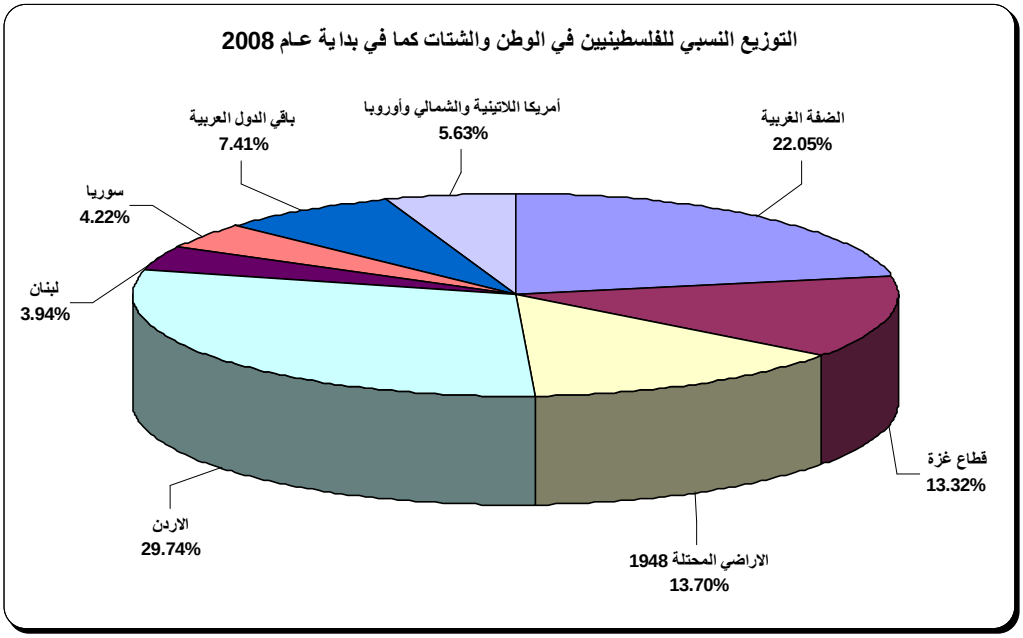
التوزيع النسبي للفلسطينيين في الوطن والشتات كما في بداية عـام 2008
الضفة الغربية
22.05%
أمريكا اللاتينية والشمالي وأوروبا
5.63%
باقي الدول العربية
7.41%
سوريا
4.22%
لبنان
3.94%
قطاع غزة
13.32%
الاردن
29.74%
الاراضي المحتلة 1948
13.70%

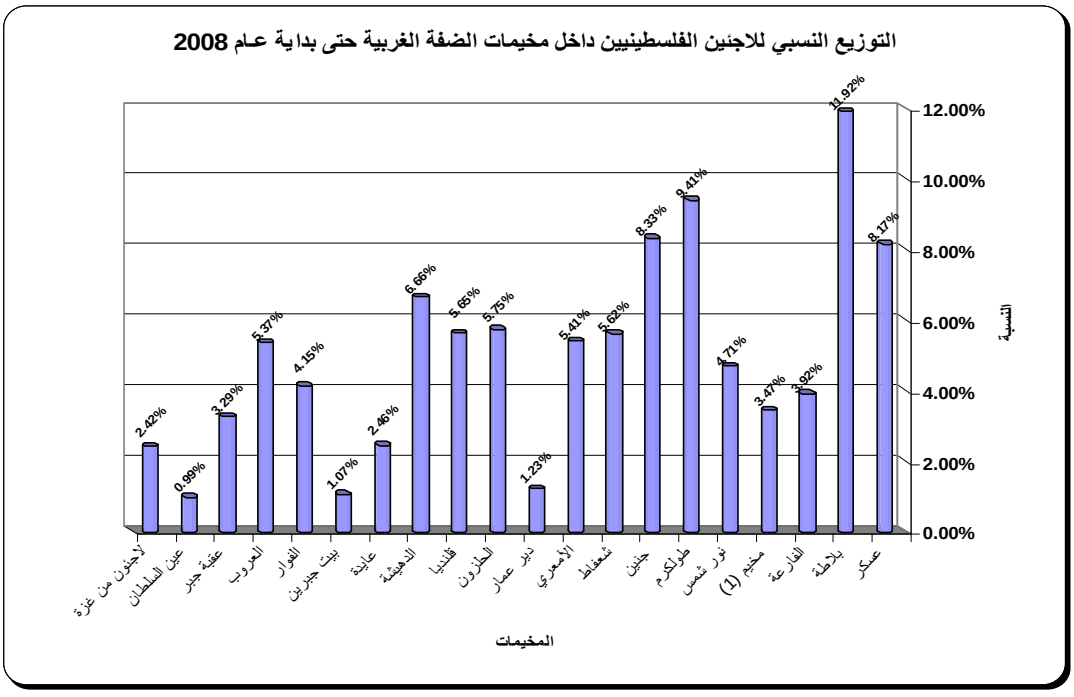
التوزيع النسبي للاجئين الفلسطينيين داخل مخيمات الضفة الغربية حتى بداية عـام 2008
12.00%
10.00%
8.00%
6.00%
4.00%
2.00%
0.00%
النسبة
2.42%
0.99%
3.29%
5.37%
4.15%
1.07%
2.46%
6.66%
5.65%
5.75%
1.23%
5.41%
5.62%
8.33%
8.41%
4.71%
3.47%
3.92%
11.92%
8.17%
لاجئون من غزة
عين السلطان
عقبة جبر
العروب
الفوار
بيت جبرين
عايدة
الدهيشة
قلنديا
الجلزون
دير عمار
الأمعري
شعفاط
جنين
طولكرم
نور شمس
مخيم (1)
الفارعة
بلاطة
عسكر
المخيمات

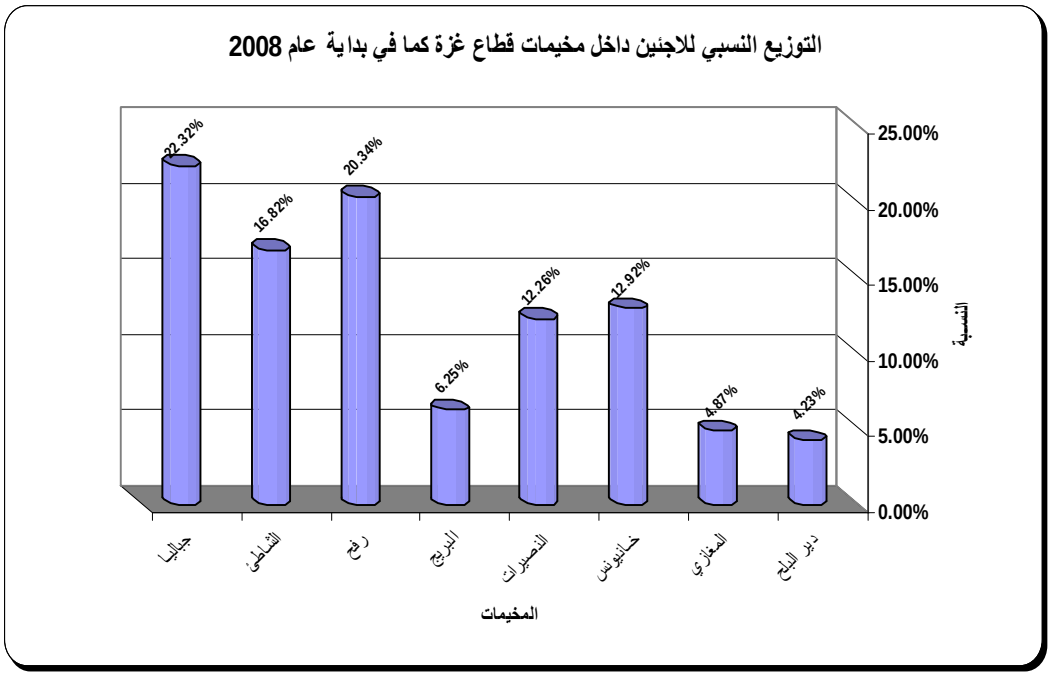
التوزيع النسبي للاجئين داخل مخيمات قطاع غزة كما في بداية عام 2008
22.32%
16.82%
20.34%
6.25%
12.26%
12.92%
4.87%
4.23%
25.00%
20.00%
15.00%
10.00%
5.00%
0.00%
النسبة
جباليا
الشاطئ
رفح
البريج
النصيرات
خانيونس
المغازي
دير البلح
المخيمات

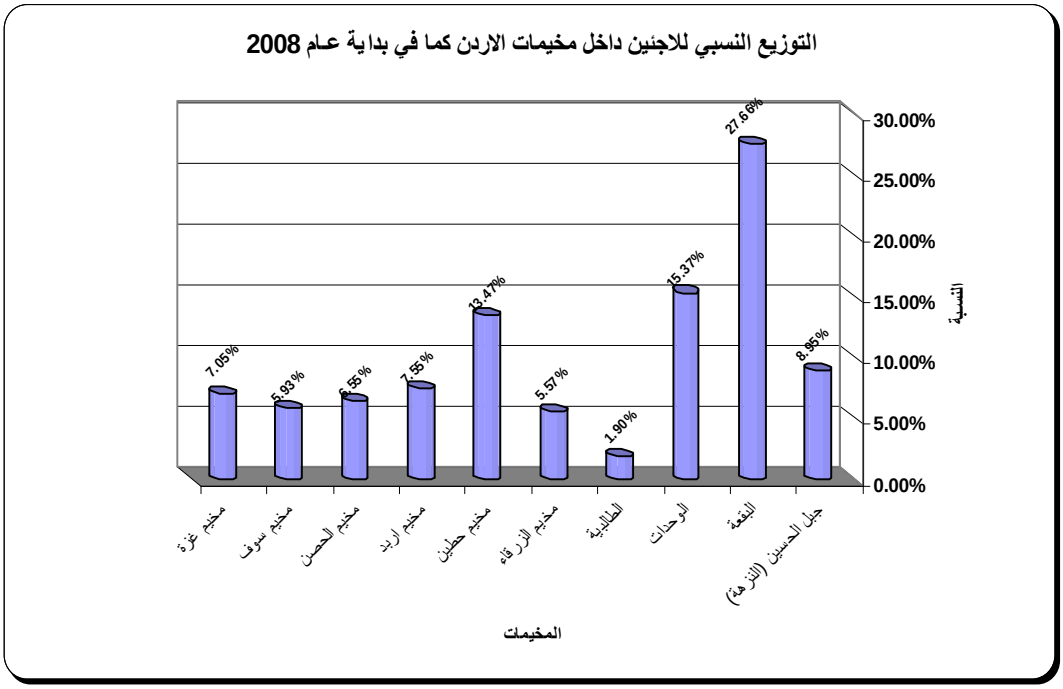
التوزيع النسبي للاجئين داخل مخيمات الاردن كما في بداية عام 2008
7.05%
5.83%
6.55%
7.55%
13.47%
5.57%
1.90%
15.37%
27.66%
8.95%
30.00%
25.00%
20.00%
15.00%
10.00%
5.00%
0.00%
النسبة
مخيم غزة
مخيم سوف
مخيم الحصن
مخيم اربد
مخيم حطين
مخيم الزرقاء
الطالبية
الوحدات
البقعة
جبل الحسين (الوزهة)
المخيمات

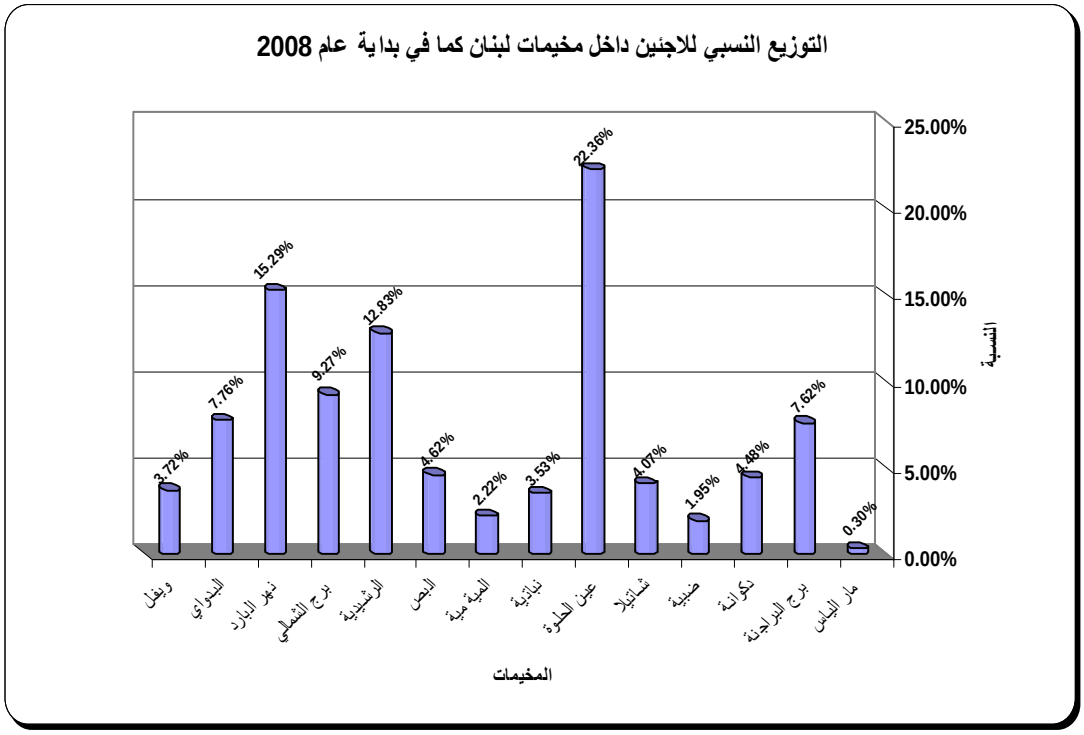

التوزيع النسبي للاجئين داخل مخيمات لبنان كما في بداية عام 2008
25.00%
20.00%
15.00%
10.00%
5.00%
0.00%
النسبة
3.72%
7.76%
15.29%
9.27%
12.83%
4.62%
2.22%
3.53%
22.36%
4.07%
1.95%
4.48%
7.62%
0.30%
ويفل
البدواي
نهر البارد
برج الشمالي
الرشيدية
البص
المية مية
نباتية
عين الحلوة
شاتيلا
ضبية
دكوانة
برج البراجنة
مار الياس
المخيمات

التوزيع النسبي للاجئين داخل مخيمات سوريا كما في بداية عام 2008
18.00%
16.00%
14.00%
12.00%
10.00%
8.00%
6.00%
4.00%
2.00%
0.00%
النسبة
3.73%
4.25%
6.60%
11.44%
15.34%
3.09%
17.26%
16.21%
7.60%
14.48%
درعا (الطوارئ)
درعا
حماة
حمص
حلب
جرمانة
الست زينب
سبينة
خان ذا النون
خان الشيخ
المخيمات

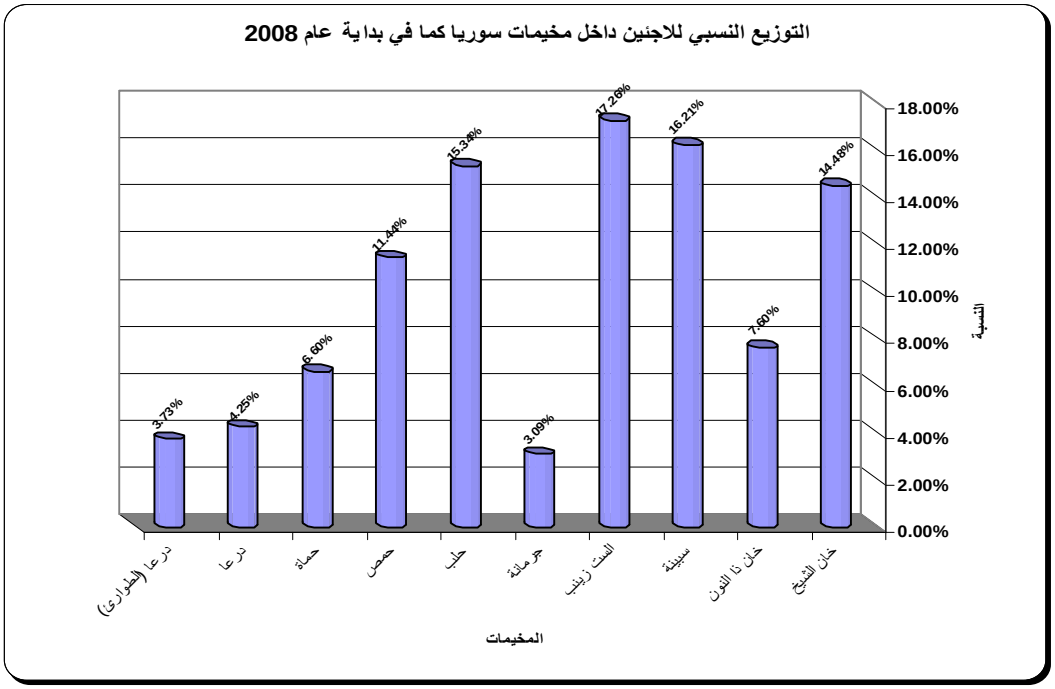

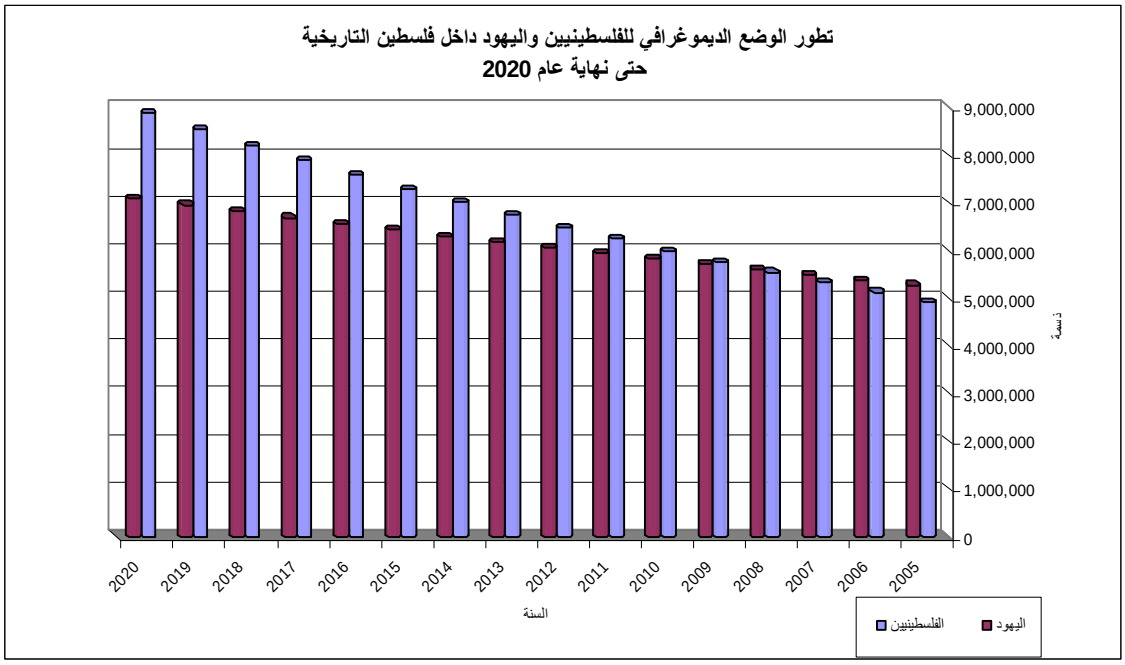
تطور الوضع الديموغرافي للفلسطينيين واليهود داخل فلسطين التاريخية
حتى نهاية عام 2020
9,000,000
8,000,000
7,000,000
6,000,000
5,000,000
4,000,000
3,000,000
2,000,000
1,000,000
0
نسمة
2020
2019
2018
2017
2016
2015
2014
2013
2012
2011
2010
2009
2008
2007
2006
2005
السنة
الفلسطينيين
اليهود

الملحق رقم (08): مقياس هوية اللاجئين الفلسطينيين المقيمين بالجزائر.

جامعة سعد دحلب –البليدة-
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
قسم علم النفس وعلوم التربية والارطفونيا

في إطار التحضير لبحث إليك مجموعة من العبارات، الرجاء أن تقرأ كل مجموعة على حدة .ثم قم بوضع (+) أمام العبارة التي تصف سلوكك وحالتك ، وتأكد من إجابتك على كل المجموعات، بحيث لا توجد إجابة صحيحة وأخرى خاطئة، علما أن معلومات هذا الاستبيان سرية ولا تستخدم إلا لغرض علمي.

معلومات شخصية:

السن:

الجنس:

المستوى التعليمي:

الحالة المدنية:

-في حالة وجود أبناء (كم):

-مكان الميلاد:

-الجنسية:

-هل سبق لك زيارة فلسطين:

-في حالة الزيارة(كم من مرة):

-أصل الأم:

-المهنة:

-نوع الوثائق:

-مدة الإقامة في الجزائر:

- الإقامة في الطفولة:

المحور	العبارات	نعم	لا أدري	لا
	1. هل تعتقد أن اسمك ولقبك يبينان أنك فلسطيني			
	2. هل تشعر أن ملامحك وصفاتك الجسدية تبيّن انك فلسطيني			
	3. هل أنت راض عن الأسلوب الذي تتبناه في حياتك			
	4. هل النماذج التي عرفتها في طفولتك هي فلسطينية			
	5. هل تشعر بالاختلاف لكونك فلسطينيا			
	6. هل تفضّل لو كنت جزائريا			
	7. هل تنتابك مشاعر الاغتراب وأنت في الجزائر			
	8. هل السكوت وسيلة مجدية إذا لم يعجبك الوضع في الجزائر			
	9. هل تهاجم من يختلف عنك في الرأي اتجاه فلسطين			
	10. هل تشعر بأن شخصيتك ألغيت داخل المجتمع الجزائري			
	11. هل تشعر أنك مغلوب على أمرك والظروف مفروضة عليك			
	12. هل أنت فخور لكونك فلسطيني			
	13. هل تعتقد أنك تربيت بطريقة فلسطينية			
	14. هل تعتقد أن لأحد والديك تأثير مباشر عليك			

	15. هل تتناولون في الأسرة مناقشات حول أصلك وبلدتك			
	16. هل تميل المعاملة الأسرية فيما بينكم نحو الطابع الفلسطيني			
	17. هل تعتقد أن عائلتك تختلف عن العائلات الجزائرية			
	18. في حين ترغب في الزواج أو أحد أبناءك، هل تفضل أن يكون الشريك فلسطينيا			
	19. يعبر والدي بفخر حينما يتحدثون عن فلسطين			
.	20. هل تشارك في النشاطات الترفيهية			
	21. في حالة (نعم)، هل تفضل أن يشاركك جزائريون أم فلسطينيون؟			
	22. هل تناقش مع الآخرين موضوع فلسطين			
	23. هل تفضل أن يكون لك أصدقاء فلسطينيون			
	24. هل ترى أن الآخرين يتعاملون معك على أساس أنك فلسطيني			
	25. هل تعتقد أن آراء الآخرين حولك ايجابية باعتبارك فلسطينيا			
	26. هل يقيّمك الجزائريون على أنك مثال حسن للفلسطينيين			
	27. هل من الضروري بالنسبة لك أن تتعارف أكثر على الفلسطينيين			
	28. هل تعتبر انتماءك لفلسطين عائقا بالنسبة لك			
	29. ل تُعرّف الآخرين دائما على أنك فلسطينيا			
	30. هل تقرأ عن تاريخ فلسطين			

	31. هل أنت على إطلاع على الثقافة الفلسطينية				
	32. هل تعتز بالثقافة الفلسطينية				
	33. هل تحافظ على العادات والتقاليد الفلسطينية في البيت				
	34. هل تُفضّل الأسماء الفلسطينية				
	35. هل تسعى إلى تعريف الآخرين بثقافتك الفلسطينية				
	36. هل تحتفظ في البيت بأشياء ترتبط بفلسطين (مثل ثوب، حطة، مجسمات...)				
	37. هل يتم تناقل الحكايات الشعبية والتراثية الفلسطينية داخل البيت				
	38. هل ترتدي الزي الفلسطيني في المناسبات				
	39. هل تحتفل في الأعراس بالطريقة الفلسطينية				
	40. هل تتحدث داخل البيت باللهجة الفلسطينية				
	41. هل تتحدث خارج البيت باللهجة الفلسطينية				
	42. هل تشعر بالاختلاف بين عادات البلدين				
	43. هل لديك وجهة نظر ثابتة فيما يخص القضية الفلسطينية(اشرح)				
	44. هل تهتم بأخبار فلسطين في وسائل الإعلام				
	45. هل تنتمي لأحد الجمعيات أو الأحزاب السياسية				
	46. هل تعتقد أن وضعيتك كفلسطيني تُسبب لك مشاكل				
	47. هل تعتقد أن الجنسية تعبّر عن الانتماء				
	48. هل تعتز بجنسيتك الحالية				

	49. هل تفضل أن تستقر في الجزائر			
	50. هل ترى أن التوطين أو التعويض حلول بديلة			
	51. هل ترى أن المنظمات أو الأحزاب الفلسطينية تُعبّر عن انشغالاتك كونك فلسطيني			
	52. هل لديك رموز وطنية			
	53. هل ترغب في التصويت في حالة انتخابات في فلسطين			
	54. هل ترغب في الرجوع إلى الوطن			
	55 .ما هي تطلعاتك المستقبلية			

الملحق رقم(09): اختبار مَن أنا؟

إذا طلب منك طرح سؤال "من أنا؟" على نفسك فماذا ستكون إجابتك؟

1. أنا.....
2. أنا.....
3. أنا.....
4. أنا.....
5. أنا.....

شكرا على تعاونكم